

(سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر 12)

قطعة من كتاب

محاضرات الأدياء ومُحاورات الشُعراء والبُلغاء

للمراب الأصفهانى

(١٠٠٠ - ٥٥٠٢ هـ)

خدمها وعلق عليها

محمد على أبو زهرة

الإهداء

إلى روح والديّ الحبيين
رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

كان الراغب الأصفهاني موسوعة علمية في
اللغة والنحو والصرف والتفسير والقراءات والفقهاء والمنطق

تمهيد

«محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» للراغب الأصفهاني موسوعة في الأدب والثقافة والفكر وخلاصة الحكمة. وهو ليس أول من كتب هذا النوع من «المحاضرات»؛ فقد سبقه كثيرون أمثال: الجاحظ في البيان والتبيين، وابن قُتيبة في «عيون الأخبار»، والمبرّد في «الكامل» و«الفاضل»، وابن عبدرّبه في «العقد الفريد». وهناك من أتى بعده من أمثال: الزمخشري في «ربيع الأبرار» وأسامة بن مُنقذ في «لباب الآداب»، والأبشيهي في «المُستطرف في كل فنّ مُستطرف».

علم المحاضرات

و«المحاضرة» من معانيها: المحدثّة، تقول: حاضرَ القومَ أي جالسهم وحدثهم بما يحضّره من الفوائد والنكات اللطيفة المؤثّرة في النفس والمأثورة عن الغير، ومنه: فلانٌ حسنُ المحاضرة، وألقى عليهم محاضرة. وهي علمٌ يُراد منه (إيرادُ كلامٍ للغير مناسبٍ للمقام على طريق الحكاية والنقل). والمحاضرة بذلك صِنْفٌ من أصناف العلوم الأدبية، فقد قسّم الزمخشري العلوم إلى اثني عشر صنفًا، المحاضراتُ أحدُ أصنافها. وينقل السيوطي عن بعض المؤلفين قوله: «ومُراده بالمحاضرات: ما تحاضر به صاحبك من نظم أو نثر، أو حديث أو نادرة، أو مثل سائر».

والخلاصة أن مفهوم المحاضرات يعني: ما يختاره المؤلف من ثمار العلوم والمعارف من لدن السابقين، وفق ذوقه واختياره. وكثيراً ما يهدف المصنّف إلى الغاية التعليمية والتربّية الخلقية، والتماس العبرة من تجارب السابقين، وما إلى ذلك.

كتب المحاضرات

وكتب المحاضرات في التراث العربي سابقة على الراغب ولاحقة له، فمنذ منتصف القرن الثالث بدأ هذا الضرب من التأليف. ومن أشهرها على سبيل التمثيل لا الحصر، وفق الترتيب الزمني:

البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) - عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) - العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) - المجالسة وجواهر العلم للدينوري (ت ٣٣٣ هـ) - البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ) - المحاضرات والمناظرات لأبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ) - نثر الدر في المحاضرات للآبي (ت ٤٢١ هـ) - غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالى المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) - زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) - ربيع الأبرار للزخشي (ت ٥٣٨ هـ) - التذكرة الحمدونية لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي (ت ٥٧٦ هـ) - أخبار الحمقى

والمغفلين لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار،
 لمحيي الدين محمد بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) - غرر الخصائص الواضحة
 للوطواط (ت ٧١٨ هـ) - ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي
 (ت ٨٣٧ هـ) - المستطرف من كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن
 أحمد الأبشيهي المحلي (ت ٨٥٠ هـ) - المحاضرات والمحاورات للسيوطي (ت
 ٩١١ هـ).

التعريف بالمؤلف

الرَّاعِبُ الأَصْفَهَانِي هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني
 (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، ولد بأصفهان، وتوفي ٥٠٢ هـ، أديب
 وعالم، وأحد علماء المسلمين في تفسير القرآن الكريم. أصله من أصفهان،
 وعاش ببغداد. أَلَّفَ عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة.
 وتشير المصادر إلى أن الأصفهاني كان متواضعاً، له علاقات إنسانية جيدة،
 وكان عالماً ذكياً متعدد المواهب، وتحدّث عما يعتقد أنه صواب دون تردد،
 وكرّس نفسه للكتابة وابتعد عن الواجبات الرسمية.

آثاره

والراغب تغطّي أعماله مواضيع مختلفة، من الأخلاق إلى علم اللغة والفلسفة
 الإسلامية. وتظهر القوة العلمية للراغب الأصفهاني في أغلب أعماله في مجال

التفسير. وكان الأصفهاني يتقن الأدب العربي، وعُرفت مختاراته الأدبية المصنّفة بعناية وفقاً لموضوعاتها، بأنها عمل قيّم في المجال الفكري. وهو أيضاً كاتب مسلم مزج بين الأخلاق الدينية والفلسفية.

وعلى الرغم من أن الأصفهاني يعتمد بشكل عام على القرآن، إلا أن أعماله تحتوي على معلومات وتقييمات غنية في مجالات أخرى غير القرآن. في مجال اللغة، فقد اشتهر بعمله في علم المعاجم. بالإضافة إلى ذلك في مجالات مثل الدعاء والنحو والاستدكار. كما قدم بيانات أدبية وأخلاقية ودينية ولغوية وتاريخية مختلفة ومواد تعليمية عامة.

ومن مؤلفاته: محاضرات الأدباء - الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأخلاق، ويسمى أخلاق الراغب - جامع التفاسير (أخذ عنه البيضاوي في تفسيره) - المفردات في غريب القرآن - حل متشابهات القرآن - تفصيل النشأتين - تحقيق البيان - الاعتقاد - أفانين البلاغة - رسالة في «آداب مخالطة الناس».

هذا الكتاب

وكتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء كتاب موسوعي تضمن «خمساً وعشرين حداً» جامعة لمسائل: العقل والعلم والجهل والسيادة والعدل والأخلاق والقرابة وأنواع المروءات والعرفان والعقوق، انطلاقاً إلى

¹ الراغب يسمي كل باب كتب فيه "حداً" وبلغت أبوابه خمساً وعشرين حداً.

الصناعات ومسائل الإيمان ومرايع العطاء والجود، وما يدور في فلکها من الكلام على الأطعمة والمشارب، تخلصاً إلى الندماء وبجالس اللهو والغناء، انعطافاً إلى مراتع الوجدان في دائرة الغزل والهوى والعشق، دون أن يسقط من ثنايا كتابه فضيلة الشجاعة وما كان يدور في فلکها من مواقف الحرب والصلح والثأر ودفع الديات عند العرب، معرجاً إلى موضوع الزواج وحيثياته وسياسة الرجل المرأة ومسائل العيرة والطلاق.

ويستكمل الراغب فيما تبقى من هاتيك الحدود كل ما يمس واقع الإنسان في بيته وديانته فيتحدث عن الرياش والملابس والعبادات، ويخوض في مسائل العقيدة فيشتمل عرضه على قضايا الإيمان والزهد والتصوف والنبوة، مروراً بالإسلام والقرآن وأسباب التنزيل.

ويتبع شؤون الحياة بالكلام على الموت، ويجول عبر الزمان والمكان فيلون كتابه بزخارف شيقة تنساب عبر فصول الطبيعة ونباتها وأزهارها وحيوانها من وحش وطيور وهوام، ثم تراه يذهب بعيداً فيحدث عن الأفلاك والنجوم والسحب انتهاء إلى جملة من النوادر والحكم.

فكتاب «المحاضرات» يكاد يكون فريداً في بابه بين كتب الطرائف والحكايات، لأنه يمتاز بالشمولية والعمق، وتلقفه روح العلم وتهيمن عليه هواطل من معطيات الوجدان والعقل. إنه بحق سفر جامع بين الجد واللهو والأخبار والمُلح الأدبية.

وقد جاء كتاب المحاضرات كما أرادہ الراغب، قمة أدب المؤانسة والمجالسة حتى عصره، وفي ضوئه وضع شهاب الدين الأبيشي كتابه «المستطرف في كل فن مستطرف» وفي بابه نجد «طرف الألباب وتحف الأحباب» لليافعي و«طرف المجالسة وملح المؤانسة» لابن المرابط وعشرات التصانيف المماثلة. والكتاب فضلاً عمّا تقدّم معرض فكري شيق لم يدع مفردة من مفردات الواقع الإنساني، إلا تتبعه في دواوين الشعراء وكتب الأمثال وخواطر الحكماء والأدباء، وهو يميّز بالطلاوة والإيجاز والبعد عن الهدّر، مع أمانة في العرض، وروح واقعية، تجعله في منأى عن أي إسفاف أو تبذل، وبعيداً أيضاً عن التلفيق أو التصنع فهو لا يتستر على عيب، ولا يتردد في سوق الشواهد على ما فيها أحياناً من الركة أو السخرية أو الابتذال والبذاءة، ما دامت ترمي إلى الإمتاع والمصارحة والمكاشفة¹.

وجدير بالملاحظة أن الراغب جرى في هذا الكتاب على إيراد المعنى وضده، ولم يخرج عن هذا النهج، حتى عندما أورد ما قيل في مدح علم الحديث أورد بعده كلام من ذم هذا العلم الشريف المنيف. وفي رأبي أنه ليس من الصواب حكاية ذم علم الحديث وذم أصحابه؛ فإن شرفه من شرفه صلى الله عليه وسلم، فكيف لأحد أن يسقط مثل هذه السقطة أو يتوهّد تلك الوهدة!

¹ من مقدمة محقق الكتاب الأستاذ الدكتور عمر الطباع.

عملي في هذا الكتاب

- اجتزاء هذه القطعة من أول الكتاب^١ لنشرها، وتصويب أخطاء الطباعة التي وقعت في النسخة المحققة، والتعليق عليها.
- تصويب أخطاء الطبعة المحققة^٢، من خلال تتبع النص في المصادر والكتب التي ورد ذكره فيها، ومن ثم تصويبها وفق هذه المصادر.
- تتبع ما ورد في الكتاب من محاضرات وأقوال ومحاولات نسبتها إلى أصحابها، من خلال كتب المحاضرات التي سبقت الراغب والتي جاءت بعده.
- تخريج الأحاديث النبوية من كتب الأحاديث، وإذا جاء الحديث مختصراً أوردت روايته كاملةً مع الشرح المبسط له.
- عزو الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب إلى أصحابها قدر الإمكان وشرح ما يحتاج منها إلى شرح.

^١ من أول الكتاب إلى حد الشعر والشعراء وهو التاسع من حدود هذا الكتاب.

^٢ وهي كثيرة، وأنا أستغرب لخروج الطبعة المحققة على هذا النحو من كثرة الأخطاء المطبعية والعلمية، وحسن الظن يحدوني أن أقول لعل المحقق دفع عمله إلى المطبعة ولم يراجعها، والمطبعة لم تراجعها بعد الطباعة، فخرجت هذه النسخة تجارية كثيرة الأخطاء، بل لا أعالي إذا قلت إنني لم أطلع طبعة مثل هذه في كثرة الأخطاء. وقد اجتهدت في تصويبها من خلال مراجعة كتب المحاضرات التي سبقت الراغب والتي جاءت بعده. وهذه التصويبات تجدها مبينة في الهوامش.

- التعريف بالأعلام الذين وردت أسماءهم في الكتاب.
 - توضيح معاني الكلمات والألفاظ والعبارات التي تحتاج إلى بيان وشرح وتفسير، من خلال كتب اللغة والمعاجم.
 - ضبط الضروريّ من ألفاظ الكتاب، تيسيراً على القارئ المعاصر ومساعدةً له في إقامة اللغة التراثية المروية في الكتاب.
- وهو المنهج الذي التزمته وأخذت به نفسي فيما وفقني الله في إخراجه من كتب التراث، في المشروع الذي تبنيته وسميته (سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر) وهذا هو الكتاب الثاني عشر بفضل الله في هذه السلسلة¹. رضي الله عن الراغب الأصفهاني، ونفعنا بعلمه، ورزقنا العمل به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو زهرة

الكويت - نوفمبر ٢٠٢٢م

¹ وقد سبقه لي أحد عشر عملاً في الجمع والدراسة والاختصار هي: (الداء والدواء لابن القيم - أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بحجة المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد - قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد - تحقيق العواصم من القواصم - حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية - الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي - مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: علماء معاصرون نصرُوا الإسلام، وكتاب غرباء. وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).

بداية الكتاب

قال الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب، رحمه الله تعالى: الحمد لله الذي تقصّر الأقطار أن تحويه، وتعجز الأستار أن تحفيه، حمداً يقتضي تضاعف نعمائه، ويمتري ترادف آلائه^١.

وصلّى الله على من أوضح به الإعلام^٢، وشرع بلسانه الإسلام، منار الهدى وخيار الورى.

وبعد: فإن سيدنا^٣ - عمّر الله بمكانه مراع الكرم، وبجامع النعم - أحب أن اختار له ممّا صنفت من نكت^٤ الأخبار، ومن عيون الأشعار، ومن غيرها من الكتب، فصولاً في محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء والبلغاء، يجعله صيقل الفهم^٥ ومادة العلم.

^١ ترادف آلائه: تتابع نعمه.

^٢ الإعلام: الإخبار والتوضيح.

^٣ لم يتوصل أحد من كتب عن الراغب إلى من قصده بقوله (سيدنا).

^٤ جمع نكتة، وهي كل ما تنبسط به النفس.

^٥ الصيقل: الصقل الذي يجلو السيف ويشحذها.

ففعَلْتُ ذلكَ إِيْجاباً له؛ إذ قد جعل مراعاةَ الأدبِ شعارَه وذيثارَه ، ومحاماةَ الفضلِ إيثارَه واختيارَه، وجعلَ زِمَامَ حَسَبِهِ بكفِّ أدبِهِ، وسَلَكَ في زمانِنَا طريقاً قلَّ سالكوه، وطرقُ^١ العلاءِ قليلةُ الإيناسِ.

وقد ضَمَنْتُ ذلكَ طَرْفاً من الأبياتِ الرائقةِ، والأخبارِ الشائقةِ، وأوردتُ فيه، ما إذا قيسَ بمعناه:

يكونُ منه مكانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدٍ والبدرِ من فَلَكَ والنجمِ من قُطْبِ^٢
 فإنّه ظَرْفٌ^٣ ملئ طَرْفاً، ووعاءٌ حُشِي جِداً وسُخْفاً، مَنْ شاء وجد منه ناسِكاً
 يعِظُهُ ويُبكيه^٤، ومن شاء صادف منه فاتِكاً^٥ يُضجِكه ويُلْهيه:
 فالجُدُّ والهزلُ في توشيعِ^٦ حُمتِها والنبيلُ والسُخْفُ والأشجانُ والطربُ^٧

^١ في النسخة المحققة بإسقاط الواو، وقد أضفتها لضرورتها.

^٢ لعل هذا البيت من نظم الراغب نفسه.

^٣ الظرف: الوعاء.

^٤ في النسخة المحققة: يبكيه، وهو خطأ مطبعي.

^٥ رَجُلٌ فَاتِكٌ : خَلِيعٌ، مَاجِرٌ.

^٦ في النسخة المحققة: توشيح، وهو خطأ. والتوشيع معروف في الغزل والنسيج، يقال وَشَعَ العَزْلُ : أداره باليد على الإبهام والخنصر ليُدخله في الفَصْبَةِ للنَّسِجِ.

^٧ البيت لأبي تمام في ديوانه.

وأعوذ بالله أن أكون ممن مدح نفسه وزكَّاهَا، فعابها بذلك وهجَّاهَا، وممن أزرى بعقله، لإعجابه بفعله، فقد قيل^١: لا يزال المرء في فسحة من عقله، ما لم يقل شعراً أو يصنّف كتاباً.

وأولى من يصرف همته إلى مراعاة مثل هذا الكتاب، من تحلَّى بطرف من الآداب، فيصير به طليق اللسان، ذليق البيان، فكم من أديب تتقاعد به^٢

^١ منسوب ليحيى بن خالد البرمكي الذي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاهَا، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من عليّة القوم في الخلافة الرشيدية.

^٢ كلمة (به) ساقطة من النسخة المحققة، وهي ضرورية لاستقامة العبارة.

بداهة المقال^١، في كثير من الأحوال، فلا يجد من فهمه مساعفة^٢، ولا من علمه مكاتفة، فيرى في العجى مثل باقل^٣، وإن كان في الغزارة سحبان^٤ وائل^٥.
وقد قيل: خيرُ الفقه ما حاضرت به^٥.

ومن لا يتحلّى في مجلس اللهو، إلا بمعرفة اللغة والنحو، كان من الحصر^٦ صورةً ممثلة^٧، أو بهيمةً مهملة. ومن لا يتتبع طرفاً من الفضائل، المخلدة عن ألسنة الأوائل، كان ناقص العقل.

^١ البداهة: المفاجأة.

^٢ مساعفة: إعانة.

^٣ في المثل: "أعيا من باقل". وباقل هو رجل إيادي اشترى ظيباً بأحد عشر درهماً فسئل عن الثمن فأشار بأصابعه ودلع لسانه فشرذ الظبي، فلما عيروه قال بعضهم:

يلومون في حمقه باقلاً ... كأن الحماقة لم تخلق

فلا تكثروا العذل في عيه ... فللعي أجمل بالأموق

خروج اللسان وفتح البنان ... أحبُّ إلينا من المنطق

^٤ سحبان وائل (ت ٥٤ هـ) صحابي، كان بليغاً يُضرب به المثل في الفصاحة، فيقال: أفصح من سحبان وائل.

^٥ وهو مثل عربي: (خيرُ الفقه ما حاضرت به، وشترُ الرأي الدبري).

^٦ الحصر: العجى، حصر الولد: عجز في نُطْقِهِ ولم يُقدِر على الكلام.

^٧ في النسخة المحققة: مثيلة، وهو خطأ مطبعي.

العقل نوعان

فالعقل نوعان: مطبوعٌ ومسموعٌ^١، ولا يصلحُ أحدهما إلا بالآخر. وقد تحرّيت فيما أخرجته من كلّ باب غاية الاختصارِ والاقتصار، وأعفيتُه من الإكثار والإهدار^٢، لئلا تُعافَ ممارسته ومدارسته، لكن عَظُمَ^٣ هذا الكتابُ بعضَ العِظَمِ، لكثرةِ فصوله وتحقيقِ تفاصيله.

وقد جعلتُ ذلك حدوداً وفصولاً وأبواباً. وذكرت جملةَ الحدودِ والفصولِ في أولِ الكتابِ^٤، ليسهلَ طلبُ كلِّ معنى في مكانه. ووضعتُ كلَّ نكتةٍ في الباب الذي هو أليقُ بها، وإن كان كثيرٌ من ذلك يصلح استعماله في أمكنة. سهّل الله علينا ما يُحمّد عقباه، ووفّقنا في جميع أمورنا لما يرضاه، وجعل خيراً أعمالنا ما قرب من آجالنا، إنه عليمٌ قدير. نعم المولى ونعم النصير.

... وإذ قد أتينا على ذكرِ الحدودِ والأنواعِ فلنبداً، مستعينين بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم.

^١ مطبوع يعني فطرة، ومسموع يعني اكتساب.

^٢ الإهدار: التكلم بما لا ينبغي ولا يفيد.

^٣ يعني اتسع وكبر.

^٤ حذفها من هذا الموضع اختصاراً. اكتفاءً بذكرها في فهرس المحتويات.

العقل والعلم والجهل وما يتعلّق بها

فيما جاء في العقلِ والحُمقِ وذمّ اتباع الهوى.. وما يُحدّ به العقل وبنوه، والحُمق وذووه:

قيل^١: العقلُ الوقوفُ عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً.

وقيل^٢: النظرُ في العواقب.

وقال المتكلمون: هو اسمٌ لعلومٍ إذا حصلت للإنسان صحّ تكليفه.

وقيل: العاقلُ مَنْ له رقيبٌ على جميع شهواته.

وقيل: العاقلُ مَنْ عَقَلَ نفسه عن المحارم؛ ولذلك لم يصحّ وصفُ الله تعالى به.

والحُمقُ قِلَّةُ الإصَابَةِ ووضعُ الكلامِ في غير موضعه.

وقيل: الحُمقُ فقدانُ ما يُحمَدُ مِنَ العاقلِ.

^١ منسوب إلى الحسن بن سهل، السرخسي، فارسي المولد من وزراء الخليفة المأمون وولاته وقواده، وأخو الفضل بن سهل المعروف بذي الرياستين، وابنته هي بوران زوجة المأمون.

^٢ منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

مدح العقل وذمُّ الحمق

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما اكتسب ابنُ آدمَ أفضلَ من عقلٍ يهديه إلى هُدًى، أو يرُدُّه عن رَدًى^١.

وقيل: الحمقُ يسلبُ السلامةَ ويورثُ الندامةَ، والعقلُ وزيرٌ رشيدٌ وظهيرٌ سعيد، من أطاعه أُنجاه، ومن عصاه أُرّدها.

وقيل: لو صوّرَ العقلُ لأضاءَ معه الليلُ، ولو صوّرَ لأظلمَ معه النهارُ. وقال المتنبي^٢:

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغِمْ أدنى إلى شرفِ مَنْ الإنسانِ

حاجة الفضائل إلى العقل

قيل: العقلُ بلا أدب فقر، والأدب بغير عقلٍ حتف.

وقيل: بلوغُ شرفِ المنزلة بغير عقلٍ إشفاء^٣ على الهلكة.

^١ أخرجه البيهقي والطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب يرفعه. وحكم الألباني على إسناده بأنه ضعيف جداً. انظر: السلسلة الضعيفة (٦٧١٠).

^٢ في الديوان من قصيدته التي مطلعها: الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

^٣ في النسخة المحققة: أشفاء، بهمزة فوقية، وهو خطأ. ويقال: أشفى على الشيء: اقترَب منه.

وقيل^١: من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حنقه في أغلب خصال الخير عليه.

ذم من له أدب بلا عقل

وصف أعرابي رجلاً، فقال: هو ذو أدب وافر وعقل نافر^٢:

فهبك أخوا الآداب، أي فضيلة تكون لذي علم وليس له عقل^٣

وقيل^٤: ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظل، كلما ازداد رياً ازداد مرارة.

^١ هو القاسم بن محمد الفقيه. انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي.

^٢ ورد في كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي: دخل الشَّعبي على الحجاج فقال له الحجاج: يا عامر، أدب وافر وعقل نافر، فقال: صدقت أيها الأمير.

^٣ البيت للناشئ الأكبر، عبد الله بن محمد، الناشئ الأنباري، أبو العباس. شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرومي والبحثري. والبيت ثاني اثنين هما:

زعمت أبا سهلٍ بأتك جامعٌ ... فنوناً من الآدابٍ يجمعها الكهلُ

فهبك تقول الحقَّ أي فضيلةٍ ... تكون لذي علمٍ وليس له عقل؟

^٤ منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

حاجة العقل إلى الأدب

قيل^١: عاقلٌ بلا أدب كشجاعٍ بلا سلاح.

والعقلُ والأدبُ كالروح، والجسدُ بغيرِ روحٍ صورة، والروحُ بغيرِ جسدٍ ريح.
وقيل: العقلُ بغيرِ أدبٍ كأرضٍ طَيِّبَةٍ خَرِبَةٍ، وأنَّ العقلَ يحتاجُ إلى مادةِ الحِكْمَةِ،
كما تحتاج الأبدانُ إلى قُوَّتِهَا من الطعام.

ضياع العقل بفقد التقوى

قيل: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن إنسان عبادة، قال:
كيف عقله؟ فإن قالوا عاقلٌ، قال: ما أحلَّقه أن يبلغ؛ وإن قالوا ليس بعاقل،
قال: ما أحلَّقه أن لا يبلغ^٢.

وقال الحسن^٣ بنُ سهلٍ: ثلاثةٌ تذهب ضياعاً: دينٌ بلا عقل، ومالٌ بلا بذل،
وعشقٌ بلا وصال.

وقيل: لا تعتدوا بعبادةٍ من ليس له عُقْدَةٌ من عقل.

^١ منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

^٢ أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله عن أبي الدرداء رضي الله عنه. والطبراني في مسند الشاميين. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه.

^٣ في النسخة المحققة: الحسين، وهو خطأ واضح.

فضل اجتماعهما

قال معاوية، لرجلٍ حكيمٍ مسنٍّ: أيُّ شيءٍ أحسنُ؟ فقال: عقلٌ طُلبَ به مُروءةٌ، مع تقوى الله وطلبِ الآخرة.

عزة العقل

كلُّ شيءٍ إذا كُثر رُخصَ إلا العقلَ فإنه كلما كُثر كان أغلى، ولو بيع لما اشتراه إلا العاقلُ لمعرفته بفضله، وأوّلُ شرفِ العقلِ أنه لا يُشترى بالمال.

قلّة العقل وذويه

قيل لبُهلول¹: عُدّ لنا المجانين، فقال: هذا يطول، ولكيّي أعدّ العقلاء. ومثله - وإن لم يكن من بابِه - أنّ رجلاً كتب كتاباً وعرضه على آخر، فقال: فيه خطأٌ كثير، فقال الكاتب: علّم على الخطأ لأصلحه، فقال: بل أعلّم على الصوابِ فهو أسهل.

وقيل لرجلٍ: ما جِماعُ العقل؟ فقال: ما رأيتَه مجتمعاً في أحدٍ فأصغّه، وما لا يوجد كاملاً لا يُحدُّ.

¹ البُهلولُ: المعتوه، الأحمق، المجنون.

فضل مصاحبة العقلاء

قال الزُّهْرِيُّ^١: إذا أنكرت عقلك، فاقدحه بعقل.

وقال: عدوك ذو العقل أبقي عليك، وأرعى من الوامق الأحق.

تبرُّم العقلاء بصحبة الجهال

قيل: العاقلُ بخشونة العيش مع العقلاء أسرُّ منه بلين العيش مع السُّفهاء.

وقيل: قطيعةُ الجاهل تعدلُ صحبةَ العاقل:

لم يُبَلِّ ذُو الْعَقْلِ^٢ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ دَهْرِهِ
بِإِلِيَّةٍ أَشْحَى لَهُ مِنْ جَاهِلٍ يُزْرِ بِقَدْرِهِ
يُمِضِي حُكُومَتَهُ عَلَيْهِ بِجَهْلِهِ وَجَوَازِ أَمْرِهِ

النهي عن مصاحبة الجاهل

قال لقمان: لا تعاشرِ الأحمقَ وإن كان ذا جمال؛ وانظر إلى السَّيفِ ما أحسنَ

مَنْظَرَهُ (وَأَقْبَحَ أَثَرَهُ)^٣.

^١ محمد بن شهاب الزهري.

^٢ في النسخة المحققة: ذو الجهل. وهو خطأ واضح.

^٣ ما بين القوسين ساقط من النسخة المحققة. وقد أثبتته من المصادر التي ذكرته.

وقال الجاحظ^١: لا تجالس الحمقى، فإنه يعلّق بك من مجالستهم من الفساد، ما لا يعلّق بك من مجالسة العقلاء دهرًا، من الصّلاح؛ فإنّ الفساد أشدُّ التحاماً بالطّباع.

وقيل: العاقلُ يضلُّ عقله بمصاحبة الجاهل.

استعمال العقل والجهل مع ذويهما

قيل: العاقلُ يعاملُ الإنسانَ على خليقته، ويجاري الزمان على طريقته^٢:

فكن أكيسَ الكيسى إذا كنتَ فيهم.. وإن كنتَ في الحمقى فكن أنتَ أحمقاً^٣
وقال آخر^٤:

أحامقُهُ حتّى يُقالَ سَجِيَّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقِلُهُ

^١ انظر: البيان والتبيين.

^٢ المعنى أنه يُحسن التعامل على كل حال.

^٣ البيت في الحماسة للشاعر عقيل بن علنة المري، ومعه بيت قبله:

وللدهرِ أُنُوبٌ فُكُنَ في ثِيابِهِ ... كلبسته يَوْمًا أجدَّ وأخلَقًا

وَكنَ أكيسَ الكيسى إذا كنتَ فيهم ... وَإِن كنتَ في الحمقى فُكُنَ أَنْتَ أحمقًا

^٤ هو الإمام الشافعي، في ديوانه، والبيت ثاني اثنين:

وَأَنْزَلَنِي طُولَ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ امْرَأً لَا أُشَاكِلُهُ

أَحَامِقُهُ حَتَّى تُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعْقِلُهُ

ذمُّ عاقل متجاهل

قيل: عَظُمَتِ الْمُؤُونَةُ فِي عَاقِلٍ مُتَجَاهِلٍ، وَجَاهِلٍ مُتَعَاقِلٍ^١.

وقيل: وَدَدْتُ أَنِي مُثَلِّكٌ فِي ظَنِّكَ، وَأَنَّ أَعْدَائِي مُثَلِّكٌ فِي الْحَقِيقَةِ^٢.

قال المتنبي^٣:

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهلٍ يرى النَّاسَ ضلالاً وليس بمهتدٍ

صعوبة مداواة الأحمق

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُسْتَتَبُّ بِهِ إِلَّا الْحِمَاةَ أَعَيْتَ مَنْ يُدَاوِيهَا

وقال المتنبي^٤:

ومن البليَّةِ عَدْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ

^١ المعنى أن تكلفة هذا التظاهر كبيرة على من يفعل هذا.

^٢ ورد في كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف" للأبشيهي: ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال: وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة.

^٣ لم أجد في ديوان المتنبي، ووجدته لقيس بن الخطيم:

وَإِنِّي لِأَعْنَى النَّاسِ عَن مُتَكَلِّفٍ * يَرَى النَّاسَ ضَالًّا وَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ

^٤ ينسب إلى المتنبي.

^٥ في قصيدته التي مطلعها: لهُوى النُّفوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعَلِّمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسَلَّمُ

رُوي أن عيسى عليه الصلاة والسلام، أتي بأحمق ليداويه، فقال: أعياني مداوؤه الأحمق ولم يُعيني مداوؤه الأكمه والأبرص.

وقال الحجاج^١: أنا للعاقل المُدبر أرحى مني للجاهل المُقبل^٢.

وقيل: إنك تحفظ الأحمق من كل شيء إلا من نفسه، وتداويه إلا من حمقه.

تعب العاقل واستراحة الجاهل

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟ فقال: من كُفي أمر دينه، ولم يهتم لأمر آخرته.

قال أبو بكر الكاتب^٣:

مَنْ رُزِقَ الحُمقَ فذو نعمةٍ آتأزها واضحةٌ ظاهرة
يحطُّ ثقلَ المرءِ عن نفسهِ والفكرِ في الدنيا وفي الآخرةِ

^١ وهي مقولة منسوبة أيضاً للحسن البصري، وعبدالمملك بن مروان، والأحنف بن قيس.

^٢ المعنى أن العدو العاقل أحب إليّ من الصديق الجاهل.

^٣ في النسخة المحققة: أبو علي كاتب بكر، وهو خطأ، والصواب ما أثبتته، وهو علي بن الحسن، أبو بكر الكاتب، المعروف بالقهستاني، أصله من الرخج، كان كاتباً سديداً فاضلاً أديباً شاعراً مجيداً بليغاً، وكان يكتب لمحمد بن محمود بن سبكتكين في أيام أبيه لما قلده الخوزستان. انظر رر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة للوطواط.

وقال المتنبي^١:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

عقله أكبر من علمه

كان ابنُ المقفّع والخليل^٢ يجبان أن يجتمعا. فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران. فقيل لابن المقفّع: كيف رأيته؟ فقال: وجدت رجلاً عقله زائدٌ على علمه. وسئل الخليلُ عنه، فقال: وجدت رجلاً علمه فوق عقله. قال بعضُ العلماء: صدقاً؛ فإن الخليل مات حتف أنفه في خص وهو أزهّد خلقِ الله، وتعاطى ابنُ المقفّع ما كان مستغنياً عنه حتى قُتل أسوأ قتلة^٣.

قال الصنوبري^٤:

فإن يُلتَمَسَ يوماً حِجَاكم فإِنَّكم جِبَالُ الحِجَا لَكِنَّكم أَبْحُرُ الجَدوى

^١ من قصيدته السابقة التي مطلعها: لهوى النفوس سريرة لا تُعلم عَرَضاً نَظَرْتُ وَخَلْتُ أَيَّ أَسْلَمٍ

^٢ الخليل بن أحمد.

^٣ ما كان ابن المقفّع مستغنياً عنه هو طول لسانه الذي كان سبباً في قتله كما هو معلوم.

^٤ أبو بكر الصنوبري (ت ٣٣٤ هـ): يعرف بشاعر الروضيات، لاقْتصار أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. تنقل بين حلب ودمشق، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة، وكان الصنوبري يشرف على مكتبة قصره.

وقال آخر^١:

فإن يك حائلاً لوني فإني لعقلٍ غيرِ ذي سَقَطٍ وعاءٍ

موصوف بالحماسة والجهل

سئل أعرابي عن رجلٍ، فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره^٢.

وقيل: فلانٌ ليس له من عقله ناه^٣، ولا من نفسه واعظ.

^١ في الأغاني، والتذكرة الحمدونية أن البيت للشاعر نصيب، قال: قال قائل لنصيب: أيها العبد مالك وللشعر؟ فقال: أما قولك عبد، فما ولدت إلا وأنا حر، لكن أهلي ظلموني فباعوني، وأما السواد فأنا الذي أقول:

فإن أك حالكاً لوني فإني ... لعقل غير ذي سَقَطٍ وعاءٍ

وما نزلت بي الحاجاتُ إلا ... وفي عرضي من الطمع الحياءُ

وهو نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان. شاعر فحل، مقدّم في النسيب والمدائح. كان عبداً أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية.

^٢ جاء في كتاب غرر الخصائص الواضحة للوطواط: وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبح غيره^١.هـ.

^٣ في النسخة المحققة: فاه، وهو خطأ واضح. والصواب: ناه، والمعنى أنه ما له عقلٌ ينهأه عن المنكر والمبجح.

وقيل: أحمق من دُعَة، ومن رَحْمَة^١.

وفي الرَّحْمَة: إنك من طير الله فانطقي، يقال ذلك كنايةً عن الحمق^٢.

وخامري أمّ عامر^٣.

وقيل: ليس مع فلان من العقل إلا ما يوجب حُجَّةَ الله عليه؛ إذا أُمر به إلى النار.

^١ في جمع الأمثال للميداني أن دُعَة هي مارية بنت معن بن عجل، كانت حمقاء، ومن حمقها أنها زوّجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم، فحملت، فلما ضَرَبَهَا المَخَاضُ ظنت أنها تريد الحَلَاءَ، فبرزت إلى بعض الغيطان، فولدت، فاستهَلَّ الوليدُ، فانصرفت تُقَدِّرُ أنها أحدثت، فقالت لضَرَّتْهَا: يا هَنَاهُ، هل يَفْعَرُ الجُعْرُ فاه؟ فقالت نعم ويدعُو أباه، فمضت ضَرَّتْهَا وأخذت الولد، فبنو العنبر تُسَمَّى "بني الجُعْرَاء" تُسَبُّ بها. وقالوا: «أحمق من رَحْمَة وأموق» وإنما خصت من بين الطير بذلك، لأنها أُم الطير وأظهرها حمقاً، وأقدرها طعماً، لأنها تأكل العذرة. وقالوا: انطقي يا رَحْم فإنك من طير الله أصله أن الطير صاحت فصاحت الرَحْمَة، فقيل لها: يهزأ بها إنك من طير الله فانطقي.

^٢ وفي حياة الحيوان للدميري: وقالوا: انطقي يا رَحْم فإنك من طير الله، أصله أن الطير صاحت فصاحت الرَحْمَة، فقيل لها: يهزأ بها إنك من طير الله فانطقي. أي صحيحي كغيرك من الطير لأنها مؤصوفة بالخرس.

^٣ وفي النسخة المحققة ورد هذا المثل موصولاً بالكلام قبله، وهو خطأ، لأنه مثل مستقل، جاء في كتاب الأمثال لابن رفاعة: خامري أمّ عامر. هي الضَّبَع يُدخِل عليها جحرها، يقال: خامري أمّ عامر، أي استتري، فلا تبرح حتى تؤثق وتُخج.

وقيل: فلانٌ مخدوعٌ من عقله فلا تستعِنْ به:

ليس يدري من الجهالةِ ماذا دور البعرِ في بطونِ الجمالِ

وقال آخرُ^١:

ربِّ ما أبينَ التباينَ فيه منزلُ عامرٍ وعقلُ خرابٍ

وإذا قيل: فلانٌ سليمُ الصدر، أو (جامح في المسجد)^٢ أو هو من أهل الجنة، فهو كنايةٌ عن الحُمق.

تفضيل الجدِّ على العقل

قيل: استأذن العقلُ على الجدِّ^٣، فلم يأذن له، وقال: إنك تحتاج إليَّ وأنا لا أحتاج إليك.

^١ هو ححظة البرمكي، كما في التمثيل والمحاضرة للثعالبي. وفي الإعجاز والإيجاز للثعالبي أيضاً عنه: ومن غرره وملحه قوله:

قلت لما رأيته في قصورٍ ... مشرفاتٍ، ونعمةٍ لا تُعابُ:

ربِّ ما أبينَ التباينَ فيه ... منزلُ عامرٍ وعقلُ خرابٍ

وهو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك (٢٢٤ - ٣٢٤هـ) ولُقِّب بححظة، وهو أديب وكاتب وراويّة وشاعر عاش في العصر العباسي.

^٢ هكذا، والعبارة بما خطأ واضح. ولعل الصواب: أو جامعٌ في المسجد.

^٣ الجد: الحظ.

وافتخر العقل، فقال له الجَدُّ: أمسكُ فما لك نفاذُ ما لم أصحبك.

وقيل لأعرابي: فلانٌ أحمقٌ مرزوقٌ، فقال هذا هو الرجلُ الكامل^١.

وقال الشاعر^٢:

وما لُبُّ اللبِّ بِغَيْرِ حَظٍّ بأغنى في المعيشةِ مِنْ فتيلِ
رأيتُ الحظَّ يسترُ كلَّ عَيْبٍ وهيهاتَ الحظوظُ مِنَ العقولِ

صعوبة اجتماع العقل والجَدِّ

قيل: من زيد في عقله نقص من حظّه^٣.

وما جعل الله لأحد عقلاً وافراً إلا احتسب عليه من رزقه^٤.

^١ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري.

^٢ هو عبد العزيز بن زرارة.

^٣ رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدّثنا عليُّ بنُ الجعدِ، قال: سمعتُ سُفيانَ بنَ عُيينَةَ، يقولُ: «مَنْ زيدَ في عقلِهِ نقصَ مِنْ رزقِهِ».

^٤ انظر: نشر الدر في المحاضرات للآبي، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط، والشكوى والعتاب للثعالبي، وربع الأبرار ونصوص الأخيار للزخشري.

وقال شاعرًا^١ في المعنى:

وخصلةٍ ليس فيها مَنْ يخالفني الرزقُ والجهلُ مقرونانِ في قرنٍ

كون الجَدِّ من جملة العقل

رُوي في الخبر^٢، أَنَّ اللهَ تعالى إذا أراد أن يُزِيلَ نعمةَ عبدٍ، فأوَّلُ ما يسلبُ منه عقله.

وفي كتاب كَليلة^٣: السببُ المانعُ حظَّ العاقل، هو السببُ الجالبُ حظَّ الجاهل^٤.

وسئل بعضهم: العقلُ أفضلُ أم الجَدُّ؟ فقال: العقلُ مِنْ جملةِ الجَدِّ^٥.

^١ نسب إلى العتّابي، وإلى إبراهيم بن المهدي، انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، والمحاسن والأضداد للجاحظ، وأخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور.

^٢ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وقال فيروز بن حصين: إذا أراد الله أن يزِيلَ عن عبد نعمة كان أول ما يغير منه عقله. وانظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي.

^٣ كتاب كَليلة ودمنة لابن المقفع.

^٤ انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

^٥ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ونثر الدر في المحاضرات للآبي.

موصوف بالجنون

وكانه من دَيْرِ هِرْقَلٍ مفلتٌ حَرْدٌ^١ يجُرُّ سلاسلَ الأقيادِ^٢

وقال آخرُ:

به ما شئتَ من حَمَقٍ ومن جهلٍ ومن هَوَجٍ^٣

^١ في النسخة المحققة: جرد، بالجيم، وهو خطأ واضح.

^٢ البيت لدعبل قاله في أبي عبّاد كاتب المأمون، وكان رمى بعض الحاضرين بدواة فَشَجَّهَ بها، ضمن أبيات ثلاثة:

أولى الأمور بضيعةٍ وفساد ... أمر يدبره أبو عبّاد

حنق على جلسائه بدواته ... فمرمّل ومضخّ بمداد

وكانه من دَيْرِ هِرْقَلٍ مفلتٌ ... حَرْدٌ يجُرُّ سلاسلَ الأقيادِ

انظر: عيون الأخبار لأبي قتيبة، وربع الأبرار للزخشي، وثمار القلوب للثعالبي، وتاريخ الطبري. و(دير هرقل) يُضْرَبُ بِهِ المثل لمجتمع المجانين وَيُقَالُ المَحْنُونُ كَأَنَّهُ من دير هرقل وَذَلِكَ أَنَّهُ ماوى المجانين بِإِخْدَى الديارات يشدون هُنَاكَ ويداؤون. ولما قيل لِلْمَأْمُونِ إن دعبلًا هجاك فَقَالَ من هجا أبا عبّادَ على نزقه وعجلته جسر أن يهجوئى مَعَ أَناتى وعفوي. ودَعْبِلُ هو الحُرَاعِيُّ اسمه مُحَمَّدٌ دَعْبِلُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ رزين، من مشاهير شعراء العصر العباسي. اشتهر بتشيعة لآل علي بن أبي طالب وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين.

^٣ الهوج: الحمق.

وقال آخر^١:

ويخضدُ في الآرِيِّ حتى كأنما به جِنَّةٌ من طائفٍ غيرِ مُعقِبِ

وقال آخر^٢:

كأنه من شهودِ الجنِّ محتَضِرٌ وقد رأى عقله منه على سَفَرِ

ويقال: فلانٌ سَمِينٌ الجهلِ مهزولُ العقلِ^٣.

كون الهوى غالباً للهدى

قال عامرُ بنُ الظَّرْبِ^٤: الرأي نائمٌ والهوى يقظانٌ، فإذا هويَ العبدُ شيئاً نسيَ الله، ثم تلا قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).

- العقلُ صديقٌ مقطوعٌ والهوى عدوٌّ متبوعٌ.

^١ هو امرؤ القيس وقد وصف فرسه بالمرح وحدة القلب. انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي. والشطر الأول زدته من الديوان. وهو في قصيدته التي مطلعها:

خَلِيلِي مَرًّا بِي عَلَى أُمَّ جُنْدَبِ نُقِضَ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ

^٢ الشطر الأول أورده ابن قتيبة في كتابه المعاني الكبير في أبيات المعاني ونسبه لابن مقبل، وهو أيضاً في وصف الفرس، وأضاف: ويقال إن الجن تحضر الفرس.

^٣ على غرار: سَمِينُ الْجِسْمِ مَهْزُولُ الْحَسَبِ.

^٤ عامر بن الظرب العدواني: جاهلي، قاض من قضاة الطوائف، ومن حنفاء العرب وأئمتهم الذين تحاكم إليهم الناس في دار الحكماء بالطوائف، له أحكام أقرها الإسلام، وكان عامر ممن حرّم أكل الميتة والزنا والخمر في الجاهلية، كما أوجب ختان الذكر والأنتى.

- كم من عقلٍ أسيرٍ في يدي هوى أميرٍ .

وقيل: الهوى شريك العمى .

واتباعُ الهوى أوكدُ أسبابِ الرّدى .

قال منصورُ الفقيه^١:

إِنَّ الْمَرَّائِيَّ^٢ لَا تُرِيكَ خُدُوشَ وَجْهِكَ فِي صَدَاهَا

وَكَذَاكَ نَفْسُكَ لَا تُرِيكَ عَيْوَبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا

النهي عن اتباع الهوى

قال الله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اعصِ هواك والنساء، وأطع مَنْ شِئْتَ^٣.

^١ البيتان منسوبان أيضاً إلى ابن الرومي، وهما في ديوانه، والشطر الأول عنده: قد تَسْتُرُ الْمَرَاةُ عَنَّاكَ.

^٢ في النسخة المحققة: المرأة، وقد جاء في بعض الروايات المرائي، جمع المرأة، وبه يستقيم الوزن العروضي.

^٣ ليس بجديث، بل هو من الأقوال المأثورة، وقد نسبه البهاء العاملي في كتابه الكشكول إلى أرسطوطاليس. وأنا أعجب من الراغب على جلالته قدره في العلوم المختلفة كيف جزم بنسبة هذه المقولة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيها من الخطأ ما فيها؛ فإن عبارة (وأطع مَنْ شِئْتَ) تدخل فيها طاعة الشيطان، وطاعة الفساق، وطاعة العصاة وغير ذلك.

وقيل للناس: في قصة يوسف عليه الصلوة والسلام آياتٌ أعظمها قوله تعالى: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ).

وقال بعضُ الحكماء: إذا اشتبهَ عليك أمرانِ فانظرْ أيُّهما أقربُ من هوائِكَ فخالفه^١؛ فالصوابُ في مخالفةِ الهوى.

قال الشاعر^٢:

مَنْ أَجَابَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ دَاعِيَهُ ضَلَّ وَتَاهَا

النهي عن اتباع هوى غيرك

قال الله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ).

وقال: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

وقال: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ).

وقال بعضهم لرجلٍ: إني أهوى أن تقتلَ فلاناً، فقال له: إني لا أدخلُ النارَ في هوى غيري وإن كنتُ أدخلُها في هوائي.

^١ انظر: المجالسة وجواهر العلم لأحمد بن مروان الدينوري.

^٢ هو أبو العتاهية.

ذمُّ من اتبع هواه

قال الله تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث مهلكات: شحُّ مطاعٍ وهوى متَّبَعٍ وإعجابُ المرءِ بنفسه^١.

وقيل: اتباعُ الهوى أوكدُ أسبابِ الرَّذَى.

ووقع عبدُ الله بنُ طاهرٍ^٢ إلى عاملٍ له:

والنفسُ إنْ أعطيتها مُناها فاعرَّةٌ نحوَ هواها فاهأ^٣

وقيل: إنْ قدَّمتْ هواك على عقلِك لم تُصبِ رشداً في حياتِك، ولا أمناً بعد وفاتِك.

وأُشِد:

إنَّ الهوانَ هو الهوى جُزِمَ اسمُهُ فإذا لقيتْ هوى لقيتْ هواناً^٤

^١ رواه البزار والطبراني وحسنه الألباني.

^٢ عبد الله بن طاهر الخراساني كان أشهر حكام الطاهريين. لما توفي «طاهر» سنة (٢٠٧هـ) عهد «المأمون» إلى «عبد الله بن طاهر» بولاية «خراسان» خلفاً لأبيه.

^٣ وهو منسوب إلى أبي عبيد الطوسي.

^٤ في النسخة المحققة: أَلقيت، وهو خطأ واضح.

^٥ وفي كتاب البديع لأسامة بن منقذ ورد هذا البيت مع بيت آخر هكذا:

حمد مخالفته

قال الله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ).

وبعث مَلِكٌ إلى عابِدٍ: ما لَكَ لا تخدمُنِي وأنتَ عبيدي؟ فقال: لو اعتبرت لعلمتَ أنك عبدُ عبيدي. قال: كيف؟ قال: لأنك تتبعُ الهوى فأنتَ عبده، وأنا أملكُه فهو عبيدي. فقال: صدقتَ.

وقيل: سلطانٌ مَنْ مَلَكَ الهوى فوقَ سلطانِ مَنْ مَلَكَ الدنيا.

ذم من يجهل نفسه

قال أبو عليِّ الورَّاق^١: آفةُ الناسِ قلةُ معرفتهم بقدرِ أنفسهم.

قيل لبزرجهر^٢: أيُّ العيوبِ أعظم؟ قال: قلةُ معرفةِ المرءِ بنفسِه.

وقال المتنبي:

وإذا هويتَ فقد تعبَدك الهوى ... فاحضع لإلْفك كائناً من كانا

إن الهوانَ هو الهوى نقص اسمه ... فإذا هويتَ فقد لقيتَ هوانا

^١ له ترجمة مختصرة في حلية الأولياء لأبي نعيم.

^٢ عاش بزرجهر بن البختكان الفيلسوف اليوناني (٤٧٠ ق.م - ٣٩٩ ق.م). في الإمبراطورية الساسانية، وقد كان حكيماً فيلسوفاً وعالمياً وكاتباً ووزيراً للملك أنوشيروان.

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^١
 وقال سُقْرَاطُ^٢: لَا شَيْءَ أَضُرُّ بِالْإِنْسَانِ مِنْ رِضَاةٍ عَنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا رَضِيَ
 عَنْهَا أَكْتَفَى بِالْيَسِيرِ فِفَاتَهُ^٣ كُلِّ خَطِيرٍ.

مدح من يعرفها

قال أمير المؤمنين عليُّ كرم الله وجهه: لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ عَرَفَ قَدْرَهُ.
 وقيل: أَجْمَعُ كَلِمَةً قَوْلُ الْحَكِيمِ: أَفْضَلُ الْعَقْلِ مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ.
 وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا فَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَعَرَّفَهُ
 عِيُوبَ نَفْسِهِ^٤.

^١ في الديوان من قصيدته التي يهجو فيها كافوراً، ومطلعها: أَلَا كَلُّ مَا شِئَةِ الْحَيْرِلَى فِدَا كَلُّ مَا شِئَةِ
 الْهَيْدَبَى

وفيها: وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَاءِ

^٢ قال الواحدي في شرح ديوان المتنبي: من أعجب بنفسه ولم يعرف قدر نفسه إعجاباً وذهاباً في
 شأنه خفيت عليه عيوبه، فاستحسن من نفسه ما يستقبحه غيره، وعمي عما يراه غيره من عيوبه.
^٣ في النسخة المحققة: فعابه، وهو خطأ واضح.

^٤ عبارة (وعرفه عيوب نفسه) ليست من الحديث، فقد روى البخاري، ومسلم عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي
 سَفِيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ
 فِي الدِّينِ). وليس فيه هذه الزيادة. وقد جاءت هذه الزيادة في رواية حكم الألباني على إسنادها
 بأنه ضعيف جداً انظر السلسلة الضعيفة (٢٢٢٠).

وقيل في قوله تعالى: (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) معناه عَرَفْنَاهُمْ عيوبَ أنفسهم.

وقوف المرء على عيب نفسه

قيل لحكيم: ما أصعبُ الأشياء؟ قال: معرفةُ الإنسانِ عيبَ نفسه، والإمساكُ عن الكلامِ في ما لا يعنيه.

وقيل: قد يعرفُ نقصَ غيره من لا يعرفُ نقصَ نفسه، ولا يعرفُ نقصَ نفسه من لا يعرفُ نقصَ غيره. فاكلُ الثوم لا يجدُ نتنَ نفسه.

الحثُّ على تدبُّرِ معاييبك

قال لقمانُ عليه السلام: لا تدعِ النظرَ في مساويك كلَّ وقت، لأنَّ تركَ ذلك نقصٌ من محاسنك.

وقيل: كن في الحرصِ على تفقُّدِ عيوبك كعدوك.

الحثُّ على قَدْعِ النفس

قال الحسن^١ رضي الله عنه: اَدْعُوا^٢ هذه النفوسَ فَإِنَّمَا طُلَعَةٌ^٣.

وقال حكيم^٤: لا ينبغي لحكيم أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممتعة.

وقال أبو ذؤيب^٥:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَعَبَتْهَا فَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفَنَعُ^٥

^١ الحسن البصري رضي الله عنه.

^٢ في النسخة المحققة: اَفْرَعُوا، وهو خطأ، وقد شرحه المحقق في الهامش فقال: قدع نفسه: عابها. والتصويب الذي أثبتته هو من كتاب القصاص والمدكرين لابن الجوزي وكتاب غريب الحديث له أيضاً، قال: عن الحسن بن أبي الحسن: حَدِيثُوا هَذِهِ الْأُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّنُورِ، واقدعوا هذه النفوسَ فَإِنَّهَا طُلَعَةٌ. وَإِنَّهَا تُنَازِعُ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ وَإِنَّكُمْ إِنْ تُقَارِبُوهَا لَمْ تُبْقِ لَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا. ومعنى قدع: ردع وكف ومنع، و قَدَعَ الفرسَ: جَدَبَ لجامه ليقف. ويقال: قَدَعَ فلاتاً عن الشيء: كَفَّهُ وَمَنَعَهُ.

^٣ والطلعة مثل الهمزة واللمزة صيغة مبالغة بمعنى التي تكثر التطلع والتشوف والنظر إلى ما عند الآخرين.

^٤ أبو ذؤيب الهذلي: شاعر فحل ومخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية سنة ٢٦ هـ غازياً فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبدالله بن الزبير مع جماعة يحملون الفتح الى عثمان فلما كانوا في مصر مات أبو ذؤيب فيها.

^٥ وهو من قصيدته الشهيرة التي مطلعها: أَمِنَ المِنُونِ وَرَبِيهَا تَتَوَجَّعُ وَالدهرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِنْ يَجْرَعُ

وقيل: العاجزُ من يعجزُ عن قَدْعِ^١ نفسه.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأشدكم؟ مَنْ مَلَكَ نفسه عند العَضَبِ^٢.

النهي عن الركون إلى النفس

قال الجنيدُ^٣ رحمه الله: لا تسكُنْ إلى نفسك وإن دامت طاعتُها؛ فإن لها خدائع؛ وإن سكنتَ إليها كنتَ مخدوعاً.
وقيل: مَنْ رضي عن نفسه سخط الناسُ عليه^٤.

المسرور من عرف عيوبه

قال عمرُ رضي الله عنه: رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا^٥.
وقالت الحكماءُ: أنتَ لا ترى عيبَ نفسك، فسلْ مَنْ ترضى عقله ونصحَه يعرفُك.

^١ في النسخة المحققة: قذع، بالذال، وسبق تصويبه وبيانه في الهامش قبل قليل.

^٢ روى نحوه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ليس الشديدُ بالصُّرعةِ، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسه عند العَضَبِ.

^٣ الجنيد البغدادي (٢١٥ - ٢٩٨ هـ) عالم مسلم من أعلام الصوفية.

^٤ نسبه الآبي في نثر الدر إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

^٥ انظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري، محب الدين.

وقال رجل لمسنعراً^١: أتحبُّ أن تُهدَى إليك عيوبك؟ فقال أمّا من ناصحٍ فنعم، وأمّا من شامتٍ فلا.

وقيل: ينبغي للرجل أن يكونَ مرآةً أخيه تُريه خيره وشرّه.
قال الشاعر^٢:

أَصْبَحْتَ فِي هَيْئَةِ الْمِرَاةِ يُخْبِرُنَا صَفَاوَهَا كُلَّ مَا فِينَا مِنَ الْكَدْرِ

ماهية الحزم والعزم

قال عبدُ الملك^٣ لعمَرَ بنِ عبدِ العزيز: ما العزيمةُ في الأمر؟ قال: إصداره إذا وَرَدَ بالحزم. فقال: وهل بينهما فرق؟ قال: نعم، أما سمعتَ قولَ الشاعر:
ليستَ تكونُ عزيمةً ما لم يكن معها مِنَ الرَّأْيِ المشيّدِ رافعُ
فقال: لله دُرُك! عشتُ دهرًا وما أرى بينهما فرقاً.
وقيل لبعضهم: ما الحزم؟ قال: التفكُّرُ في العواقب.

^١ مسنعر بن كدام الهلالي الكوفي (ت ١٥٣ هـ) شيخ العراق وأحد رواة الحديث النبوي، ومن الأئمة العدول.

^٢ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد إلى جعفر المصري.

^٣ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

^٤ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط.

النهي عن الدخول فيما يصعب الخروج منه

قال: معاويةٌ لعمرو بن العاص (رضي الله عنهما) : ما بَلَغَ مِنْ دهائك؟ قال: ما دخلتُ في أمرٍ إلا عرفتُ كيف الخروجُ منه. فقال: لكَيِّ ما دخلتُ في أمرٍ قطُّ وأردتُ الخروجَ منه.

وقيل في الحكمة: إن اتسع لك المنهج، فاحذر أن يضيق بك الخروج^١.

قال الشاعر^٢:

وإذا همتَ بورِدٍ أمرٍ فالتمسِ مِنْ قَبْلِ مَوْرِدِهِ طَرِيقَ المَصْدَرِ

حمد تلقى الأمر بالحزم^٣

قيل: مَنْ لم يقدِّمه حزمه أخره عجزه^٤.

- مَنْ استقبلَ وجوهَ الآراءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَأِ^٥.

^١ المنهج: الطريق السالك السهل الدخول فيه.

^٢ قيل إنه دعبل الخزاعي.

^٣ في النسخة المحققة: بالجزم، وهو خطأ واضح.

^٤ نسبه الثعالبي في الإعجاز والإيجاز إلى أبي القاسم أحمد بن الحسن وزير السلطان محمود.

^٥ نسبه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم إلى حماد بن أبي حنيفة.

- حَذِّ الْأَمْرِ بِقَوَائِلِهِ^١.
- إِنْ رُمْتَ الْمَاحِزَةَ فَقَبْلِ الْمَنَاحِزَةِ^٢.
- قَبْلَ الرَّمِي تُمْلَأُ الْكِنَائِنُ^٣.
- قَبْلَ الْإِقْدَامِ تُرَاشُ السَّهَامُ^٤.
- دَمَّتْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّوْمِ^٥ مُضْطَجِعًا.

^١ قال الميداني في مجمع الأمثال: حَذِّ الْأَمْرِ بِقَوَائِلِهِ، أي بمقدّماته، يعني دَبَّرَهُ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ تَدْبِيرُهُ، والباء بمعنى في، أي فيما يستقبلك منه، يقال: قَبَلَ الشَّيْءُ، وأقبل. يضرب في الأمر باستقبال الأمور.

^٢ نسبه الزمخشري في أساس البلاغة إلى أكتثم بن صفيي. والمناحزة في الحرب: أَنْ يَبَارَزَ الْفَارِسَانِ حَتَّى يُقْتَلَ أَحَدُهُمَا. والمناحزة: الممانعة، وهو أن تمنعه عن نفسك ويمنعك عن نفسه، ومعناه انجُ بنفسك قبل لقاء مَنْ لا تقاومه.

^٣ قال الميداني في مجمع الأمثال: قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكِنَائِنُ، الكنائن: جمع كنانة، وهي وعاء السهم، أي تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه.

^٤ وقال الميداني أيضاً في مجمع الأمثال: يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها، وهو مثل قولهم "قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكِنَائِنُ".

^٥ في النسخة المحققة: اليوم، وهو خطأ واضح.

^٦ وقال الميداني أيضاً في مجمع الأمثال: دَمَّتْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا. ويروى "لجنبك" أي استعدت للنواب قبل حلولها، والتدميث: التلئين، والدَّمَائَةُ والدمث: اللين، ويروى أن عائشة رضي الله تعالى عنها ذكرت عمر رضي الله تعالى عنه فقالت: كان والله أَحْوْذِيًّا نَسِيحًا وَخَلِيْدًا قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا.

- اتَّقِ العِثَارَ بِحَسَنِ الاعتبارِ^١.

قال البُحْتَرِيُّ^٢:

فَتَى لَمْ يُضَيِّعْ وَجَهَ حَزْمٍ، وَلَمْ يَبْتَثْ يُلاحِظْ أعجازَ الأمورِ تَعَبًا

وقال آخرُ^٣:

وخَيْرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه وليس بأنَّ تَتَّبَعُهُ اتِّباعاً

^١ وقريب منه ما أورده الميداني في مجمع الأمثال: مَنْ تَجَنَّبَ الحَبَارَ أَمِنَ العِثَارَ، والحَبَار: الأرض المهملة فيها حجارة وشقوق. وكذلك قريب منه ما أورده أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: من سلك الجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ. والجَدَدُ: الأرض المستوية. وفي حديث عمر: كان لا يبالي أن يصلِّي في المكان الجَدَدِ. ومن سلك الجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ: يُضرب في طلب العافية.

^٢ البحتري (٢٠٥ - ٢٨٤ هـ): أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. والبيت من قصيدته الشهيرة التي يمدح فيها الفتح بن خاقان، ومطلعها:

أَجَدَّكَ ما يَنفَكُ يَسْرِي لِزَيْنِبا خيالٌ إذا أبَ الظلامُ تَأَوَّبا

^٣ هو القطامي التغلي: عمير بن شبيب بن عمرو بن عبادة، من بني جُشَم بن بكر، الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم.

^٤ والبيت من قصيدته التي مطلعها: فِفي قَبْلِ التَّفَرُّقِ يا ضُباعا ولا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الوُداعا

مدح التفكر في العواقب

قال أزدشير: ليس للأيام بصاحب مَنْ لم يتفكر في العواقب^١.

- يا عاقداً اذكرُ حلاً^٢.

- مَنْ لم يَنْظُرْ في العواقب تعرَّضَ لحادثاتِ النَّوائب.

قال الشاعر:

وَمَنْ تَرَكَ الْعَوَاقِبَ مَهْمَلَاتٍ فَأَيْسُرُ سَعِيهِ أبدأً تَبَابُ^٣

وقيل: الفكرةُ مرآةٌ تريك الحسنة والسيئات^٤.

^١ ويبدو أنه مثل عربي؛ فقد أورده الميداني في مجمع الأمثال فقال: لَيْسَ لِلْأُمُورِ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْعَوَاقِبِ، قَالَ ابْنُ صَمْرَةَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ حِينَ سَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ.

^٢ ذكره الميداني في مجمع الأمثال: يَا عَاقِداً اذْكُرْ حَلاً. فقولك حلاً نقيض العُقْد... وأصله في الرجل يشد حملة فيسرف في الاستيثاق حتى يضر ذلك به وبراحلته عند الحلول. يضرب مثلاً للنظر في العواقب.

^٣ في النسخة المحققة: تبار، بالراء، والتصويب من الجاحظ في البيان والتبيين، إذ قال: وقال آخر في التضييع والنوك:

ومن ترك العواقب مهملاتٍ ... فأيسرُ سعيه أبدأً تبابُ

فعلش في جدِّ أنوك ساعدته ... مقادير يخالفها الصوابُ

ذهاب المال في حمد وأجر ... ذهاب لا يقال له ذهابُ

^٤ نسبه أبو نعيم في الحلية إلى الحسن البصري.

إقامة العذر باستعمال الحزم

قيل: من استشار فيما نزل به صديقَه، واستخارَ ربَّه واجتهد رأيه^١، فقد قضى ما عليه، وأمن رجوعَ الملامةِ إليه.

وقيل: مِنْ أعجبِ الأشياءِ جاهلٌ يسلمُ بالتهوُّر، وعاقِلٌ يهلكُ بالتوقُّي^٢.
قال كُشاجِم^٣:

وعليّ أن أسعى وليد سَ عليّ إدراكُ النَّجاحِ^٤

^١ في النسخة المحققة: واستخار به وأجهد رأيه، وهو خطأ، والتصويب من نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، والشكوى والعتاب للتعالي، ونثر الدر في المحاضرات للآبي.

^٢ انظر: التذكرة الحمديونية لابن حمدون، ودرر الحكيم لأبي منصور التعالي.

^٣ أبو الفتح محمد بن محمود بن الحسين بن السندي المعروف بكشاجم: شاعر وأديب، من كتّاب الإنشاء وهو من أصل فارسي. تنقل بين دمشق وحلب والقدس وبغداد وحمص. واستقر في حلب بسورية، فكان من شعراء عبد الله - والد سيف الدولة بن حمدان - ثم ابنه سيف الدولة أمير حلب. وقيل في سبب تسميته كشاجم أنه اختصار لكونه كاتباً شاعراً أديباً جميلاً معنياً، فجَمَعَ ذلك كُلّه، فهو اختصار بالحرف الأول من كل صفة من هذه الصفات.

^٤ وقبله بيت آخر هو:

والدهُزُّ حَرْبٌ لِلْحَيِّ وَسَلَّمٌ ذِي الْوَجْهِ الْوَقَّاحِ

وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراكُ النَّجاحِ

تفضيل الحزم على الجهل

- الحيلة أنفع من الوسيلة^١.

قال حكيم لابنه: كن بجيكتك أوثق منك بشدتك؛ فالحرث حربٌ للمتهور،
وغنيمةٌ للمتحدراً^٢.

وقيل: الاهتداء لوجه الحيلة غنيمة جليلة.

قال الموسوي^٣:

ولستُ مقارعاً جيشاً ولكن برأبي يستضيءُ ذوو القراعِ

فضل التدبير وذويه

نظامُ الأمرِ التدبير، ورأسُ الأمرِ التقدير.

^١ في النسخة المحققة: الغيلة، والتصويب من الميداني في مجمع الأمثال، وأبي بكر الخوارزمي في الأمثال المولدة.

^٢ قال أبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك: وقال أبو السرايا وكان أحد الفتاك لابنه: يا بني كن بجيكتك أوثق منك بشدتك، ومجذرك أوثق منك بشجاعتك فإن الحرب حرب المتهور وغنيمة الحذر.

^٣ البيت مع بيت آخر وردا في شعر ابن الرومي:

ولستُ مُقارعاً جيشاً ولكن برأبي يستضيءُ ذوو القراعِ

وإني للقوي على المعالي وما أنا بالقوي على الصراعِ

وقيل^١: مَنْ فَعَلَ بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ، وقال بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ، لم يَعدِم مَنِ النَّاسِ هَازِئاً أو لَاحِياً^٢.

وقيل: فلان يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ^٣، ويعرف منابت القَصِيسِ^٤، وهما مَثَلانِ يَقَالانِ فِي مَنْ يَعْرِفُ وَجْهَ الأَمْرِ.

الحثُّ على الاشتغال بما يعينك عمّا لا يعينك

قيل لبعض الحكماء^٥: ما الحزْمُ؟ قال: حَفْظُ ما كُفِّتَ وترُكُ ما كُفِّتَ^٦.

^١ قال الطبري في تاريخه: وكان المنصور كثيراً ما يقول: من فعل بغير تدبير، وقال عن غير تقدير، لم يعدم من الناس هازئاً أو لاحياً.

^٢ في النسخة المحققة: ولا حيا، وهو خطأ واضح، واللاحى: الشاتم.

^٣ قال الميداني في مجمع الأمثال: ويروى "من حيث تؤكل الكتف" يضرب للرجل الداهي. قال بعضهم: تؤكل الكتف من أسفلها، ومن أعلى يشق عليك. ا.هـ.

^٤ قال الميداني في مجمع الأمثال: أَعْلَمُ بِمَنْبِتِ القَصِيسِ. فالعنى أنه عارف بموضع حاجته، والقصيص: منابت الكُمَّة، ولا يعلم ذلك إلا عالم بأمور النبات. ا.هـ.

^٥ هو أكتهم بن صيفي. قاله الدينوري في المجالسة وجواهر العلم: عَنِ الأَصْمَعِيِّ؛ قَالَ أَكْتَهُمُ بِنُ صَيْفِي: الحَزْمُ فِي الأُمُورِ: حِفْظُ ما كُفِّتَ، وَترُكُ ما كُفِّتَ. ا.هـ.

^٦ قال الميداني في مجمع الأمثال: الحَزْمُ حِفْظُ ما كُفِّتَ، وَترُكُ ما كُفِّتَ. هذا من كلام أكتهم بن صيفي، وقريب من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". ا.هـ.

وقيل للأحنف^١: بِمِ سُدَّتْ قَوْمَكَ؟ قَالَ: بِتَرْكِي مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَعْنِينِي، كَمَا عَنَّاكَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَعْنِيكَ.

وقال رجلٌ لأفلاطون^٢: لِمَ تَحْتَمَّتْ فِي يَمِينِكَ؟ فَقَالَ لِأَعْرِفَ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَمَنْ يَسْأَلُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ.

قال الشاعرُ:

ولا تعترضُ في الأمرِ تُكفَى^٣ شؤونه ولا تنصحنُ إلا لمن هو قابله^٤

^١ الأحنف بن قيس بن معاوية بن الحصين التميمي (نحو ٢٠ ق هـ - ٧٢ هـ): من المعاقين المشاهير، سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم.

^٢ أفلاطون (٤٢٧ ق.م - ٣٤٧ ق.م): أرسطوكليس بن أرسطون، يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو. وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم.

^٣ في النسخة المحققة: تكفي، وهو خطأ واضح.

^٤ ورد هذا البيت غير منسوب، ثالث ثلاثة أبيات، في شروح الحماسة للثريزي والمرزوقي والفارسي:

وَلَا تَعْتَرِضُ فِي الْأَمْرِ تُكْفَى شؤونه ... وَلَا تَنْصَحُنْ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ

وَلَا تَخْذُلُ الْمُؤَلَّى إِذَا مَا مُلِمَةٌ ... أَلْمَتْ وَنَازَلَتْ فِي الْوَعَى مِنْ يَنَازِلِهِ

وَلَا تَحْرِمُ الْمُؤَلَّى الْكَرِيمَ فَإِنَّهُ ... أَخْوَكُ وَلَا تَدْرِي لَعَلَّكَ سَائِلُهُ

وقال الفارسي: والمعنى: لا تتكلف ما لا يعنيك، ولا تنصح من لا يقبل منك فيذهب نصحك هدرًا. أ.هـ.

ذمُّ تارك ما يعنيه لما لا يعنيه

قال ابنُ هرْمَةَ^١:

كَتَارِكَةٌ بِيضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٌ بِيضَ أُخْرَى جَنَاحًا

وقال آخرُ^٢:

^١ ابن هرمة: إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الكنايني، وهو آخر من يُحتج بشعرهم، توفي سنة ١٧٦ هـ.

^٢ قال الميداني في جمع الأمثال: (أَمْوُقٌ مَنْ نَعَامَةٍ) وذلك أنها تخرج للطعم فرما رأَتْ بِيضَ نَعَامَةٍ أُخْرَى قد خرجت لمثل ما خرجت هي فَتَحْضُنُ بِيضَهَا وَتَدْعُ بِيضَ نَفْسِهَا، وإياها أراد ابنُ هرْمَةَ بقوله:

كَتَارِكَةٌ بِيضُهَا بِالْعَرَاءِ ... وَمُلْبِسَةٌ بِيضَ أُخْرَى جَنَاحًا

ونسبه الزمخشري في المستقصى في أمثال العرب لأبي دؤاد الإيادي.

^٣ هو الحارثُ بنُ ظالمِ المري، حِينَ هَرَبَ مِنَ النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَرِ، فلحق بقريش، وذلك في قصيدته التي مطلعها:

نَأَتْ سَلْمَى وَأَمْسَتْ فِي عَدُوٍّ ... تَحْتُ إِلَيْهِمُ الثُّلُصَ الصَّعَابَا

وفي ترجمته أنه كان أشهر فُتَّاك العرب في الجاهلية. نشأ يتيماً، وقُتل أبوه وهو طفل، وشبَّ وفي نفسه أشياء من قاتل أبيه، وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، ووفد على النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) فالتقى بقاتل أبيه (جعفر بن خالد: سيد بني عامر) فتنازعا بين يدي النعمان، فلما كان الليل أقبل الحارث على خالد وهو في مبيته فقتله. وعلمت بذلك بنو عامر فجدَّت في طلب الحارث، فعاد إلى عشيرته من عطفان، فهابوا شرَّ بني عامر فلم يجموه، فانصرف إلى حاجب بن زارة التميمي فحماه مدة ثم تجهم له، فلحق بعروض اليمامة. وبلغه أن النعمان

سَفَاهَةٌ فَارِطٍ لَمَّا تَرَوَى هَرَاقَ الْمَاءِ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا

عتب من نصب^١ نفسه لنفع غيره

قال الشاعر^٢:

بعث إلى جارات له فسيابهن، فأتى حاضنة ابن للنعمان فأخذه منها وقتله. فطلبه النعمان، فلجأ إلى بني شيبان فأووّه قليلاً. ورحل، فلحق بطييء. وكانت له في كل حي يأوى إليه حادثة. وشاع خبره في القبائل، فتحاتم العرب شرّه، ونشبت من أجله معارك كثيرة، ورحل عن طيء فجاور بني دارم، فحموه، فغزاهم الأحوص (أخو خالد بن جعفر العامري) فانهمز بنو دارم، وانطلق الحارث فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام، فقتل في حوران.

وقبل هذا البيت محل الاستشهاد:

سَفَهْنَا بِاتِّبَاعِ بَنِي بَغِيضٍ ... وَتَرَكَ الْأَقْرَبِينَ بِنَا انْتِسَابَا

سَفَاهَةٌ فَارِطٍ لَمَّا تَرَوَى ... هَرَاقَ الْمَاءِ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا

والقارط: مَنْ يسبق القوم إلى الماء ليهيئهم ويعدّه، ويجهز الحوض، والمعنى أن هذا الفارط لما روي من الماء أراق ما كان معه، واتبع السراب من جهله! فكذلك نحن إذ تبعنا بني بغيض وتركنا قريشاً. وجمع فارط: فرط، ومنه الحديث (أنا فرطكم على الحوض)، أي أتقدّمكم وأسبِقكم إليه، فيكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حَوْضِهِ، ويأتيه المؤمنون يَشْرَبُونَ منه، ومن شَرِبَ منه لا يَظْمَأُ (رواه البخاري ومسلم).

^١ في النسخة المحققة: نصر، بالراء، وهو خطأ واضح.

^٢ هو جابر بن حني التغلبي: شاعر جاهلي قديم، يذكر أنه نصراني من أهل اليمن، طاف أنحاء نجد وبادية العراق، وأشار في بعض شعره إلى منازلها. رافق امرأ القيس وحمله على راحلته عند موته مسموماً.

يُكْسِي الأَنَامَ وَيُعْرِي اسْتَهُ وَيَنْسِلُ مِنْ خَلْفِهِ^١ الأَسْفَلَ^٢
وقال العباس بن الأحنف^٣:

^١ صَوَّبَ المرزوقي في شرح الحماسة هذه الكلمة فقال: فأما قوله وينسل من خلعه الأسفل، فإنه كان يروى: من خلفه وليس يصح له معنى. والمستقيم كما روينا: من خلعه الأسفل. وذاك أن المغزل ينسل أسفله بأن يحتلعه كبتة، وهذا ظاهر.

^٢ وهذا البيت محل الشاهد ورد ضمن أبيات شرحها الفارسي، والتبريزي، والمرزوقي، في الحماسة فقالوا: وقال جابر:

أَجْدُوا النِّعَالَ لِأَقْدَامِكُمْ أَجْدُوا فَوَيْهَاً لَكُمْ جِرْوُ
وَأَبْلَغُ سَلَامَانَ إِنْ جَفَّتْهَا فَلَا يَكُ شِبْهًا لَهَا الْمِغْزَلُ
يُكْسِي الأَنَامَ وَيُعْرِي اسْتَهُ وَيَنْسِلُ مِنْ خَلْفِهِ الأَسْفَلَ

أَجْدُوا النِّعَالَ أَي اتَّخَذُوا حَاجِدِيْدَةً، وَغَيَّرُوا حَالَكُمْ وَأَحْسَنُوا زِيَكُمْ وَبَرَّتَكُمْ، وَوَيْهَاً اسْمُ فِعْلٍ كَلِمَةٌ اسْتَحْثَاثٌ، وَجِرْوُلٌ اسْمُ رَجُلٍ. وَسَلَامَانَ قَبِيْلَةٌ مِنْ هَمْدَانَ، وَالْمَعْنَى: إِنْ حَلَلْتَ فِي بَنِي سَلَامَانَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنْ لَا يَكُونُوا فِي أَحْوَالِهِمْ مِثْلَ الْمِغْزَلِ يَكْسُو الخَلْقَ وَهُوَ عُرْيَانٌ، وَيَخْرُجُ أَسْفَلَهُ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدَ خَلْعِهِ مِنَ العَزْلِ الَّذِي عَلَيْهِ. وَيَفْهَمُ مِنْ هَذَا الكَلَامِ أَنَّ بَنِي سَلَامَانَ كَانُوا يَرْتَكِبُونَ الأَهْوَالَ الَّتِي مَغَانِمَهَا لغيرهم فَلذَلِكَ جَعَلَ الْمِغْزَلَ مِثْلًا لَهُمْ لِأَنَّ عَمَلَهُ لغيره، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَ غَيْرَهُمْ وَلَا يَنْفَعُونَ أَنفُسَهُمْ.

^٣ العباس بن الأحنف الحنفي اليمامي: شاعر عباسي وُلد في اليمامة بنجد وعندما مات والده انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بها وعاش مُتنقلاً ما بين بغداد وخراسان.

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ تَضِيءُ لِلنَّاسِ^١ وَهِيَ تَحْتَرِقُ^٢

ذَمُّ الْاِقْتِصَارِ عَلَى مَجْرَدِ التَّوَكُّلِ

جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: إني أرسلُ ناقتي وأتوكلُ.
فقال: بل اعقلها وتوكل^٣.

مَرَّ الشَّعْبِيُّ^٤ بِإِبِلٍ قَدْ فَشَا فِيهَا الْجَرْبُ، فَقَالَ لِمَ صَاحِبِهَا: أَمَا تَدَاوِي إِبِلَكَ؟
فقال: إن لنا عجوزاً نتكل على دعائها. فقال: اجعل مع دعائها شيئاً
من القَطْرانِ^٥.

^١ في النسخة المحققة: الناس، وهو خطأ واضح.

^٢ وقبله بيت آخر كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة، والحماسة المغربية للجراري:

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ ... نَالَ بِهِ الْعَاشِمُونَ مَنْ عَشِمُوا

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ ... تَضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

^٣ أخرجه ابن حبان، وهو حديث حسن. والمعنى: اربط تلك الناقة في المكان الذي تركتها فيه حتى لا تذهب وتضل، ثم توكل على الله سبحانه وتعالى واسع في حاجتك، ويستفاد من الحديث: بيان أن الأخذ بالأسباب لا يُنافي التوكل.

^٤ الشعبي: عامر بن شراحيل القاضي، (٢١ - ١٠٠ هـ)، تابعي وفقيه ومحدث، ولد في خلافة عمر بن الخطاب. وعيَّنه عمر بن عبد العزيز قاضياً.

^٥ في النسخة المحققة: عجوز، بالرفع، وهو خطأ واضح.

^٦ القطران: مادة سوداء تظلي بها الجمال حين إصابتها بمرض جلدي كالجرب ونحوه.

وفي كتاب كليله: لا يمنع العاقل يقينه بالقدر من توقي المخوف، بل ليجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم^١.

قال الشاعر^٢:

والمراء تلقاه مضياً لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدر

^١ نقل ابن بطة في الإبانة الكبرى: «قرأت في كتاب كليله ودمنة، وهو من جيد كتب الهند وحكمهم القديمة: «اليقين بالقدر لا يمنع الحازم توقي الهلكة»، وليس على أحد النظر في القدر المعيب، ولكن عليه العمل بالحزم، ونحن نجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم». ا. ه. انظر: عيون الأخبار، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

^٢ سماه المرزباني في معجم الشعراء: يحيى بن زياد الحارثي، ويحيى يكنى أبا الفضل وكان شاعراً أديباً ظريفاً ماجناً خليعاً، ومنزله الكوفة وكان صديق مطيع بن إبّاس وحماد عجرد ورمي بالزندقة، له في السّفاح والمهدي العباسيين مدائح، وهو ابن خال السّفاح. توفي في أيام المهدي.

قال أبو عبيدة^١ لعمر رضي الله عنه، حين كره طواعين الشام^٢ ورجع إلى المدينة: أتفر من قدر الله؟ قال عمر: نعم! إلى قدر الله^٣. فقال له: أينفع بني ساعدة: «قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح».

^١ أبو عبيدة بن الجراح: (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ) صحابي وقائد مسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، لقبة النبي صلى الله عليه وسلم بأمين الأمة حيث قال: «إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح». وقال له أبو بكر الصديق يوم سقيفة بني ساعدة: «قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح».

^٢ وقع طاعون عمّواس في بلاد الشام أيام خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٨ هـ بعد فتح بيت المقدس، وسميت هذه السنة بعام الرمادة لما حدث بها من الجاعة في المدينة المنورة أيضاً. ويُعتبر هذا الطاعون أحد امتدادات طاعون جستينيان. وهو أول وباء يظهر في أراضي الدولة الإسلامية. بدأ الطاعون في عمّواس، وهي قرية قرب بيت المقدس، فسُمي "طاعون عمّواس"، ثم انتشر في بلاد الشام. وكان عمر بن الخطاب يهتم بدخول الشام وقتها، فنصح به عبد الرحمن بن عوف بالحديث النبوي: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فراراً منه»، فعاد عمر وصحبه إلى المدينة المنورة. وحاول عمر بن الخطاب إخراج أبي عبيدة بن الجراح من الشام حتى لا يُصاب بالطاعون فطلبه إليه، لكن أبا عبيدة أدرك مراده واعتذر عن الحضور حتى يبقى مع جنده، فبكى عمر. ويبدو أن الطاعون انتشر بصورة مريعة، عقب المعارك التي حدثت في بلاد الشام، فرغم أن المسلمين كانوا يذنبون قتلاهم، فإن عشرات آلاف القتلى من البيزنطيين بقيت جثثهم في ميادين القتال من غير أن تُدفن، حيث لم تجد جيوشهم المنهزمة دائماً الوقت الكافي لدفن القتلى. واستمر هذا الطاعون شهراً، مما أدى إلى وفاة خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين وقيل ثلاثين ألفاً، بينهم جماعة من كبار الصحابة أبرزهم: أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

^٣ روى البخاري واللفظ له ومسلم عن عبدالله بن عباس وعامر بن ربيعة أنّ عمَرَ بنَ الحَطَّابِ رضيَ اللهُ عنه خرجَ إلى الشَّامِ، حتَّى إذا كانَ بسَرْعَ لَقيَهُ أُمراءُ الأَحنَافِ؛ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأَصْحَابُهُ، فأخْبَرُوهُ أنّ الوَبَاءَ قد وَقَعَ بأَرْضِ الشَّامِ. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَقالَ عُمَرُ: ادْعُ لي المَهاجِرِينَ

الْحَدْرُ مِنَ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: لَسْنَا مِمَّا هُنَاكَ فِي شَيْءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِمَا لَا يَنْفَعُ، وَلَا يَنْهَى عَمَّا لَا يَضُرُّ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تُثْقِلُوا بَأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) وقال تعالى: (خُذُوا حِذْرَكُمْ)¹.

الأوليين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشَّام، فاختلَفوا؛ فقال بعضهم: قد خرجت لأمرٍ، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقیة الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن نُقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلَفوا كما ختَلَفَهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يخلِف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا نُقدمهم على هذا الوباء، فتأذى عمرُ في الناس: إني مُصَبَّحٌ على ظهرٍ فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدرِ الله؟! فقال عمرُ: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟! نعم نفرٌ من قدرِ الله إلى قدرِ الله، أرايت لو كان لك إبلٌ هبطت وادياً له غدوتان، إحداهما خصيبةٌ، والأخرى جذبةٌ، أليس إن رعيتَ الخصبةَ رعيتها بقدرِ الله، وإن رعيتَ الجذبةَ رعيتها بقدرِ الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوفٍ - وكان متعيباً في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علماً؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال: فحمد الله عمرٌ ثم انصرف.

¹ هذه الزيادة لم ترد عند البخاري ومسلم.

ذمُّ طلب الأمر بعد فوته

قيل: لبعض الحكماء: هل شيءٌ أضرُّ من التواني؟ فقال: الاجتهادُ في غير موضعه^١.

وقيل: العجزُ عجزان: عجزُ التقصيرِ عن الأمر^٢ وقد أمكن، والجِدُّ في طلبه وقد فات.

أخذه الشاعر^٣ فقال:

تتبعُ الأمرِ بعد الفوتِ تغريُّ وتركُهُ مقبلاً عجزُ وتقصيرُ
وقيل: شرُّ الرأيِ الدَّبْرِيُّ^٤.

^١ وفي رواية: وقته، بدل: موضعه. انظر: نشر الدر في المحاضرات للآبي، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٢ كلمة (الأمر) ساقطة من الأصل المطبوع، وهي ضرورية لاستقامة العبارة. انظر: نشر الدر في المحاضرات للآبي، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ.

^٣ هو القطامي، كما سيأتي عند الميداني في مجمع الأمثال. وهو القطامي التغلبي: عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، الملقب بالقطامي. شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم.

^٤ قال الميداني في مجمع الأمثال: شرُّ الرأْيِ الدَّبْرِيُّ. وهو الرأي الذي يأتي وَيَسْنَحُ بعد فَوْتِ الأمرِ، مأخوذ من دَبَرَ الشيء، وهو آخره، يقال: فلان لا يُصَلِّي الصلَاةَ إلا دَبْرِيًّا، أي في آخر وقتها،

قال الشاعر^١:

أَصْبَحْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادِكَ بَعْدَمَا ضَيَّعْتَ حِطَّكَ مِنْ وُقُودِ النَّارِ
الأمْر بترك التلهف على ما فات

قال الله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ).

قيل: أكبر الأدوية للبدن التلهف على ما لا يدرك.

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتٌ إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوْأَ عَنَاءً^٢

والمحدثون يقولون: دُبرياً بالضم. وقال ابن الأعرابي: دَبرياً ودُبرياً، وقال أبو الهيثم: بجزم الباء، قال الفُطامي:

وخيّر الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه أتباعاً

وقيل: الدّبري منسوب إلى دَبرِ البعير الذي يعجزه عن تحمل الأحمال، كذلك هذا الرأي يعجز عن حمل عبء الكفاية في الأمور. ا.هـ.

^١ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيّدمر.

^٢ في النسخة المحققة: وإن لو إعناء، والتصويب من الصحاح للجوهري، ونسبه إلى أبي زيد فقال: وإن جعلت لؤ اسماً شددته فقلت: قد أكثرت من اللؤ. قال أبو زيد:

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتٌ ... إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوْأَ عَنَاءً

والبيت من قصيدة لأبي زيد الطائي، أورد منها الأعلام في باب النسيب من حماسته ستة أبيات، وهي:

ولقد مت غير أبي حيٍّ ... يوم بانّت بודהا خنساء

إظهار الندامة والتأسف

قال الشاعر^١:

إذا فكرتُ في نَدَمِي عليها عضضتُ أناملي وقرعتُ سِنِّي
وقال الكسعي^٢ وخبره مشهور:

من بني عامرٍ لها شق قلبي ... قسمةً مثل ما يشق الرداء

أشربت لون صفرةٍ في بياضٍ ... وهي في ذاك لدنةٌ غيداء

كل عينٍ متى تراها من النا ... س إليها مديمةٌ حولاء

ليت شعري وأين مني ليتٌ ... إن ليتاً وإن لواءً عناء

أي ساعٍ سعى ليقطع شربي ... حين لاحت للصباح الجوزاء

وهو أبو زيد الطائي: حرمله بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة. شاعر جاهلي من قبيلة طيء في اليمن.

^١ ينسب إلى أبي العتاهية وإلى علي بن أبي طالب، في مقطوعة مطلعها:

إلهي لا تعذبني فإنني ... مقترٌ بالذي قد كان مني

^٢ الكسعيّ واسمه الكامل محارب بن قيس الكسعيّ، هو رجلٌ يُضربُ به المثل في الندامة، فيقال «ندمتُ ندامة الكسعيّ». يُنسب إلى كُسَع (قبيلة في اليمن)، ويُذكر من خبره أنه كان يرعى إبله في البر فرأى شجيرة يصلح خشبها للسِّهام فسقاها من قُرْبته وظل يسقيها كل يوم مما يحمل من ماء حتى استوى عودها وصنع منها قوساً وخمسة أسهم. ثم أتى الرجل على أرض صخرية تكثر فيها الطباء، فكمن خلف صخرة ورمى ظيباً بسهم فقدح السهم في صخرة فظن الكسعي أن السهم قد خاب، وكمن حتى أتى سرب آخر ورمى ظيباً آخر فقدح السهم شرراً في الصخر،

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطَاوَعُنِي إِذْ نَ لَقَيْتُ نَفْسِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ أَبِيكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي
وهذا هو المضروبُ به المثلُ في الندامة وإياه عنى الفرزدقُ^١ بقوله:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا غَدْتُ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

وقال صخرُ بنُ عمرو^٢:

وصنع الأمر نفسه بسهامه الخمسة، فاستبد به الغضب فهوى بقوسه على الصخرة فكسر القوس تكسيراً. غير أنه بعدما خرج من مكمنه وجد خمسة طباء مصابة على الأرض، فعلم أن أسهمه كانت تحترق كل ظبي ثم تقندح في الصخر، فندم على كسر قوسه.

^١ قال الفرزدق لما طلق امرأته نوار وندم عليها:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا غَدْتُ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

^٢ صخر بن عمرو بن الشريد: هو أخو الخنساء الذي قالت فيه بيتها الشهير: وإن صخرًا لتأتم الهدأةُ به كأنه عَلمٌ في رأسه نازُ، وله قصة ذكرتها كتب التراث، قال الميداني في مجمع الأمثال: (قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَبْرِ وَالنَّزْوَانِ) أولُ من قَالَ ذلك صَخْرُ بن عمرو أخو الخنساء. قَالَ ثعلب: غزا صخر بن عمرو بنى أسد بن جُزَيْمَةَ، فَاكْتَسَحَ إِبْلَهُمْ، فَجَاءَهُم الصَّرِيخُ فركبوا فالتقوا بذات الأثل، فَطَعَنَ أَبُو نُؤُرِ الْأَسَدِي صَخْرًا طَعْنَةً فِي جَنْبِهِ، وَأَفْلَتَ الْخَيْلُ فَلَمْ يُقَعِّصْ مَكَانَهُ وَجَوَى مِنْهَا، فَمَرَضَ حَوْلًا حَتَّى مَلَّهَ أَهْلُهُ، فَسَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ لَامْرَأَتِهِ سَلْمَى: كَيْفَ بَعْلُكَ؟ فَقَالَتْ: لَا حَيٌّ فُيْرَجِحِي وَلَا مَيِّتٌ فُيْنَعِي، لَقَدْ لَقِينَا مِنْهُ الْأَمْرِينَ، فَقَالَ صَخْرُ: أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي ...

وفي رواية أخرى: فمرضَ زمانا حتى مَلَّته امرأته، وكان يكرمها، فمر بها رجلٌ وهي قائمة وكانت ذات خَلْقٍ وإدراك، فَقَالَ لها: يَبَاغُ الْكَفَلُ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ عَمَا قَلِيلٍ، وَكَانَ ذَلِكَ يَسْمَعُهُ صَخْرُ،

أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ
وقال آخر^١:

وكنت كناشبٍ في الوحلِ ينوي نحوضاً وهو يزدادُ ارتطاماً

فَقَالَ: أما والله لئن قَدَرْتُ لأَقْدَمَنَّكَ قَبْلِي، ثم قال لها: ناوليني السيفَ أنظر إليه هل ثَقُلَهُ يَدِي،
فناولته فإذا هو لا يُثِقُّهُ، فَقَالَ:

أرى أمَّ صَحْرٍ لا تَمَلُّ عِيَادَتِي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
فَأَيُّ امْرَأَةٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةً ... فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شِقَاً وَهَوَانٍ
أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ
وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً ... عَلَيْكَ وَمَنْ يَعْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ
فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَهْمَا ... مُعَرَّسٌ يُعْسُوبُ بِرَأْسِ سَنَانِ
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتِ مَنْ كَانَ نَائِمًا ... وَأَسْمَعْتِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

وفي معنى (قد حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ) العير هو الحمار، و"النزوان" مصدر بمعنى النزو والوثوب،
يقال: نزا الحمار نَزْوًا، ونَزْوَانًا، أَي وَثَبَ عَلَيَّ أُثْنَاهُ لِلسَّفَادِ وَالْجِمَاعِ، فكأن عمرًا شَبَّهَ نَفْسَهُ فِي
مرضه وعجزه بالحمار الذي حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّفَادِ. وهو يضرب لمن عجز عن الشيء بعدما كان
يستطيعه.

^١ لم أجدّه.

مدح من لا يندم فيما يباشره

قال أبو الأصمع^١:

لا ينهضُ العجزُ في أعقابِ نُهزتهِ ولا يصاحبُ عزمًا حينَ يَحترُمُ^٢

قال المتنبي^٣:

فما تُكشِّفُكَ الأعداءُ عن مَلَلٍ مِنَ الحروبِ ولا الآراءُ عن زَللٍ^٤

وقال الموسوي^٥ في مدح بعضهم:

^١ لم أجده.

^٢ وله رواية أخرى عند محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد قال: ومنْ بابِ (لا) قولُ آخرَ يمدحُ:

لا يَحْطُرُ العجزُ في أعقابِ نُهزتهِ ... ولا يُصاحبُ عجزًا حينَ يَحترُمُ

^٣ من قصيدته التي يمدح فيها سيف الدولة، ومطلعها: أعلى الممالك ما يُبنى على الأسلِ ... والطعنُ عند محبيهنَّ كالقيلِ

^٤ جاء في شرح معاني شعر المتنبي: فما تُكشِّفُكَ الأعداءُ عن مَلَلٍ ... مِنَ الحروبِ ولا الآراءُ عن زَللٍ: قال أبو العلاء المعري: يقول: إن الأعداء جربوك، فوجدوك لا تمل حروبهم، وكذلك لا تكشفك الآراء عن زلل؛ لأن رأيك لا يكون خطأ أبدًا.

^٥ المعروف بالشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن العلوي الحسيني الموسوي. أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده.

يُعِجِبُنِي كُلُّ حَازِمِ الرَّأْيِ لَا يَطْمَعُ فِي قَرَعِ سِنَّهِ النَّدَمِ

النَّهْيِ عَنِ الْإِغْتِرَارِ^٢

وقيل في المثل: عَشٌّ وَلَا تَعْتَرَّ^٣.

وقيل: الْفِرَارُ بِقِرَابٍ أَكَيْسٍ^٤.

وقيل: لَا تَكُنْ كَمَنْ أَرَاكَ الْمَاءَ وَاتَّبَعَ السَّرَابَ^٥.

^١ من قصيدته التي مطلعها: بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّوَارِمِ الْهَمَمُ لَا سَاعِدٌ فِي الْوَعْيِ وَلَا قَدَمٌ

^٢ في النسخة المحققة: الاعتذار، وهو خطأ واضح، من قبل المعنى، ومن قبل الشواهد التي بعده.

^٣ وهو مثل يضرب في الأخذ بالأحوط، قال الميداني في مجمع الأمثال: عَشٌّ وَلَا تَعْتَرَّ، أصل المثل فيما يُقال أن رجلاً أراد أن يُفَوِّزَ بإبله ليلاً، واتَّكَل على عشب يجده هناك، فقيل له: عَشٌّ وَلَا تَعْتَرَّ بما لست منه على يقين. ومعنى يفوز: دَخَلَ الْمَقَاذَةَ أَوْ خَرَجَ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ بَحْثًا عَنِ الْكَلْبِ.

^٤ قال الميداني في مجمع الأمثال: الْفِرَارُ بِقِرَابٍ أَكَيْسٍ: كان المفضل يقول: إن المثل لجابر بن عمرو المازني، وذلك أنه كان يسير يوماً في طريقٍ إذ رأى أُنْثَرِ رجلين، وكان عائفاً (يتتبع الأثر) قائماً، فَقَالَ: أرى أُنْثَرِ رجلين، شديداً كَلْبُهُمَا عَزِيزاً سَلْبُهُمَا، والفرار بقرباب أكيس، ثم مضى. قلت: أراد ذو الفرار، أي الذي يفترُّ ومعه قِرَابٌ سيفه - إذا فاته السيف - أَكَيْسٌ مِمَّنْ يُفَيْتِ الْقِرَابَ أَيْضاً. اهـ.

^٥ مأخوذ من قول الشاعر: سَفَاهَةٌ فَارِطٍ لَمَّا تَرَوَى ... هَرَاقَ الْمَاءِ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا، وقد سبق شرحه وتخرجه.

الأمر بالإقدام بعد الاتصاح والمدح بذلك

قيل: رَوَّ بِحَرْمٍ، فإذا استوضحت فاعزِم^١.

وقيل: أحزَمُ النَّاسِ من إذا وضَحَ له الأمرُ صدَعَ فيه^٢.

وقيل: أعظَمُ الخطأ العجلة قبل الإمكان، والتأبّي بعد الفرصة^٣.

قال الشاعر^٤:

^١ رَوَّ: فعل أمر، من التروي في الأمر، يقال: عَلَيْكَ بِالتَّرْوِيِّ قَبْلَ اتِّخَاذِ الْقَرَارِ: التَّفَكِيرُ مَلِيًّا. وقد حكاه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد بصيغة أخرى فقال: يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: "رَوَّ تَحْرَمٌ، فَإِذَا اسْتَوْضَحْتَ فَاعْزِمْ" مَعْنَاهُ لَا تَعْجَلْ بِشَيْءٍ حَتَّى يَتَحَقَّقَ مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ. ا.هـ.

^٢ شرحه الراغب في كتابه الآخر الذريعة الى مكارم الشريعة فقال: قيل: أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه، وقال تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

^٣ حكاه البلاذري في أنساب الأشراف على هذا النحو: قال عبد الله بن الحسن لابنه مُحَمَّد حين أراد الاستخفاء من المنصور: يَا بَنِي إِبْنِي مُؤَدِّ إِلَى اللَّهِ حَقِّهِ فِي نَصِيحَتِكَ فَأَدِّ إِلَى اللَّهِ حَقِّهِ فِي الاستماع والقبول، يَا بَنِي كَفِّ الْأَذَى وَاسْتَعْنِ عَلَى السَّلَامَةِ بِطَوْلِ الصَّمْتِ، فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ نَفْسُكَ إِلَى الْكَلَامِ فِيهَا، فَإِنَّ الصَّمْتَ خَيْرٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْكَلامِ مَوْضِعٌ، وَلِلْمَرْءِ أَوْقَاتٌ يَضُرُّ فِيهَا خَطْوُهُ وَلَا يَنْفَعُ صَوَابُهُ. واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة، واحذر الجاهل وإن كان لك ناصحاً كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً. اهـ.

^٤ هو إياس بن معاوية بن قُرَّةَ المزيبي: كان قاضياً في البصرة وهو يعد من التابعين، وُلِدَ سنة ٤٦ للهجرة في منطقة اليمامة في نجد، وانتقل مع أسرته إلى البصرة، وبها نشأ وتعلَّم، وتردَّد على دمشق في يفاعته، وأخذ عمن أدركهم من بقايا الصحابة الكرام وجملة التابعين.

وأوقف عند الأمر ما لم يضح له وأمضى إذا ما شك من كان

مدح التجارب

التجارب ليس لها نهاية، والمرء منها أبداً في زيادة^٢.

وقيل: العقل كالسيف، والتجربة أشطر^٣.

وقيل: التجارب مرآة الغيوب ونواظر العيوب.

^١ ورواية البيت على هذا النحو تختلف عن رواية الأصل المطبوع، وقد أخذتها من المحاضر في البيان والتبيين، قال: ومدح سلمة بن عياش، سوار بن عبد الله «١»، بمثل ما وصف به إياس نفسه حين قال: وأوقف عند الأمر ما لم يضح له ... وأمضى إذا ما شك من كان ماضياً. ١هـ وقال المبرد في الكامل تعليقاً على هذا البيت: فالذي يُحمد إمضاء ما تبين رشده، فأما الإقدام على الغرر وركوب الأمر على الخطر فليس بمحمود عندي ذوي الألباب. ١هـ.

^٢ قال أصحاب كتب الأمثال: قَوْلُهُمُ التَّجَارِبُ لَيْسَتْ لَهَا نِهَآيَةٌ وَالمَرءُ مِنْهَا فِي زِيَادَةٍ، وَأَصْلُهُ قَوْلُ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ الْعُلَامَ لِيَحْتَلِمُ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ، وَيَنْتَهِي طَوْلُهُ لِإِحْدَى وَعَشْرِينَ، وَعَقْلُهُ لِسَبْعِ وَعَشْرِينَ، وَأَمَّا تَجَارِبُهُ فَإِنَّهَا لَا تَنْتَهِي. مَعْنَاهُ كَلِمَا عَاشَ وَجَرِبَ اِزْدَادَ عَقْلاً. انظر: مجمع الأمثال للميداني، وجمهرة الأمثال للعسكري، والأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام.

^٣ ومعناه أن التجربة أشد أثراً من السيف. وقد رواه أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، بلفظ مختلف، قال: وقال بعض الحكماء: العقل كالسيف والنظر كالمس.

مدح مجرّب

قيل: فلان حَلَبَ الدَّهْرَ بَأْنْتَع^١.

وهو مُؤَدِّمٌ مُبَشِّرٌ^٢.

قال الشاعر^٣:

حَلَبْتُ الدَّهْرَ مِنْ عَسَلٍ وَصَابٍ وَذَرَيْتُ الزَّمَانَ بِكُلِّ رِيحٍ
ومدح أعرابيٍّ قوماً فقال: أَدَبْتُهُمُ الحِكْمَةَ، وَأَحْكَمْتُهُمُ التَّجَارِبَ، وَمَ تَعَزَّرْتُهُمُ
السَّلَامَةَ المُنْطَوِيَّةَ عَلَى الهَلَكَةِ^٤.

^١ قال ابن قتيبة في غريب الحديث: عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ: فَلَانٌ شَرَّابٌ بَأْنْتَعُ أَي: معاود للأمر التي تُكره. وَمِنْهُ قَوْلُ الحَجَّاجِ فِي حَظْبَتِهِ: إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ العِرَاقِ شَرَّابُونَ عَلَيَّ بَأْنْتَعُ. وَقَالَ أَبُو زيد: يُقَالُ: إِنَّهُ شَرَّابٌ بَأْنْتَعُ أَي: معاود للخير وَالشَّرِّ. وَتَفْسِيرُ الْأَصْمَعِيِّ أَشْبَهَ بِمَعْنَى الحَجَّاجِ. وَالْأَنْتَعُ جَمْعُ نَتْعٍ وَهُوَ هَا هُنَا مَا يُسْتَنْقَعُ. يُقَالُ أَصْلُ هَذَا فِي الطَّائِرِ إِذَا كَانَ حَذِرًا؛ وَرَدَ المَنَافِعُ فِي الفُلُواتِ حَيْثُ لَا تَبْلُغُ القَنَاصَ وَلَا تُنْصَبُ لَهُ الأَشْرَاقُ.

^٢ قال الميداني في مجمع الأمثال: (هُوَ مُؤَدِّمٌ مُبَشِّرٌ) أَصْلُ هَذَا فِي الأَدَمِ إِذَا صُنِعَ مِنْهُ شَيْءٌ فَجَعَلَتْ أَدَمَتُهُ هِيَ الظَّاهِرَةُ، يَطْلُبُ بِذَلِكَ لِينَهُ، يُقَالُ آدَمٌ يُؤَدِّمُ إِيداماً فَهُوَ مُؤَدِّمٌ، وَإِنْ جَعَلَتْ بِشَرَّتِهِ هِيَ الظَّاهِرَةُ قِيلَ: أَبَشَّرَ يُبَشِّرُ. يَضْرِبُ لِلْكَامِلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَي قَدْ جَمَعَ بَيْنَ لِينِ الأَدَمَةِ وَخُشُونَةِ البَشَرَةِ.

^٣ في الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر بغير نسبة.

^٤ قال الخرائطي في مكارم الأخلاق: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: "وَصَفَّ أَعْرَابِيٌّ قَوْمًا، فَقَالَ: أَوْلَيْكَ قَوْمٌ أَدَبْتُهُمُ الحِكْمَةَ، وَأَحْكَمْتُهُمُ التَّجَارِبَ، وَمَ تَعَزَّرْتُهُمُ السَّلَامَةَ المُنْطَوِيَّةَ عَلَى الهَلَكَةِ، وَرَحَلَ عَنْهُمْ

ذُمُّ غير مجرّب

قيل: فلانٌ عُفْلٌ، لم تَسِمَهُ التجاربُ^١، ولم تَفْتَرِعْهُ التَّوائبُ^٢.

وعُفْلٌ، لم تَسِمَهُ التُّوبُ، ولم يَعِضَّ غَارِبَهُ القَتَبُ^٣.

وصف إعرابيٌّ والياً مغترباً فقال: ما أطولُ سُكْرَ كأسِ شَرِبَهَا، ولَمَّا يُخَافُ مِنْ عَاقِبَتِهَا أَشَدُّ سُكْرًا^٤.

المصيب بظنه

قيل^٥: مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِظَنِّهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِبِقِينِهِ.

التَّسْوِيفُ الَّذِي قَطَعَ النَّاسُ بِهِ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ، فَقَالَتْ أَلَسِنْتُهُمْ بِالْوَعْدِ، وَأَنْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ، وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ "

^١ من وَسَمَهُ يَسِمُهُ: عَلَّمَهُ بعلامة. يعني أن التجارب لم تترك فيه أثراً لأنه غير مجرّب.

^٢ يعني غير مجرّب لم تختبره الشدائد.

^٣ النوب: التائب، والغارب: الحبل، والقرب: الرحل. والمعنى أيضاً أنه غير مجرّب.

^٤ يعني إن كان مفتوناً بمنصبه فإنه سيكون أشد فتنة ساعة الحساب. والعبارة فيها تغيير عن عبارة الأصل المطبوع نقلته من التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٥ نسبه أبو عبيد البكري في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لَهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ^١.
 وقال عليه الصلاة والسلام: اتقوا فراسة المؤمن فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ^٢.
 وكان عمرُ (رضي الله) عنه يُقَالُ لَهُ المَحَدَّثُ^٣ لِصِحَّةِ ظَنِّهِ^٤.

^١ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس بن مالك، وحسنه الألباني.

^٢ رواه الترمذي، وضعف الألباني إسناده. انظر السلسلة الضعيفة (١٨٢١).

^٣ المَحَدَّثُ: الملمهم الذي يرى الرَّأْيَ وَيُظَنُّ الظَّنَّ، فيكون كما رأى وكما ظنَّ.

^٤ ففي الحديث (لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمُرٌ). رواه البخاري ومسلم. وقصة (يا ساريةُ الجبل) دليل على ذلك، فقد قيل إن عمر كان يخطف على منبر النبي يوم الجمعة، فعرض له في خطبته أن قال: (يا ساريةُ، الجبلُ الجبلُ، من استرعى الذئب ظلم). فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال علي بن أبي طالب: ليخرجن مما قال، فلما فرغ من صلاته قال لهُ علي: ما شيء سَنَحَ لَكَ فِي خُطْبَتِكَ؟ قال: وما هو؟ قال: قولك: (يا ساريةُ، الجبلُ، الجبلُ، من استرعى الذئب ظلم)، قال: وهل كان ذلك مني؟ قال: نعم. قال: وقع في خَلْدِي أَنْ المَشْرِكِينَ هَزَمُوا إِخْوَانَنَا فَرَكِبُوا أَكْتافَهُمْ، وَأَنَّهُمْ يَمْرُونَ بِجَبَلٍ، فَإِنْ عَدَلُوا إِلَيْهِ قَاتَلُوا مِنْ وَجَدُوا، وَقَدْ ظَفَرُوا، وَإِنْ جَاوَزُوا هَلَكُوا، فَخَرَجَ مِنِّي مَا تَزَعَمُ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ. قال: فجاء البشير بالفتح بعد شهر، فذكر أنه سمع في ذلك اليوم، في تلك الساعة، حين جاوزوا الجبل، صوتاً يشبه صوت عمر: يا ساريةُ، الجبلُ، الجبلُ، قال: فعدلنا إليه، ففتح الله علينا.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن يكن في هذه الأمة مُحدّث فهو عُمَرُ^١.
ويقال: فلان ألمعي^٢.

وقيل: ما تراحمتِ الظنونُ على أمرٍ مستورٍ إلا كشفتهُ^٣.
قال الشاعر^٤:

ولَكنْ تحت ذاك الشَّيبِ حَزْمٌ إذا ما ظنَّ أَمْرَضَ ° أو أصابا

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ جاء في زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي: والمعنى إنّه ذو ذكاء قوي وفراسة ووطن مصيب.

^٣ نسبه أسامة بن منقذ في لباب الآداب لبطليموس.

^٤ جزم المبرد في كتاب الفاضل أن الشاعر هو كثير، في عبد الملك بن مروان.

^٥ وفي النسخة المحققة: أعرض، وهو لفظ غامض، وقد جاء تصويبه عند الجوهري في الصحاح في اللغة والعلوم، فبعد ما روى البيت شرع في شرح لفظه (أمرض) فقال: وأمْرَضَ الرجلُ، أي قارب الإصابة في الرأي. وقد رواه الجاحظ في الرسائل والبيان والتبيين على هذا النحو، ومعه بيت آخر فقال: وقال كثيرٌ يمدح بمثل ذلك عبد الملك بن مروان:

رأيت أبا الوليد غداة جمع ... به شيبٌ وما فقد الشَّبَابا

ولكن تحت ذاك الشَّيبِ حَزْمٌ ... إذا ما ظنَّ أَمْرَضَ أو أصابا

وقال^١:

نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَخُو مَاقِطٍ^٢ نِقَابٌ^٣ يَجْبُرُ بِالْغَائِبِ^٤

^١ هو أوس بن حجر: أوس بن حجر بن مالك الأسيدي التميمي، شاعر مضر، (٢-٩٥ ق.هـ)، من كبار شعراء تميم في الجاهلية، كان أوس زوج أم زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة. عمّر طويلاً (حوالي ٩٠ عاماً).

^٢ في النسخة المحققة: مارق، وهو لفظ غير مفهوم في هذا التركيب، والصحيح: ماقط، والتصويب من المبرد في كتاب التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا. ومعنى الماقط: الذي يتكهن بأمر الغيب فتقع كما تكهن.

^٣ في النسخة المحققة: يكاد، وهو لفظ ضعيف في هذا التركيب، والتصويب من المبرد في الموضوع السابق.

^٤ قال المبرد في شرح هذا البيت: وقوله نجيح مريح أخو ماقط يقول: هو في السلم سهل مبتذل حلو مقبول، ولا يمنعه ذلك من أن يكون جلدأ في الحرب. والمأقط: موضع مجتلد القوم. وهو مع هذا فطن طين، منقّب طواف ببدنه وفكره، يظن فيصيب. فذلك قوله يجبر بالغائب. وقوله نِقَابٌ أي منقّب في الأمور، كما قال الله جل وعز: فنقّبوا في البلاد، هل من محيص. ١.هـ (انظر: التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا للمبرد) وحكى قدامة بن جعفر في نقد الشعر هذا البيت ضمن أبيات أخرى فقال: ومن المراثي التي تشبه في المديح اقتضاب المعاني واختصار الألفاظ، ما قاله أوس في قصيدته يرثي فضالة التي أولها:

ألم تكسف الشمس شمس النها ... ر مع النجم والقمر الواجب

لهلك فضالة لا تستوي ال ... ففقد ولا حلة الذاهب

وأفضلت في كل شيء فما ... يقارب سعيك من طالب

وقال البحتري^١:

وَإِذَا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ^٢ يَوْمًا فَسَوَاءٌ ظُنُّ امْرِئٍ

وقال الموسوي^٤:

وَلَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ إِلَّا طَلِيعَةً مِّنَ الْحَزْمِ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا
مَدْحُ الشُّكِّ وَسُوءُ الظَّنِّ

قيل: بوَحْشَةِ الشُّكِّ يُنَالُ أَنْسُ الْيَقِينِ.

وقيل: عليك بسوء الظنِّ، فإن أصاب فالحزم، وإن أخطأ فالسلامة^٦.

نجيح مليح أخو ماقط ... نقاب يجبر بالغائب

ويكفي المقالة أهل الدحا ... ل غير معيب ولا عائب

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: لاجديدُ الصبا ولا ريعانهُ راجعٌ بعد ما تقضى زمانهُ

^٢ الرويئة: النظرُ والتفكيرُ في الأمور، وهي عكس البديهة. والعرب تقدم البديهة على الروية.

^٣ يعني إذا كان المرء ذكياً فاهماً فنظره وفطنته سواء في دلالته على الأمور.

^٤ سبقت ترجمته. والبيت من قصيدته التي مطلعها:

لُعَامُ المِطَايَا مِّنْ رُّضَائِكَ أَعْدَبُ وَنَبْتُ الْفِيَا فِي مِثْلِكَ أَشْهَى وَأَطْيَبُ

^٥ والمعنى: لا أعلم الغيب ولكني حازم أدرك عواقب الأمور وما يخفى منها بالذكاء والفهم.

^٦ انظر: الذخائر والعقريات للبرقوقي، ونشر الدر في المحاضرات للآبي. وفي هذا قال بعضهم: إن

قوله تعالى: {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ}: دلالة على أن جلّه صواب. كما سيأتي.

قال الشاعر^١:

وَحُسْنُ الظَّنِّ عَجَزٌ فِي أُمُورٍ وَسُوءُ الظَّنِّ يَأْخُذُ بِالوَثِيقِ

وقيل: مَنْ أَطَالَ الرِّكَونَ قَلَّ رِكَونُهُ^٢.

وقول الله تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ) دلالة على أَنَّ جُلَّه صواب^٣.

وقال عبد الملك: فَرَّقُ ما بَين عُمَرَ وَعِثْمَانَ أَنَّ عُمَرَ أَسَاءَ ظَنَّهُ فَأَحْكَمَ أَمْرَهُ وَعِثْمَانُ أَحْسَنَ ظَنَّهُ فَأَهْمَلَ أَمْرَهُ^٤.

وقيل لبعضهم: أَسَأَتِ الظَّنَّ، فقال: إِنَّ الدُّنْيا لَما اِمتَلَأَتْ مِكارَهَ وَجَبَ عَلى العاقلِ أَنْ يَمَلَأَها حَذراً^٥.

وقال أبو محمد الخازن^٦:

^١ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

^٢ هو شطر بيت لابن الرومي، وتمامه: كم ركوني جنى عليك جذاراً مَنْ أطال الركونَ قلَّ ركونه، وهو من قصيدته التي مطلعها: غابن الحمد حقه مغبوته وهوان العلاء على المرء هوته

^٣ انظر: الذخائر والعبريات للبرقوقي.

^٤ انظر: الذخائر والعبريات للبرقوقي، ونثر الدر في المحاضرات للآبي، وتفسير السمعياني.

^٥ انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي، والذخائر والعبريات للبرقوقي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٦ أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن: من أعيان أصبهان في القرن الرابع، شاعر وكاتب ومن خواص الصاحب بن عباد وكان يتولى خزانة كتبه.

وما شكِّي وإنْ أكثرْتُ إلا محاماةً على الشيءِ اليقينِ

ذمهما

قال الله تعالى: (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ).

وقال شيخٌ لرجلٍ: أظنُّكَ كاذباً، فقال: أحقُّ ما يكونُ الشيخُ إذا استعملَ ظنَّهُ^١.

وقال^٢:

عُرِّرْتُ وَأَطَمَعَتَكَ ظُنُونُ إِفِكٍ وَأَضَعَفُ عِصْمَةِ عِصْمِ الظُّنُونِ

وقال المتنبِّي^٣:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يِعْتَادُهُ مِنْ تَوْهُمِ

^١ جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر، والمختبى لابن دريد: قال مروان بن الحكم لحبيش بن دجلة القيني: إني لأظنك أحق، فقال ظناً أم يقيناً؟ قال بل ظناً، قال إن أحق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنه.

^٢ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد إلى امرأة من قريش.

^٣ في ديوانه.

مدح التغافل

سئل حكيمٌ: ما اللبيب؟ فقال: الفطنُ المتغافلُ^١.

ولما أمضى معاويةُبيعةَ يزيدَ قال يزيدُ: يا أبتِ ما أدري أنخذُ النَّاسَ أم يخذعوننا بما يأخذون منا؟ فقال: يا بُنيَّ مَنْ خَدَعَكَ فأنخذعتَ له فقد خَدَعْتَهُ^٢.

وقيل: إذا أردتَ لباسَ المحبةِ فكن عالماً كجاهلٍ^٣.

وقيل: مَنْ تغافلَ فعقلوه، ومن تكايسَ فطبطبوه، أي العبوا به على الطبطابة^٤.

قال الشاعر^٥:

ليس الغبيُّ^٦ بسيدٍ في قومِهِ لكنَّ سيِّدَ قومِهِ المتغابي

^١ جاء في معجم ابن المقرئ وحلية الأولياء لأبي نعيم: قال الشافعي: «الليبيب العاقل، هو الفطن المتغافل».

^٢ كذا رواه الراغب الأصفهاني في الذريعة الى مكارم الشريعة.

^٣ جاء في كتاب التاسع من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: كَانَ يُقَالُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَلْبَسَ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَتَتَحَلَّى بِجِلْيَةِ الْمُرُوءَةِ عِنْدَ الْعَامَّةِ فَكُنْ عَالِمًا كَجَاهِلٍ وَنَاطِقًا كَعَبِيٍّ. وكذا ورد في الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع.

^٤ الطَّبْطَابَةُ: خشبةٌ عريضةٌ يُلْعَبُ بها بالكُرَّةِ.

^٥ منسوب لأبي تمام.

^٦ في النسخة المحققة: الغني، وهو خطأ واضح.

ولأبي فراسٍ وقد أجاد:

تَغَابَيْتُ عَنْ قَوْمٍ فَظَنُّوا غَبَاوَةً بِمَفْرِقِ أَغْبَانَا حَصَى وَثُرَابٍ^١

من لا يُخَدَعُ لعقله

قال عمرو بن العاص: ما رأيتُ أحداً كَلَّمَ عُمَرَ رضي الله عنه إلا رَحِمْتُهُ؛ لأنه كان لا يُخَدَعُ أحداً لفضله، ولا يخدعه أحدٌ لفطنته.

وقال إياس بن معاوية^٢: لستُ بخبٍّ ولا الخبُّ يخدعني^٣.

وقيل لرجلٍ: فيك فِطْنَةٌ، فقال: ما ذنبي إذا خلقتني الله عاقلاً.

مدح التثبُّت

قال الشَّعْبِيُّ: أَصَابَ مَتَأْمَلٌ^٤ أو كَادَ، وأخطأ مستعجلاً أو كَادَ.

وقال عمرو بن العاص: لا يزال المرءُ يجني من ثمرة العَجَلَةِ الندامةَ.

^١ وبعده: وَلَوْ عَرَفُونِي بَعْدَ مَعْرِفَتِي بِهِمْ ... إِذَا عَلِمُوا أَيَّ حَضْرَتٍ وَعَابُوا

^٢ إياس بن معاوية بن قرّة أبو واثلة المزني البصري قاضي البصرة وأحد الأعلام.

^٣ وينسب أيضاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

^٤ المتأمل: الميثب، تقول: تأمل فلان: إذا تثبّت ونظّر في الأمر.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا دَخَلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا
الْحُرْقُ^١ إِلَّا شَانَهُ^٢.

قال الشاعر^٣:

لَا تَعَجَلَنَّ فَرَبَّمَا عَجَلَ الْفَتَى فِي مَا يَضُرُّهُ

وقال الموسوي^٤:

وَشَوْكَةِ ضِغْنٍ مَا انْتَقَشَتْ شَبَابَهَا^٥ ذَهَابًا بِنَفْسِي أَنْ يُقَالَ عَجُولٌ

^١ في النسخة المحققة: الحرف، بالفاء، وهو خطأ واضح. والحُرْق: الجهل والخمق، ضد الرفق. وفي الأثر: الرَّفْقُ بِمَنْ، والحُرْقُ شُؤْمٌ.

^٢ رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَابْنُ حَبَانَ. والرواية الشهيرة عند مسلم: مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ.

^٣ هو عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

^٤ أورده التنوخي، المحسن بن علي في الفرج بعد الشدة مع بيتين آخرين فقال: وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ أُبَيَاتٍ:

لَا تَعَجَلَنَّ فَرَبَّمَا ... عَجَلَ الْفَتَى فِيمَا يَضُرُّهُ

والعيش أحلى ما يعود ... على حلاوته مُبْرَهُ

ولربما كره الفتى ... أمراً عواقبه تسرُّهُ

^٥ هو الشريف الرضي.

^٦ يعني ما نزعَتْ إِبْرَهْمًا. والمعنى أنه لا يسرع إلى دفع الضر عن نفسه مخافة اتهامه بأنه قليل الصبر.

مدح العجلة

لأبي العيناء^١ وقد قيل له: لا تعجل؛ فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال نبيُّ الله موسى عليه السلام (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى).

وقيل: المتأني في علاج الداء بعد أن عَرَفَ الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بجواشي ثيابه.

وسأل أبو عليّ البصير^٢ ابنَ منارة^٣ حاجةً فقال: رُحْ إلى وقتِ العصر فجاء وقتَ الظُّهر، فقال: ألمْ أعدك وقتَ العَصْرِ؟ فقال: نعم، ولكن رأيتُ الإفراطِ في الاستظهارِ أحمدَ (من الاستظهارِ في التواني)^٤.

^١ محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان اليمامي الهاشمي (١٩١ - ٢٨٣هـ) ولُقّب بأبي العيناء. شاعر من العصر العباسي الأول، عُرف بالفصاحة والظرافة، وتُرَوى عنه نوادر كثيرة.

^٢ أبو عليّ الفضل بن جعفر البصير أو الضيرير شاعر وكاتب عراقي. نشأ في الكوفة وهو من أصل فارسي. كان ضريبًا. رحل إلى بغداد ثم إلى سامراء سنة ٢٢١ هـ. ومدح عددًا من الخلفاء والأعيان، وخالط الأدباء. كان كاتبًا رساليًا وشاعرًا جيد الشعر.

^٣ الأمير يحيى بن عيسى بن منارة.

^٤ ما بين القوسين زيادة من البرقوقي في الذخائر والعقبريات، وقد قال إن الاستظهار هنا معناه: الاحتياطُ والاستيقاظ.

ما تُحمد فيه العَجَلَة

قال معاوية: ما مِنْ شَيْءٍ يَعدِلُ الثُّبُتَ، فقال الأحنف: إلا (في ثلاثٍ يا أمير المؤمنين قال: وما هي؟ قال:) أن تبادرَ بالعملِ الصالحِ أجلك، وتعجلَ إخراجِ ميتك، وتُنكحَ الكفاءَ ابنتك (قال صدقت أبا بحر)^١.

مدح انتهاز الفرصة

قيل: الهيبَةُ خَيْبَةٌ والفرصةُ تمرُّ مرَّ السَّحابِ^٢.

وقيل: انتهزِ الفرصةَ قبلَ أن تَعودَ عُصَّةُ^٣.

الافتراضُ اقتناصٌ.

وقيل: الفرصةُ: ما إذا أخطأكَ نفعُهُ لم يُصَبِّكَ ضرُّه.

التفكر في العواقب

قيل: احمِلْ^٤ تغنم، ولا تفكّر في العواقب فتَهزم.

^١ ما بين الأقواس زيادة من البلاذري في أنساب الأشراف.

^٢ نسبه الآبي في نثر الدر في المحاضرات إلى علي رضي الله عنه.

^٣ قال الزمخشري في المستقصى في أمثال العرب: لِأَنَّكَ تَسْقُطُ فِي يَدِكَ غَبٌّ فَوَاتَهَا.

^٤ في النسخة المحققة: احمد، بالبدال، وهو خطأ واضح، والصواب احمِل، من الحملة على العدو، قال الوطواط في غرر الخصائص الواضحة: وجد على سيف مكتوب: أيها المقاتل احمِل تغنم ولا تفكر في العواقب تندم.

قال الشاعر^١:

إذا حَدَّثَتْهُ النفسُ أمضى حديثَها وهان عليه ما يرى في العواقبِ^٢
وقيل: مَنْ تفكَّرَ في العواقبِ لم يشجُع في النَّوائبِ.

^١ هو منصور بن باذان الاصفهاني: من شعراء القرنين الثاني والثالث المهجريين، وله مع أبي دلف طرائف. وكان منصور من المجيدين لا سيما للهجو فإنه كان أهجى الناس.

^٢ قال ابن المعتز في طبقات الشعراء: ومن مختاراته (منصور بن باذان) في أبي دلف يمدحه:

إذا حدثته النفسُ أمضى حديثَها ... وهان عليها ما يرى في العواقبِ
فما إن تراه الدهر إلا معزراً ... بنفسٍ أبث إلا صعبَ المطالبِ
يعاف من الكسب الذي ليس دونه ... جِمامُ المنايا أو قِراعُ الكتائبِ
إذا فاجأته الخيلُ لم ينتظر لها ... لحاقَ رجالٍ واجتماعَ مقانبِ
ولكنه يرمي الصفوفَ بنخوةٍ ... إذا جشأت نفسُ الجبانِ المواربِ
يكون، إذا قالوا: البراز، أمامها ... ويُلْفى إذا ولَّت جِمي كلَّ هاربِ
ولست تراه الدهرَ إلا مغامساً ... بِخوضِ رماحٍ لاكتسابِ الرغائبِ
فأحرِ بهذا إن توق حمامه ... إذا كان يستدعيه من كل جانبِ
ومن قارع الأبطالِ أوشك أن يرى ... منيَّته بين القنا والقواضبِ

طلب الأمر بالمداراة

قال الأحنف^١: عجبْتُ لِمَن طلبَ أمراً بالمغالبة وهو يقدرُ عليه بالملايئة،
ولِمَن طلبَ أمراً بخرق^٢ وهو يقدرُ عليه برفقٍ.
وقيل لبعضهم: ما الدهاء؟ فقال: قتلُ العدوِّ في لطفٍ.

مدافعة العدو بالمداراة

في كتاب كيلة: لا تسلم من العدو القويِّ بمثل التذلل والخضوع، كما أن
الحشيشَ إنما يسلم من الريح العاصفِ بانثنائه معها، أينما مالت به الريحُ
ساعدته^٣.

أخذه ابنُ الرومي^٤ فقال:

كالريح والزرع استكانَ لمرّها
وعمت فلم تقدِرْ على تقصيفه
كم قد نجا منه الضعيفُ وما نجا
منه العنيفُ بلقهِ ولفيفه
ومتاتن^٥ الجزعُ الأبى مُهزّه
فأتت عليه ولم تُرعِ لحفيفه

^١ وينسب أيضاً إلى معاوية.

^٢ سبق توضيح معنى (خرق) عن الكلام عن حديث: ما كان الرفق في شيء إلا زانه.

^٣ المسلم لا يعرف التذلل والخضوع إلا الخالق.

^٤ من قصيدته التي مطلعها: وقفَ الهوى بك بعد طول وجيفه ... وأفاق من يلحاك من تعنيفه

^٥ في النسخة المحققة: ومتاتن، والتصويب من الديوان.

ولهذا البابِ نظائرٌ في العداوات.

الجهل بمستقبل الزمان

قال الله تعالى مخبراً عن النبي عليه السلام: (وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْعَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنْ الْحَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ).

قال القطامي^١:

وَمَا يَعْلَمُ الْعَيْبَ امْرُؤٌ قَبْلَ مَا يَرَى وَلَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسْتَبِينَ دَوَابِرُهُ^٢

وقال آخر^٣:

تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتُقْبَلُ أَشْبَاهُا عَلَيْكَ صَدُورُهَا

^١ سبقت ترجمته.

^٢ في النسخة المحققة: دوائره، بالهمزة بدل الباء، وهو خطأ واضح. والتصويب من حماسة البحري.

^٣ من قصيدة طويلة قال عنها صدر الدين البصري في الحماسة البصرية: وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعِ بْنِ لَقِيَطِ الْأَسَدِيِّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْسِبُهَا إِلَى شَيْبِ بْنِ الْبُرْصَاءِ وَقِيلَ إِنَّهَا لِعُوفِ بْنِ الْأَحْوَصِ الْكَلَابِيِّ، وَفِيهَا اخْتِلَافٌ رِوَايَاتٍ.

ومما جاء في المشاورة والاستبداد بالرأي

الحثُّ على مراجعة الأوداء^١ ومدح المشاورة

قال الله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وقيل: مَنْ شَاوَرَ أَهْلَ النَّصِيحَةِ سَلِمَ مِنَ الْفَضِيحَةِ.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: المشاورةُ حصنٌ مِنَ النَّدَامَةِ، وَأَمْنٌ مِنَ الْمَلَامَةِ^٢.

وقيل: مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَنْ مَشُورَةٍ^٣.

^١ جمع ودود.

^٢ بل هو من قول عليّ، والعجيب أن الراغب الأصفهاني في كتابه الآخر الذريعة الى مكارم الشريعة جزم بذلك فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "المشاورة حصن من الندامة وأمن من الملامة".

^٣ قال ابن وهب في الجامع: عَنِ ابْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، قَالَ: يُقَالُ: «مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَنْ مَشُورَةٍ، وَلَا سَعِدَ بِتَوْحُودٍ».

وقيل: الرأي الواحد كالخيط السحيل^١، والرأيان كالخيطين^٢، والثلاثة مِرار^٣ لا ينتقض^٤.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: نِعَمَ الْمُؤَاوَزَةَ الْمُشَاوِرَةَ، وَبِئْسَ الْإِسْتِعْدَادُ الْإِسْتِبْدَادُ^٥.

الْأَحْمَقُ مَنْ قَطَعَهُ الْعُجْبُ عَنِ الْإِسْتِشَارَةِ وَالْإِسْتِبْدَادُ عَنِ الْإِسْتِخَارَةِ^٦.
مَنْ شَاوَرَ الْأَوْدَاءَ أَمِنَ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

^١ في النسخة المحققة: كالسجيل، وهو خطأ واضح. والصواب السحيل وهو الخيط غير المفتول.

^٢ في النسخة المحققة: كالخيطتين، وهو خطأ واضح. والصواب: كالخيطين.

^٣ في النسخة المحققة: أمداد، وهو خطأ واضح. والصواب مِرار وهو الجبل الذي أجيد فتلته. والتصويب من ابن قتيبة.

^٤ قال ابن قتيبة في عيون الأخبار: قال عمر بن الخطاب: «الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين الميرمين، والثلاثة مِرار لا يكاد ينتقض».

^٥ بل هو أيضاً من قول عليّ، انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وروض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار للأمامسي، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط، وأدب الدنيا والدين للماوردي.

^٦ نسبه الجاحظ في البيان والتبيين لجامع المحاربي، فقال: وعن جامع المحاربي، وكان شيخاً صالحاً، خطيباً لسناً، وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط: «بنيتهما في غير بلدك، وأورثتها غير ولدك، وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة».

نصفُ رأيِكَ معَ أحيكَ فاستشِرْه^١.

الحثُّ علىِ مشاورةِ الحازمِ اللبيبِ

قال الجاحظُ: أحسنُ ما قيلَ في المشورة قولُ بشَّار:

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنِ بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ^٢
وقوله^٣:

^١ نسبه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، والقليعي في تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، إلى ابن المعتز.
^٢ الخوافي: ريش صغير ضعيف في مؤخرة جناح الطائر تقوى به القوادم. والقوادم: مفرد قادمة: إحدى ريشات عشر كبار في مقدمة جناح الطائر. وهو تشبيه ضمني: يوصي باستشارة من يكون ذا رأي صائب، فكأنه قال: إنَّ آراءَ الذين تستشيرهم تقويك، وتسنذك مثلما تقوي الخوافي القوادم في الطير.

^٣ هو أبو الأسود الدؤلي، والبيتان في ديوانه، صنع السكري، ضمن أبيات:

أَمِنْتُ عَلَى السِّرِّ امْرَأَةً غَيْرَ حَازِمٍ ... وَلَكِنَّهُ فِي النُّصْحِ غَيْرُ مَرِيْبٍ

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَتْهُ ... بَعْلِيَاءَ نَارًا أَوْقَدَتْ لِثَقُوبِ

يقال: ثقتب النار: إذا طرحت عليها الحطب ليرتفع لهبها.

وَكُنْتُ مَتَى لَا تَرَعُ سِرِّكَ تَنْتَشِرُ ... فَوَارِعُهُ مِنْ مَخْطِئِي وَمُضْيِبِ

فوارعه: أعاليه

فَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نُصْحَهُ ... وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصْحَهُ بِلِيبِ

فَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِيكَ نُصَحَهُ وَمَا كُلُّ مَوْتٍ نَصَحَهُ بِلَيْبِ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ
وقال عبد الله بن معاوية^١:

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرِ لَيْبًا وَلَا تَعْصِهِ

وقال عمر رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ذو عقلٍ ورأيٍ فهو يعمل عليه،
ورجل إذا حَزَنَهُ^٢ أمر أتى ذا رأيٍ فاستشاره، ورجل حائر^٣ بائر لا يَأْتَمُرُ^٤ رَشْدًا
ولا يُطِيعُ مُرْشِدًا^٥.

وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ ... فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ

^١ والبيت منسوب أيضاً لطرفة بن العبد في قصيدة مطلعها:

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأُرْسِلُ حَكِيمًا وَلَا تَوْصِيهِ

^٢ في النسخة المحققة: أحزنه، وهو خطأ واضح.

^٣ في النسخة المحققة: جائر، بالجيم.

^٤ في النسخة المحققة: يأتي، والتصويب من الميداني كما في الهامش التالي.

^٥ قال الميداني في مجمع الأمثال تعليقا على المثل (أَوَّلُ الْحَزْمِ الْمَشُورَةُ): ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الرجال ثلاثة: رجل ذو عقلٍ ورأيٍ، ورجل إذا حَزَنَهُ أمر أتى ذا رأيٍ فاستشاره، ورجل حائر بائر لا يَأْتَمُرُ رَشْدًا ولا يُطِيعُ مُرْشِدًا. ا.هـ. وكذا أورده أبو عبيد البكري في فصل المقال في شرح كتاب الأمثال.

الحثّ على استشارة الكبار

قال زياد^١ لأبي الأسود: لولا أنك كبرت لاستعملتكَ واستشرتُكَ، فقال: إن كنتَ تريدني للصراع فليس عندي^٢، وإن كنتَ تريدُ الرأي فهو أوفر^٣ مما كان. وقيل: زاحمٌ بعوُدٍ أو دَعٌ^٤.

^١ هو زياد بن أبيه: قائد عسكري، كان من أعلام عهد الخلافة الراشدة، وسياسي أموي شهير، لم يعرف اسم أبيه ونسبه فقيل إنه زياد بن عبيد الثقفي، وقيل إنه ابن أبي سفيان، بعد أن استلحقه معاوية بن أبي سفيان. ساهم في تثبيت الدولة الأموية وكان واحدًا من دهاة العرب.

^٢ في النسخة المحققة: في.

^٣ في النسخة المحققة: وافي. والتصويب من ديوان أبي الأسود، صنعة السكري قال: قال زياد لأبي الأسود: لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا فقال: إن كنت تريدني للصراع فليس عندي، وإن كنت تريد رأبي وعقلي فهو أوفر مما كان. وأنشأ يقول:

رَعَمَ الأَمِيرُ أبو المَغِيرَةِ إِنِّي ... شَيْخٌ كَبِيرٌ قَد دَنَوْتُ مِنَ البَلِي

صَدَقْتُ الأَمِيرُ لَقَد كَبَرْتُ وَإِنَّمَا ... نَالَ المَكَارِمَ مَن يَدْبُ عَلَى العَصَا

يَا بَا المَغِيرَةَ رَبِّ أَمْرٍ مُّبْهِمٍ ... فَرَجَّحْتُهُ بِالحَزْمِ مِثِّي وَالدَّهْمِ

^٤ قال ابن جني في الخصائص: ومنه المثل السائر: زاحمٌ بعوُدٍ أو دَعٌ، أي زاحم بقوة أو فاترك ذلك. اهـ. وقال الجوهري في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ويقال في المثل: "زاحمٌ بعوُدٍ أو دَعٌ" أي استعن على حريك بأهل السنّ والمعرفة، فإن رأي الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام. والعوُد: الشيخ المسنّن.

وقيل: عليك برأي الشيوخ، فقد مرّت على وجوههم عيون العبر وتصدّت^١ لأسماعهم آثار الغير^٢.

الحثّ على استشارة الصغار

قال هرم^٣: عَلَيْكُمْ فِي الْمَشَاوِرَةِ بِالْحَدِيثِ السَّنِّ، الْحَدِيدِ الدَّهْنِ^٤.

وقيل: رأي الشيخ كالزّند^٥ قد انثلم، ورأي الشاب كالزّند الصحيح الذي يورى^٦ بأيسر اقتداح^٧.

^١ في النسخة المحققة: وتصدعت. والتصويب من الماوردي في الهامش التالي.

^٢ قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: وَقِيلَ: عَلَيْكُمْ بِأَرَاءِ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاءَ الطَّبَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عُيُونِهِمْ وَجُوهُ الْعِبَرِ، وَتَصَدَّتْ لِأَسْمَاعِهِمْ آثَارُ الْغَيْرِ.

^٣ هو هرم بن قطبة، قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: قَالَ هَرَمُ بْنُ قُطَيْبَةَ حِينَ تَنَافَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ: عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ السَّنِّ، الْحَدِيدِ الدَّهْنِ. وَلَعَلَّ هَرَمًا أَرَادَ أَنْ يَدْفَعَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ فَاعْتَدَرَ بِمَا قَالَ. لَكِنْ لَمْ يُنْكَرَا قَوْلَهُ إِذْعَانًا لِلْحَقِّ فَصَارَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ لِحِدَائَةِ سَنِّهِ، وَحِدَّةِ ذَهَبِهِ، فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا فَرَجَعَا إِلَى هَرَمٍ فَحَكَمَ بَيْنَهُمَا.

^٤ يعني الغلام الذكي.

^٥ الزّند: العود الأعلى الذي تُقدح به النَّارُ، والأسفل هو الزّندة والجمع: زناد، وأزناد.

^٦ وري (يورى) ورئياً، وورئياً، وريته، وري الزّند: خرّجت ناره.

^٧ انظر: روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار للأمامسي، والذخائر والعبقريات للبرقوقي.

الحثُّ على مشاورة العدوِّ

في كتاب كليله: لا ينبغي للعاقِل أن يترك استشارةَ عدوِّه ذي الرأي فيما يشركه ذلك العدوُّ في نفعه وضرِّه^١.

وقيل: استشرِ عدوَّك تعرِّف مقدارَ عداوته^٢.

من يجب أن تجتنب مشاورته

قال قسُّ^٣ لابنه: لا تشاورنَّ مشغولاً وإنَّ كانَ حازِماً، ولا جائِعاً وإنَّ كانَ فهِماً، ولا مدَّعوراً وإنَّ كانَ ناصِحاً، ولا مَهْموماً وإنَّ كانَ عاقِلاً، فالهُم يَعْقِلُ العقلَ فلا يتولَّد منه رأيٌّ ولا تصدُق به رويَّة^٤.

^١ انظر: الذخائر والعبقريات للبرقوقي.

^٢ السابق.

^٣ في النسخة المحققة: قيس، وهو خطأ، والتصويب من البرقوقي. وهو قسُّ بن ساعدة الإيادي، حكيم العرب الشهير.

^٤ قال البرقوقي في الذخائر والعبقريات: قال قسُّ بن ساعدة الإيادي لابنه: لا تشاورنَّ مشغولاً وإنَّ كانَ حازِماً ولا جائِعاً وإنَّ كانَ فهِماً، ولا مدَّعوراً وإنَّ كانَ ناصِحاً، ولا مَهْموماً وإنَّ كانَ عاقِلاً، فالهُم يَعْقِلُ العقلَ فلا يتولَّد منه رأيٌّ ولا تصدُق به رويَّة. ا.هـ.

وقيل: لا تُدخِلْ في مشورتك بخيلاً فيقصّر بفعلك، ولا جباناً فيحوّك، ولا حريصاً فيعدك ما لا يُرجى، وإنّ البخلَ والجبنَ والحرصَ طبيعةٌ واحدةٌ يجمعها سوءُ الظنِّ بالله^١.

وقيل: لا تُشاوِرْ مَنْ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ دَقِيقٌ^٢.

وكان كسرى إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بنفقة سنة ثم يستشير^٣.

وقيل: لا تشيرنَّ على مُعجَبٍ ولا متلّون، وخفِ اللهُ في موافقة هوى المستشير^٤.

وقيل: إِيَّاكَ ومشاورة النساءِ فرأيهنَّ إلى أفنٍ وعزمهنَّ إلى وهن^٥.

١ السابق.

٢ السابق.

٣ السابق.

٤ في النسخة المحققة: من، والتصويب من الجاحظ.

٥ حكاها الجاحظ في البيان والتبيين فقال: وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه: لا تكونن أول مشير، وإياك والرأي الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تشر على مستبد ولا على وغد، ولا على متلون ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه جناية.

٦ منسوب إلى علي رضي الله عنه، وفي صحة نسبته إليه نظر، وذلك لمخالفته ما ثبت في السنة. انظر الهامش التالي.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ^١.
وقال: لا تستضيئوا بنارِ المشرك^٢. أي لا تستشيروهم.

^١ ليس بحديث، ولا يصح عن رسول الله، وليس من خلقه صلى الله عليه وسلم أن يسخر من أحد من الخلق، كيف وهو على خلق عظيم وقد أرسل إلى النساء والرجال جميعاً، وهو الذي أوصانا بالنساء خيراً، وقال خيركم خيركم لأهله، وهو أول من أرسى مبدأ المشاورة في الحياة الأسرية إعمالاً لما جاء في القرآن نصّاً، وفي السنة النبوية تطبيقاً وعملاً، فقد قال الله تعالى: «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا». كيف وقد خالف القول السابق فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي أم سلمة رضي الله عنها في الحديبية، وقد صار هذا دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة، وذلك لفضل أم سلمة ووفور عقلها، وقد أخذ نبي الله شعيب برأي ابنته حين قالت: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ. وفي الصحيحين من حديث أم عطية رضي الله عنها عندما غسلت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: اغسلنها خمساً أو سبعاً أو أكثر من ذلك إن رأيتهن ذلك، فرد الرأي إليهن في ذلك. ولأجل ذلك كله وما اعترى هذا الحديث من ضعف متناً وسنداً فقد ضعفه السخاوي في المقاصد الحسنة، والشوكاني في الفوائد، بل حكم عليه بعض العلماء بالوضع. والعجيب أن الراغب استخدم صيغة الجزم في نسبة هذا القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

^٢ أخرجه النسائي، وأحمد، عن عن الأزهر بن راشد أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان يحدث أصحابه، فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو، أحسبه قال: أتؤا الحسن فسره لهم، فحدثهم ذات يوم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تستضيئوا بنارِ المشركين، ولا تنقشوا خواتيمكم عربياً. وخصلة نسيها أزهري. قال: فأتوا الحسن، فقالوا: إن أنسا حدثنا اليوم بحديث لا ندري ما هو، قال: وما حدثكم؟ فأخبره، فقال: نعم، أمّا قوله: لا تستضيئوا بنارِ المشركين، فإنه يقول: لا

المستدعي المشورة

قال عمر رضي الله عنه: صاحب الحاجة أبله لا يرشد إلى الصواب، فلقنوا
أخاكم وسددوا صاحبكم^١.

وقال إعرابي:

دُلَّا عَلَى حِيلَةٍ فِيهَا لَنَا فَرْجٌ إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى خَيْرٍ كَمَنْ فَعَلَا

وقال آخر^٢:

خليلي ليس الرأي في صدر واحدٍ أشيرا عليّ اليومَ ما تريان

تَسْتَشِيرُوهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِكُمْ، وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا } . والحديث ضعيف الإسناد؛ فإن أزهري بن راشد هو مجهول.
انظر السلسلة الضعيفة (٤٧٨١).

^١ رواه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة برواية أخرى: صاحب الحاجة أبله، لا يرى الرشد إلا في
قضائها.

^٢ قال العسكري، أبو أحمد في كتاب المصون في الأدب: أنشدنا أبو بكر بن دريد قال: أنشدنا
الأشنانداني:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد ... أشيرا عليّ اليومَ ما تريان

الحثُّ على نصيحة مستشيرك

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يُزَادُ فِي صِحَّةِ رَأْيِهِ مَا نَصَحَ لِمُسْتَشِيرِهِ، فَإِذَا عَشَّ مُسْتَشِيرُهُ سَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى صِحَّةَ رَأْيِهِ»^١.

ولمَّا أصاب زياداً^٢ الطاعونُ في يده أُحْضِرَ له الأطباءُ فدعا شريحاً فقال له: لا صبرَ لي على شدِّته وقد رأيتُ أن أقطعها، فقال شريحٌ: أتستشيرني في ذلك؟ قال: نعم، فقال: لا تقطعها فالرزقُ مقسومٌ والأجلُ معلومٌ وأنا أكره أن تُقدِّمَ على ربِّك مقطوعَ اليد، فإذا قال لك: لِمَ قطعتها؟ قلت: بُغْضاً للقائك وفراراً من قضائك. فمات زيادٌ من يومه. فقال: الناسُ لشريحٍ: لِمَ نهيتَه عن قطعها؟ فقال: استشارني والمستشارُ مؤتمنٌ، ولولا الأمانةُ لودِدْتُ أن أقطعَ يده يوماً ورجله يوماً^٣.

^١ أخرجه ابن عساکر، عن ابن عباس مرفوعاً، وضعفوه لوجود مالك بن الهيثم فيه. وقد نقل ابن عساکر عن بعضهم ما محصوله أن مالکاً هذا كان من الإباحية الذين يرون إباحتهم ولا يقولون بصلاة ولا غيرها.

^٢ زياد بن أبيه. سبقت ترجمته.

^٣ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي.

وقال يحيى^١: لا تشيرنَّ على عدوك وصديقك إلا بالنصيحة، فالصديقُ تقضي^٢ بذلك حقه، والعدوُّ يهابك إذا رأى صوابَ رأيك^٣.

من يجب أن يشار عليه إذا استشار

قيل^٤: لا تشرْ على مستبدٍّ، ولا على وغدٍ، ولا على لحوحٍ، ولا معجبٍ، ولا على متلونٍ، وخفِ الله في موافقةِ المستشار، فالتماسُ موافقتهِ لؤمٌ، وسوءُ الاستماعِ منه خيانةٌ.

^١ سماه الشهرستاني في الملل والنحل: هرمس العظيم، ووصفه بأنه المحمود آثاره، المرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي عليه السلام. ا.هـ. وقيل: هو شخصية ينسب إليه كتاب "متون هرمس"، ويعتقد أكثر المؤرخين أنه هرمس السكندري اليوناني.

^٢ في النسخة المحققة: يقضي. والتصويب من الشهرستاني في الهامش التالي.

^٣ وساق الشهرستاني في الملل والنحل أقواله، ومنها: وقال: لا تشيرن على عدو ولا صديق إلا بالنصيحة، فأما الصديق فتقضي بذلك من واجبه حقه، وأما العدو فإنه إذا عرف نصيحتك إياه هابك وحسدك، وإن صح عقله استحى منك وراجعك.

^٤ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه: لا تكونن أول مشير، وإياك والرأي الفطير، وتجنب ارتجال احكلام، ولا تشر على مستبد ولا على وغد، ولا على متلون ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشار، فإن التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه خيانة. وابن هبيرة هو: عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، أمير عراق العرب وعراق العجم وولي إمارة البحر عند حصار القسطنطينية الثاني تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ثم عينه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك أميراً على العراق سنة ١٠٣ هجري.

وقيل: مَنْ طَلَبَ الرَّخْصَ مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمَشَاوِرَةِ، وَمَنِ الْأَطْبَاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ،
وَمَنِ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهِ، فَقَدْ خَدَعَ نَفْسَهُ^١.

من ضرب لمستشيريه مثلاً صمّم^٢ في مشورته

^١ قال الدينوري في كتاب المجالسة وجواهر العلم: حدثنا ابنُ قُتَيْبَةَ؛ قَالَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ:
مَنِ التَّمَسَ مِنَ الْإِخْوَانِ الرَّخْصَةَ عِنْدَ الْمَشْوَرَةِ، وَمَنِ الْأَطْبَاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ، وَمَنِ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ
الشُّبْهِ؛ أَخْطَأَ الرَّأْيَ، وَازْدَادَ مَرَضًا، وَحَمَلَ الْوِزْرَ.

^٢ هكذا في النسخة المحققة. وفي المعاجم: صمّم صاحبه الحديث: أوعاه وأحفظه إياه.

شاور المنصور^١ سالم بن قتيبة^٢ في قتل أبي مسلم^٣ صاحب الدولة فقال: (لَوْ
كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)، فقال حسبك^٤، واستشار فيه آخر فقال:
وَلَنْ يُجْمَعَ السِّيفَانِ وَيُحَكَّ فِي غِمْدٍ^١.

^١ أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم
القرشي (٩٥ - ١٥٨ هـ) الخليفة العباسي الثاني، وهو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وباني
بغداد، وقد بويع له بالخلافة في شهر ذي الحجة عام ١٣٦ هـ بعد وفاة أخيه أبي العباس عبد الله
السفاح، وكان السفاح أصغر منه سنًا، ولكن تولى الخلافة قبله امتثالاً لوصية أخيهم إبراهيم الإمام،
وكان السبب في هذا هو أن السفاح أمه عربية حرة، وكانت أم المنصور أمة بربرية تُدعى سلامة.
وقد استهل حكمه بقتل أبي مسلم الخراساني سنة ١٣٧ هـ فاستتب له الحكم.

^٢ في النسخة المحققة: سلم، وقيل مسلم، وقيل سالم. ولعل الصواب مسلم، وهو مسلم بن قتيبة
بن مسلم الباهلي، قائد عسكري خلال الدولتين الأموية والعباسية. وهو ابن الفاتح الباهلي قتيبة
بن مسلم، الذي ولي خراسان وغازا بلاد ما وراء النهر في زمن الخلافة الأموية. وبعد إقامة الخلافة
العباسية ولي سالم في عهد الخليفة المنصور الري والبصرة. وأثناء الثورة العلوية ولي الري، وطلب منه
المنصور الحضور للمساعدة في قمع التمرد. وتوفي عام ١٤٨ هـ.

^٣ أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية في خراسان، ومثبت أركانها فانطلقت من هناك
ونجحت. ومع قيام الدولة العباسية ارتفعت مكانة أبي مسلم وكان محبوباً من أتباعه ومعظماً بينهم
فخشي منه الخليفة أبو جعفر المنصور فاحتال لقتله بعد أن أمنه، في قصة مشهورة.

^٤ وفي النسخة المحققة: عيشك، وهو خطأ واضح، والتصويب من المراجع التي نقلت هذا الخبر،
ومنها: التاريخ المعبر في أنباء من غبر لمجير الدين العليمي، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب
لابن العماد الحنبلي، وفيهما: فاستشار في أمره مسلم بن قتيبة، فقال: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا
اللَّهُ لَفَسَدَتَا} فقال: حسبك يا ابن قتيبة، لقد أودعتها أذنًا واعية.

واستشار معاوية الأحنف في بيعة يزيد فقال الأحنف^٢: أنت أعلم بليبه ونهاره
وسرّه وإجهاره، فإن كنت تعلمه لله رِضاً وللامّة صلاحاً، فلا تُشاور فيه
أحدًا. وإن كنت تعلم غير ذلك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائرٌ إلى الآخرة،
وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا^٣.

^١ وهو شطر بيت لأبي ذؤيب الهذلي يقول فيه:

تُرِيدِينَ كَيْمًا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانُ وَيَحْكُ فِي غَمْدِ

وله قصة، فقد كان لأبي ذؤيب ابن أخت يقال له خالد، وكان رسول خاله أبي ذؤيب إلى صديقته
أم عمرو،
فلما شب خالد أفسدها عليه، ومالت إليه، فجاءت أم عمرو إلى أبي ذؤيب تعتذر من أمر خالد
فقال:

تُرِيدِينَ كَيْمًا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا... وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانُ وَيَحْكُ فِي غَمْدِ

أَخَالِدُ مَا رَاعَيْتَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ... فَتَحْفَظُنِي بِالْغَيْبِ أَوْ بَعْضَ مَا تُبْذِرِي

دَعَاكَ إِلَيْهَا مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا... فَمِلْتِ كَمَا مَالَ الْمَجْحُوبُ عَلَى عَمْدِ

فَالَيْتُ لَا أَنْفَكُ أَحَدُو قَصِيدَةً... أَدْعُكَ وَإِيَّاهَا بِمَا مَثَلًا بَعْدِي

انظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري.

^٢ الأحنف بن قيس.

^٣ قال ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد: لما مات يزيد، وذلك سنة ثلاث وخمسين، أظهر
معاوية عهداً مفتعلاً فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وإنما أراد أن يسهل بذلك بيعة

الممدوح بأنه مستشار

وقالت امرأة من أياد^١:

المستشارُ لأمرِ القومِ يجزئهم^٢ إذ الهناتُ^٣ أهمُّ القومَ ما فيها

وقال أبو تمام^٤:

تطوّلُ استشاراتُ التجارِ رأيهُ إذا ما ذُوو الرأْيِ استشاروا التجارِبا

يزيد، فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، ويشاور، ويعطي الأقراب ويداني الأبعاد، حتى استوثق له من أكثر الناس. الخ.

^١ انظر شروح الحماسة عند (الفارسي والمرزوقي والتبريزي) والبيت فيها ضمن أبيات:

الخيْلُ تعلم يومَ الروعِ إنْ هزمتُ ... أن ابنَ عمروٍ لدى الهيجاءِ يحميها

لم يبد فحشاً ولم يهز لمعضلةً ... وكل مكرمة تلقى يساميها

المستشارُ لأمرِ القومِ يجزئهم ... إذا الهناتُ أهمُّ القومَ ما فيها

لا يرهب الجار منه غدره أبداً ... وإن أملتُ أمورٌ فهو كافيها

^٢ في النسخة المحققة: يجزئهم، وهو خطأ واضح، والتصويب من شروح الحماسة.

^٣ والهنات: جمع هنة، وهي كناية عن المنكرات، ولا تستعمل في الخير البتة.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ومطلعها:

أأيامنا ما كنت إلا مواهباً ... وكنت بإسعاف الحبيب حباباً

الرغبة في الاستبداد بالرأي

قال بعضُ الحكماء^١: ما استشرتُ أحداً قطُّ إلا تكبَّرَ عليَّ وتصاغرتُ له ودخلتُه العزَّةُ وأدركتني الذلَّةُ. وإيَّاكَ والمشورةُ وإن ضاقتْ بك المذاهبُ.

وكانت الفُرسُ والرومُ مختلفين في الاستشارة فقالت الروم: نحن لا نملك من يحتاج أن يستشير، وقالت الفرس نحن لا نملك من يستغني عن المشاورة، وفضلَّ الفرس لقلوبه تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وما زال المنصورُ يستشيرُ أهلَ بيته حتى مدَّحَه ابنُ هرمة^٢ بقوله:

يُزْرَنَ أَمْراً لا يُصْلِحُ القومُ أمرُهُ ولا يَنْتَجِي^٣ الأَدْنَيْنِ فيما يحاولُ؛

فاستوى جالساً وقال: أصبَّتَ واللهِ. فما استشارَ بعدَ ذلك.

^١ هو عبد الملك بن صالح كما صرح به الثعالبي في اللطائف والظرائف قال: كان عبد الملك بن صالح يقول: ما استشرت أحدا قط إلا تكبر علي، وتصاغرت له، ودخلته العزة ودخلتني الذلة، فأياك والمشاورة وإن ضاقت بك المذاهب، واشتهت عليك المسارب، وأذاك فرط الاستبداد إلى الخطأ والفساد.

^٢ سبقت ترجمته.

^٣ في النسخة المحققة: ينتحي بالحاء، وهو خطأ واضح، والصواب ينتجى من النجوى. يقال: انتجأ إذا أفضى إليه بسرّه وخصه به.

^٤ وهو من قصيدته الي مطلعها: سَرَى نَوْبُهُ عَنكَ الصِّبَا المِتَّخَايِلِ وَوَدَّعَ اللَّبَيْنَ الحَلِيْطُ المَزَايِلِ

وقال بعضُ جلساءِ هارونَ^١: أنا قتلْتُ جعفرَ بنَ يحيى^٢، وذلكَ أني رأيتُ
 الرشيدَ يوماً وقد تنفسَ تنفساً منكراً^٣، فأنشدتُ في أثره:
 واستبدتُ مرّةً واحدةً إنما العاجزُ من لا يستبدُّ^٤
 فأصغى إليه واستعاده، وقتلَ جعفرَ بعد ذلكَ عن كُتْبٍ^٥.
 وقال المهلبُ^٦: لو لم يكن في الاستبدادِ بالرأيِ إلا صونُ السرِّ، وتوفيرُ العقلِ
 لوجِبَ التمسكُ بفضله^٧.

^١ هارون الرشيد الخليفة العباسي.

^٢ جعفر بن يحيى البرمكي: وزير هارون الرشيد، وحامل خاتم السلطنة. وعند تراجع نفوذ البرامكة بعد وفاة الخيزران والدة هارون الرشيد، أصدر الرشيد أمراً يقضي بإعفاء جعفر البرمكي من حمل خاتم السلطنة، وموجهًا بذلك أول ضربة إلى عائلة البرامكة للحد من نفوذها ثم قتل جعفر.

^٣ في النسخة المحققة: مفكراً، بالفاء، وهو خطأ واضح، والتصويب من التذكرة الحمدونية.

^٤ البيت لعمر بن أبي ربيعة وقبلة: ليت هندا أجزتنا ما تعد ... وشفّت أنفسنا ممّا تجد

^٥ في النسخة المحققة: لبث، بالفاء، وهو خطأ واضح، والتصويب من التذكرة الحمدونية.

^٦ المهلب بن أبي صفرة الأزدي: من ولاة الأمويين على خراسان. عينه الحجاج عاملاً عليها عام (٧٧٨هـ) وقام بفتوحات واسعة في بلاد ما وراء النهر.

^٧ انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط، والذخائر والعبريات للبرقوقي.

المتفادي من أن يستشار

استشار عبدُ الله بنُ عليٍّ^١ عبدَ الله بنَ المقفّع^٢، فيما كان بينه وبينَ المنصور، فقال: لستُ أفوّدُ جيشاً ولا أتقلّدُ حرباً ولا أشيرُ بسفكٍ دمٍ، وعثرهُ الحربُ لا تُستقال، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان^٣.

واستشار زيادٌ^٤ رجلاً فقال: حقُّ المستشارِ أن يكونَ ذا عقلٍ وافرٍ، واختبارٍ مُتّظاهرٍ، ولا أُراني كذلك.

^١ عبد الله بن علي: عم الخليفة المنصور، كان قد خرج على ابن أخيه المنصور وطلب الخلافة لنفسه، فأرسل إليه المنصور جيشاً مقدّمه أبو مسلم الخراساني، فانتصر أبو مسلم عليه. وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى، واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور.

^٢ عبد الله بن المقفّع، الكاتب الشهير الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفارسية، وكان كاتباً عند عبد الله بن علي.

^٣ انظر: ذخائر والعبريات للبرقوقي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

^٤ زياد بن أبيه. انظر: الذخائر والعبريات للبرقوقي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

وَاجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ بَنِي سَعْدٍ إِلَى أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ^١ يَسْتَشِيرُونَهُ فِيمَا دَهَمَهُمْ يَوْمَ الْكَلَابِ^٢، فَقَالَ: إِنَّ وَهْنَ الْكِبَرِ قَدْ فَشَا فِي بَدَنِي، وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْ حِدَّةِ الدَّهْنِ مَا أُبْتَدِئُ بِهِ الرَّأْيِ، وَلَكِنْ اجْتَمِعُوا وَقُولُوا، فَإِنِّي إِذَا مَرَّ بِي الصَّوَابُ عَرَفْتُهُ^٣.

^١ سبقته ترجمته.

^٢ يوم الكلاب الثاني هو أحد أكبر وأشهر أيام العرب لبني سعد من بني تميم على الحلف اليماني المكون من خمسة قبائل قحطانية يمانية كبرى مذحج، همدان، كندة، قضاة وحمير. وكان النصر لبني تميم.

^٣ انظر: الذخائر والعبقريات للبرقوقي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري.

ومّمّا جاء في وصف العلم والعلماء مدحاً وذمّاً ووصف الحفظ والنسيان

عزُّ العلم

قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).

وقال: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ).

وقال الإمام أبو حنيفة: إن لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض فليس لله فيها ولي^١.

قال الأحنف^٢: كُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَيَّدْ بِعِلْمٍ؛ فَإِلَى ذُلٍّ يَصِيرُ^٣.

وقيل^٤: العلم يوطئ الفقراء بسط الملوك.

^١ ذكر الإمام التّوّي في كتاب التّبيّان وغيّره عن الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشّافعي رحمهما الله تعالى أنّهما قالَا: إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي.

^٢ الأحنف بن قيس. سبقت ترجمته.

^٣ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري.

^٤ القائل هو أبو عمر الشيباني: إسحاق بن مرار الكوفي، كان مؤدباً لأولاد ناس من بني شيبان فنسب إليهم، وهو راوية أهل بغداد واسع العلم باللغة والشعر، ثقة في الحديث كثير السماع، وله كتب كثيرة في اللغة جياذ. مات في أيام المأمون سنة خمس ومائتين أو ست ومائتين وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي.

الأدب كالحسب

قيل: مَنْ نَهَضَ بِهِ أَدْبُهُ، لَمْ يَقْعُدْ بِهِ حَسْبُهُ^١.

وقيل: شَرَفُ الْحَسَبِ يَحْتَاجُ إِلَى شَرَفِ الْأَدَبِ، وَشَرَفُ الْأَدَبِ مُسْتَعْنٍ عَنِ شَرَفِ الْحَسَبِ^٢.

وقال الأحنف: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَلَا أَدَبٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَبٌ وَلَا نَسَبٌ.
وقال الشاعر^٣:

كُنْ ابْنَ مَنْ شَتَّتَ وَاکْتَسَبَ أَدْباً يَغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ^٤
وقال آخر^٥:

^١ نسبه أبو نعيم في الحلية إلى مسعر بن كام، فقال: قَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ: «الْعِلْمُ شَرَفُ الْأَحْسَابِ يَرْفَعُ الْحَسْبَ فِي نَسَبِهِ، وَمَنْ قَعَدَ بِهِ حَسْبُهُ نَهَضَ بِهِ أَدْبُهُ»

^٢ قال الزجاجي في «أماليه» إن الأصمعي كثيراً ما كان يقول: «مَنْ قَصَرَ بِهِ نَسَبُهُ، نَهَضَ بِهِ أَدْبُهُ».

^٣ قيل هو علي رضي الله عنه.

^٤ بعده:

فَلَيْسَ يُغْنِي الْحَسْبُ نَسَبَتَهُ بِلا لِسَانٍ لَهُ وَلَا أَدَبٍ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يُقُولُ هَذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يُقُولُ كَانَ أَبِي

^٥ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد لأبي العتاهية.

مَا ضَرَّ مِنْ حَازِ التَّأْدُبِ وَالنُّهَى أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ آلِ عَبْدِ مَنَافٍ^١

البالغ بعلمه مبلغ الملوك

قيل: لما وقعت الفتنة^٢ بالبصرة ورضوا بالحسن^٣ اجتمعوا عليه، وبعثوا إليه. فلما أقبل قاموا، فقال يزيد بن المهلب: كاد العلماء يكونون أرباباً، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب!

^١ ولعل أبا العتاهية أخذ هذا المعنى مما رواه ابن عبادة في الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ أن أبا هريرة كان إذا نظر إلى أبي صالح السمان قال: "ما ضَرَّ هذا ألا يكون من بني عبد مناف" ولعل مراد أبي هريرة من هذه المقالة أن أبا صالح وإن لم ينل شرف الانتساب إلى بني عبد مناف فإنه قد بلغ من الشرف وعلو المنزلة ما يبلغ إليه من كان من بني عبد مناف، والله أعلم.

^٢ لعلها الفتنة التي تولدت عن مقتل عثمان رضي الله عنه، وبسببها قامت حروب بين علي من جهة، والزبير وطلحة فيما عرف بيوم الجمل، ثم بين علي ومعاوية فيما عرف بموقعة صفين، وما نتج عن هذه الفتنة بين المسلمين في البصرة بالذات؛ فقد كان جل أهلها يعظّمون قتل عثمان، وقد قتل كثير منهم في الطلب بدمه، فهم موتورون حنقون لما أصابهم، إلى أن اجتمعوا على الحسن.

^٣ الحسن البصري رضي الله عنه؛ وذلك أن الحسن كما روي عن أن بدويًا قدم البصرة فقال لخالد بن صفوان: أخبرني عن سيد هذا المصر؟ قال: هو الحسن بن أبي الحسن، قال: عربي أم مولى؟ قال: مولى، قال: وبم سادهم؟ قال: احتاجوا إليه في دينهم واستغنى عن دنياهم، قال البدوي: كفى بهذا سوءدأ.

ونظر عمر - رضي الله عنه - إلى رجلٍ في هيئةٍ نفيسة فقال: أَلستَ ابنَ قيسٍ بالبصرة؟ قال: نعم^١. ولكني كاتبٌ، فقال: لله دُرُّ العلمِ ما زال يرفع أهله.

قال الشاعر^٢:

العلمُ يرفعُ بالحسيسِ إلى العُلا
والجهلُ يقعدُ بالفتى المنسوبِ
قيمة المرء علمه

قال أمير المؤمنين عليُّ كرمَ الله وجهه: قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُه.
وأخذ ابنُ طباطبَا^٣ هذا المعنى فقال:

^١ كلمة "نعم" في هذا السياق للنفي، والمعنى: نعم أنا لست ابن قيس، وإن كنت تظن ذلك لِمَا رأيت من هيئتي فلأني كاتب.

^٢ هو دعبل بن علي الخزاعي، والبيت في شعره:

العلمُ يَنْهَضُ بِالْحَسِيسِ إِلَى الْعُلَا
وَالْجَهْلُ يَقْعُدُ بِالْفَتَى الْمِنْسُوبِ
وَإِذَا الْفَتَى نَالَ الْعُلُومَ بِفَهْمِهِ
وَأُعْيَرَ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّهْذِيبِ
جَرَّتِ الْأُمُورُ لَهُ فَبَرَزَ سَابِقاً
فِي كُلِّ مَحْضَرٍ مَشْهَدٍ وَمَغِيبِ

^٣ ابن طباطبَا (٠٠٠ - ٣٢٢ هـ): محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبَا، الحسيني العلوي، شاعر مفلِّحٌ وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان. له كتب، منها «عيار الشعر» و«تهديب الطبع» و«العروض» وأكثر شعره في الغزل والأدب. وجدته إبراهيم طباطبَا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن الحسيني العلوي الهاشمي القرشي أحد أعيان بني هاشم من قبيلة

حسودٌ مريضُ القلبِ يُخفي أنينهُ ويُضحي كئيبَ البالِ عندي حزينهُ
يلومُ على أن رحْتُ في العلمِ دائماً أُجمَعُ من عندِ الرواةِ فنونهُ
فيا عاذلي دعني أعالي بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونهُ
فضل العلم على المال

قال عبدُ الملك^١: اطلبوا معيشةً لا يقدر سلطانٌ جائزٌ على غضبها، قيل ما هي؟ قال: الأدب^٢.

ولصالح بن عبد القدوس^٣:

قَد يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالاً ثُمَّ يُسَلِّبُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الدُّلَّ وَالْحَرْبَا

قريش. اشتهر بلقب «طباطبا»، لأنه كان يلفظ «القاف» طاءً، للثغة في لسانه، ولذلك كان يلفظ «قبا» «طبا» وعرف إثر تكرار هذه الكلمة بـ «إبراهيم طباطبا» كان أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق.

^١ عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

^٢ انظر: التذكرة الحمдонية لابن حمدون، ونثر الدر في المحاضرات للأبي، ودرر الحكم لأبي منصور الثعالبي.

^٣ بل البيتان في ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة السكري، ضمن مقطوعة طويلة منها:

قَد يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَالاً ثُمَّ يُسَلِّبُهُ ... عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الدُّلَّ وَالْحَرْبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ... وَلَا يُحَادِرُ مِنْهُ الْقَوْتَ وَالسَّلْبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نَعِمَ الذَّخْرُ بَجَمْعِهِ ... لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ ذُرًّا وَلَا ذَهَبَا

وَجَامِعِ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَاذِرُ مِنْهُ الْقَوْتَ وَالسَّلْبَا

وقيل^١: العلم ميراثٌ غيرٌ مسلوب، وقرين^٢ غيرٌ مغلوب.

وقيل: الفضيلة بكثرة الآداب، لا بقراءة الدواب.

وقال الجنيد^٤: من فضيلة العلم على المال أن الله فهم سليمان مسألة فمَنَّ عليه وقال (فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ). وأعطاه المُلْك ولم يُمنَّ عليه، بل قال: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

مَنْ ذَمَّهُ وَفَضَّلَ الْمَالَ عَلَيْهِ

قال الشاعر^٥:

^١ قال الجاحظ في المحاسن والأضداد: وقال لقمان لابنه: «يا بني نافس في طلب العلم، فإنه ميراث غير مسلوب، وقرين غير مرغوب، ونفيس حظ من الناس وفي الناس مطلوب». «

^٢ في النسخة المحققة: قريب، بالباء، وهو خطأ واضح، والتصويب من الجاحظ.

^٣ فراهة الدواب: حسنها وجمالها.

^٤ الجنيد البغدادي: (٢١٥ - ٢٩٨ هـ) عالم وعلم من أعلام الصوفية وعدده العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة.

^٥ سماه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد: عبد السلام بن رغبان. وهو الشهير بديك الجن: عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن مزيد بن تميم الكلبي الحمصي شاعر عربي عباسي، مولود في العام ١٦١ هـ في مدينة حمص، وتوفي في العام ٢٣٦ هـ. وصل شعره مفرقاً في كتب الأدب والنقد والتراجم، وقد تتبع الناقد (ابن وكيع التنيسي)

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا نَفَادَ لَهُ ما المرءُ إلا بما يَحْوِي من النَّشَبِ^١
وقال آخرُ:

لَا تَعْبِطَنَّ أَدِييَا مَا لَهُ نَشَبٌ لَا خَيْرَ فِي أَدَبٍ إِلَّا مَعَ النَّشَبِ^٢
وقال جَحْظَةُ^٣:

إِنَّ الزَّمَانَ بِمَنْ تَقَدَّمَ فِي النَّبَاهَةِ مُنْقَلَبٌ^٤

عندما أُلّف كتابه (المنصف في نقد الشعر) الذي درس فيه شعر المتنبي، وأعادها إلى مواطنها، فرأى أن ديك الجن من أهم المواطنين التي سطا عليها المتنبي.

^١ النشب: المال. وقبل هذا البيت: ما الذنبُ إلا لجدِّي حينَ ورثني ... علماً وورثته من قبل ذاك أبي

^٢ في اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي بيت قبل هذا: (إذا هممت بشأؤ قلت إني قد ... أدركته أدركتني حُرْفَةُ الأَدَبِ) وقال بعضهم: حرفة الأَدَبِ حُرْفَةٌ. ويقال: للأدب حُرْفَةٌ لا يخلو منها أديب. اهـ.

^٣ جحظة اليرمكي: أحمد بن جعفر بن برمك (٢٢٤ - ٣٢٤ هـ) أديب وكاتب ورواية وشاعر عاش في العصر العباسي. وينتسب إلى أسرة البرامكة، وعلى النقيض من أجداده فقد نشأ أحمد فقيراً محتاجاً، وكان قبيحاً جاحظ العينين فسَمَّاه ابن المعتز جحظة، فَعُرِفَ بهذا اللقب وغلب على اسمه الأصلي. تكسَّب جحظة اليرمكي من قول الشعر والغناء والعزف على الطنبور، ويوصف أنه ظريف يُحِبُّ المجالسة والمؤانسة.

^٤ والبيت في ديوانه ضمن مقطوعة يقول فيها:

حَسْبِي ضَجْرَتُ مَنْ الأَدَبِ ... ورأيتُه سَبَبَ العَطَبِ

وقال البديهي:

أَكْثَرُ الْمُتَقْتَفِينَ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِي ذِلَّةٍ وَفِي إِمْلَاقٍ

وصف العلم بأنه يورث الغنى

قيل: الأدب يجلب الجمال ويفيد المال.

وقيل: من لم يفد بالأدب مالاً استفاد به جمالاً.

وفي كتاب كليلة: العالم إذا افتقر فعلمه الذي معه يقوِّيه، كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه^٢.

وَهَجَرْتُ إِعْرَابَ الْكَلَامِ ... وَمَا حَفِظْتُ مِنَ الْخُطْبِ

وَرَفَضْتُ تَفْسِيرَ الْعَرِيبِ ... وَعَلِمَ أَشْعَارِ الْعَرَبِ

وَسَنَيْتُ أَخْبَارَ الرُّبَيْرِ ... وَمَا رَوَاهُ مِنَ النَّسَبِ

وَرَهْنْتُ دِيْوَانَ النَّقَائِضِ ... وَاسْتَرْحْتُ مِنَ التَّعَبِ

لَا تَعْجِي يَا هِنْدُ مِنْ ... حَالِي فَمَا فِيهَا عَجَبُ

إِنَّ الرِّمَانَ يَمُنُّ تَقَدَّمَ ... فِي النَّبَاهَةِ مُنْقَلَبُ

وَالدَّهْرُ يَضْطَهُدُ الْحِجْيَ ... وَالرَّأْسُ يَعْלוهُ الذَّنْبُ

^١ في النسخة المحققة: ما لا، كلمتان، وهو خطأ واضح.

^٢ انظر: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري، أبي هلال.

قال الأصمعيُّ لرجلٍ: ألا أدلُّك على خليلٍ إن صحبته زانك، وإن احتجت إليه مانتك، وإن استعنت به أعانك؟ قال: بلى، فقال عليك بالأدب^١.

وصفه بأنه يورث الزهد

العلمُ يزهد في الدنيا الضارّة، ويرعب في الآخرة السارّة.

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضي اللهُ عنه: تعلّموا العلمَ فإنه عونٌ للفقير، أمّا إني لا أقولُ يطلبُ به الدنيا ولكن يدعوهُ إلى الثنوع^٢.

قلة الاعتداد بالخلو من العلم

كان الوليدُ^٣ يلاعبُ عبدَ اللهِ بنَ معاويةَ بالشطرنج، فاستأذن عليه ثقفيُّ موصوفٌ بالثروة فستَرَ الشطرنجَ بمنديلٍ. فلَمّا دخل وجلس استنطقه فقال: أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ وَشَيْئًا مِّنَ الْفِقْهِ؟ قال: لا، قال: أفرويتَ شيئًا من الآثارِ

^١ انظر: الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي، والكامل في اللغة والأدب للمبرد، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، والإخوان لابن الدنيا.

^٢ انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، ونثر الدر في المحاضرات للآبي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٣ الوليد بن يزيد: الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ولد سنة (٩٠هـ) ووقت موت أبيه كان للوليد نيف عشرة سنة، فعقد له أبوه بالعهد من بعد هشام بن عبد الملك، فلما مات هشام، سلمت إليه الخلافة.

والأشعارِ وأيامِ العَرَبِ؟ قال: لا. فكشَفَ الشطرَينِ، وقال: شاهَكَ فنحن في خَلوة^١.

ودخلَ حَكِيمٌ دارَ رجلٍ خَلَوٍ من العِلْمِ فرأى أثاثاً وهيئَةً فاخرةً، وأراد الرجلُ الداخِلُ أن ييزقَ بزيقَةٍ فبزقَ في وَجْهِ الرجلِ، فقيل له: ما تفعلُ؟ قال: نظرتُ فلم أجدُ في هذه الدارِ أحسَّ منه لخلوّه من المعانيِ الفاضلةِ وإنما يُرمى بالبزاقِ إلى أحسَّ المواضعِ، فلذلك رميتُ به في وجهه.

تلذذ العلماء بعلمهم

كان أبو حنيفةَ رحمه الله إذا أخذته هِزَّةُ المسائلِ يقول: أين الملوِكُ من لذةِ ما نحن فيه، لو فطنوا لقاتلونا عليه.

وقيل: من خلا بالعلمِ لم توحشه الخَلوةُ، ومن تسلى بالكتبِ لم تفتته السَّلوةُ. وقيل لابن المبارك: مَنْ تجالس؟ فقال: أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ إني أنظرُ في كتبِ آثارِهِم وأخبارِهِم.

التناسب في العلم

قيل لعالمٍ: أيُّ المناسبةِ أخلد؟ فقال: مناسبةُ العِلْمِ التي غَدَّتْها عواطفُ الشَّيمِ.

^١ انظر: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري، لأبي هلال.

وقيل للنوفلي: ما بلغ من شهوتك للعلم؟، قال: إذا نشطت فلدي وإذا اغتممت فسلوتي.

قال أبو تمام^١:

وقرابة الآداب تقصُر دوتها عند الأديب قرابة الأرحام

قال الصولي^٢:

إنّ الكتابة والآداب قد جمعت بيني وبينك يا زين الورى نسبا

وقيل^٣: لا ينبغي للأديب أن يخالط من لا أدب له، كما لا ينبغي للصاحي أن يناظر السكران.

^١ بل هورضمن أبيات للرّضي الموسوي يقول فيها:

القول يعرض كالهلال فإن مشى ... فيه الفعّال فدأك بدّر تمّام

إني أمّث إليك بالأدب الذي ... يفضي عليك بحزمتي وذمّامي

وقرابة الأدباء تقصُر دوتها ... عند الأديب قرابة الأرحام

انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيّدمر.

^٢ أبو بكر الصولي: نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكاً بجرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. توفي سنة ٣٣٦هـ.

^٣ منسوب إلى سقراط، وإلى أفلاطون، وإلى بطليموس. انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، والتمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي والإعجاز والإيجاز له، والمجتنى لابن دريد.

مدح صيانة العلم

وَجَّهَ الرَّشِيدُ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لِيَأْتِيَهُ فَيَحَدِّثَهُ، فَقَالَ مَالِكٌ:
 إِنَّ الْعِلْمَ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي، فَصَارَ الرَّشِيدُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَاسْتَنَدَ مَعَهُ إِلَى الْجِدَارِ،
 فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِجْلَالَ (ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ)^١.
 فَقَامَ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَبَعَثَ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَأَتَاهُ وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَحَدَّثَهُ. فَقَالَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا مَالِكُ تَوَاضَعْنَا لِعِلْمِكَ فَانْتَفَعْنَا بِهِ،
 وَتَوَاضَعَ لَنَا عِلْمُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، فَلَمْ نَنْتَفِعْ بِهِ^٢.

وفي أمثال العرب أن الثعلب والغراب تحاكما إلى الضب، فقالا: اخرج واحكم
 بيننا. فقال: في بيتي يؤتى الحكم^٣.

^١ في الأصل المطبوع مكان ما بين القوسين كلمة (العلم) والزيادة من أبي هلال العسكري كما في الهامش التالي.

^٢ انظر: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري، أبي هلال، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، والآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين ابن مفلح، وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض.

^٣ في الأمثال لابن رفاعة والفاخر للمفضل بن سلمة قالوا: ولهم: في بيتي يؤتى الحكم، هذا شيء يمثّل به العرب على المزح ولا أصل له. زعموا أن الأرنب وجدت ثمرة فاحتلسها الثعلب منها فأكلها. فانطلقت به إلى الضبّ يختصمان إليه. فقالت الأرنب: يا أبا الحُسَيْلِ؟ فقال: سمياً دعوت. قالت: أتيناك لِتُحْتَكِمَ إليك فاحرُجْ إلينا. قال: في بيتي يؤتى الحكم! قالت: إني وجدت ثمرة. قال: حلوة فكليها. قالت: فاحتلسها الثعلب مني فأكلها. قال: لنفسه بعى الخير. قالت:

وقال لقمان^١ لابنه: صُنْ عِلْمَكَ فَوْقَ صِيَانَةِ نَفْسِكَ.

وقيل: لم يُرَ أَفْضَلَ مِنَ الْخَلِيلِ^٢ فِي التَّلَطُّفِ عَنِ الْكَسْبِ بِالْعِلْمِ؛ كَانَ النَّاسُ يَأْكُلُونَ بَعْلِمِهِ وَهُوَ فِي خُصِّ لَهُ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ فِي الْحَرَمَيْنِ: قَالَ الْخَلِيلُ، وَذَكَرَ الْخَلِيلُ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَلَمْ يُعْلَمَ بِمَكَانِهِ. قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ هَكَذَا، فَحَقِيقٌ أَنْ يُقَالَ رَجُلٌ فَضِلٌّ وَصَدِيقٌ.

وللقاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني^٣:

فَلَطَمْتَهُ. قَالَ: بِحَقِّكَ أَخَذْتِ. قَالَتْ فَلَطَمَنِي. قَالَ: حُرٌّ أَنْتَ صِرْتِ. قَالَتْ: فَاقْضِ بَيْنَنَا. قَالَ: حَدَّثَ الرَّغْنَاءُ بِحَدِيثَيْنِ فَإِنْ أَبَتْ فَارْتَبِعْ. ١. هـ. وَقَوْلُهُ الْأَخِيرُ فِيهِ سَخِرِيَةٌ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَفْهَمَ قَصْدَهُ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ. وَمَعْنَى ارْتَبِعْ: أَمْسِكْ وَكُفِّ.

^١ لقمان كان رجلاً حكيماً، ذُكر في القرآن وأطلق اسمه على سورة لقمان، وقد عاصر داود وعرف بالحكيم، ولد وعاش في بلاد النوبة، ووصايا لقمان هي إحدى القصص القرآنية التي تتكلم عن حكمة لقمان، وتتمثل في الحكمة التي وهبها الله له، وتعدّ لدى المسلمين من أعظم الحكم والمواعظ، إذ كانت حكمته تأتي في مواضعها، وحسب كتب التفسير أن لقمان كان أهون مملوك على سيده، ولكن الله تعالى منّ عليه بالحكمة فغدا أفضلهم لديه.

^٢ الخليل بن أحمد اللغوي الشهير وواضع علم النحو.

^٣ القاضي أبو الحسن الجرجاني (٣٢٢ - ٣٩٢ هـ): علي بن عبد العزيز بن الحسن، عالم موسوعي وأديب ناقد من أعلام القرن الرابع للهجرة. والأبيات من قصيدته التي مطلعها:
بأَيَّمْنَا بَيْنَ الْكَثِيبِينَ فَالْحَمَى ... وَطِيبَ لِيَالِنَا الْحَمِيدَةَ فِيهِمَا

ومنها:

وَمَ أبتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهَجَّتِي لِأَخْدِمَ مَنْ لَأَقِيْتُ لَكِنْ لِأَخْدَمَا
 وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظَّمَا
 وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى بَجَّهَمَا

نهي العلماء عن التّهافت على باب السلطان

قال بعض العلماء^١: شرارُ الأُمراءِ أبعدهم من العلماءِ والفقراءِ، وشرارُ الفقراءِ
 والعلماءِ أقربهم من الأُمراءِ.

ودنا سقَاءٌ مِنْ فِقِيهِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ، فَسَأَلَهُ عَن مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: أَهَذَا مَوْضِعُ
 الْمَسْأَلَةِ؟ فَقَالَ لَهُ: وَهَذَا مَوْضِعُ الْفُقَهَاءِ؟^٢

وكتب عبد الله بن المبارك^٣ رحمه الله إلى ابن عُلَيَّةَ^٤ حين ولى صدقاتِ البصرة:

يَقُولُونَ لِي فَيْكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلًا عَن مَوْقِفِ الدُّلِّ أَحْحَمَا

^١ هو إبراهيم بن أدهم. انظر: الدرّة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأُمراء للخيريبيتي.

^٢ انظر: روض الأخبيار المنتخب من ربيع الأبرار للأمامسي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ونشر
 الدر في المحاضرات للآبي.

^٣ عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ - ١٨١ هـ) عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية
 والدينية. من كتبه الزهد والرقائق وكتاب الجهاد.

^٤ إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي المشهور بابن عُلَيَّةَ وهي أمه. إمام وعلامة حافظ ثبت.
 أحد رواة الحديث النبوي. ولد سنة موت الحسن البصري سنة ١١٠ هـ. قال نجم الدين الغزي في
 حسن التنبه لما ورد في التشبه إن ابن عُلَيَّةَ لما رأى هذه القصيدة بكى، واستغفى من الولاية.

يا جاعِلَ العِلْمِ لَهُ بازيًا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
 احْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتِهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالذِّينِ
 فأينَ ما كنتَ بهِ واعظًا مِنْ تَرَكَ أَمْوَالِ السَّلَاطِينِ
 إنْ قُلْتَ أُكْرِهْتُ فما هكذا زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ فِي الطِّينِ

من زان علمه بعمله

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: اعقلوا الخبر^١ إذا سمعتموه عقل رعاية
 لا عقل رواية؛ فرواه العِلْمُ كثيرٌ ووعاته قليل^٢.
 كثرة العلم في غير طاعة الله مادة الذنوب^٣.
 وقيل^٤: العِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ.

^١ في النسخة المحققة: الخير، بالياء، وهو خطأ واضح، والتصويب من المصدرين التاليين.

^٢ انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزنجشيري، وعمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس.

وعنه رضوان الله عليه: اعقلوا الخبر إذا سمعتموه، ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواة الكتاب كثيرٌ، ووعاته قليلٌ.

وعنه: المعروف أفضل الكنوز، وأحصن الحصون، لا يهدنك فيه كفر من كفره، فقد شكر لك عليه من من لم يستمتع بشيء منه.

^٣ من كلام عليّ رضي الله عنه. انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٤ القائل هو سفيان الثوري. انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، والمواقفات للشاطبي.

ذُمُّ من شان علمه بتقصير

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ^١.

وقال عليه السلام: أَشَدُّ النَّاسِ نَدَامَةً عِنْدَ الْمَوْتِ الْعُلَمَاءُ الْمَفْرَطُونَ^٢.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ دَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ^٣.

كتب الشافعي رضي الله عنه إلى عالم: قَدْ أُوتِيَتْ عِلْمًا فَلَا تُدْنِسْ عِلْمَكَ بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْعَى أَهْلُ الْعِلْمِ بُنُورَ عِلْمِهِمْ^٤.

^١ ضعف الحافظ العراقي إسناده في: تخریج أحاديث إحياء علوم الدين. وقال الألباني في ضعيف الجامع وشعيب الأرنؤوط في تخریج منهاج القاصدين: ضعيف جداً.

^٢ ليس بحديث، وقيل في عُزْرِ الْحِكْمِ وَدُرَّرَ الْكَلِمَ لِلْأَمْدِيِّ إِنَّهُ لَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

^٣ عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة وأنس بن مالك، وصححه الألباني في صحيح الجامع وصحيح أبي داود.

^٤ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وحملة الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني.

تفضيل العلم على العمل

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ^١.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَمَلٌ قَلِيلٌ فِي عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُ فِي جَهْلٍ^٢.
وقال الحسنُ رضي اللهُ عنه: أَدْرَكْتُ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: مَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ^٣.

ذمُّ شَرِّهِ الْعَالِمِ وَطَلْبِ الدُّنْيَا بِالْعِلْمِ

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَادَ فِي الْعِلْمِ رَشْدًا وَلَمْ يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا، لَمْ يَزِدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا^٤.

^١ أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وضعفه الحافظ العراقي في تخریج أحاديث إحياء علوم الدين. وقال الألباني في تمام المنة: إسناده ضعيف جداً.

^٢ قال العراقي في تخریج أحاديث إحياء علوم الدين: أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف. اهـ

^٣ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن عمر بن عبدالعزيز.

^٤ ضعّفه العراقي والعجلوني والألباني وقالوا إسناده ضعيف جداً.

وَرُوي فِي الْحَبْر^١: مَنْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَلَمْ يَتَنَزَّهُ بِهِ عَنِ الدُّنْيَا كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ
الْفَقِيرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^٢.

قال مالِك^٣: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَا عُقُوبَةُ الْعَالِمِ؟ قَالَ: «مَوْتُ الْقَلْبِ»، قُلْتُ:
وَمَا مَوْتُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «طَلَبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»^٤.

قال بعضُ الأدباء^٥: لِأَنَّ تُطَلَّبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ
أَنْ تُطَلَّبَ بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ^٦.

^١ استخدم الراغب في هذا الموضع صيغة من صيغ تمرير الرواية، وكان حريماً أن يستخدمها مع الأحاديث التي جزم بنسبتها إلى النبي وهو غير متأكد من صحتها.

^٢ لم أعتز عليه بهذا اللفظ. وقريب منه ما أخرجه الطبراني في "الأوسط": "ورجل آتاه الله علماً، فينخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طمعاً، وشرى به ثمناً؛ فذاك يلجم بلجام من نار يوم القيامة. وضعف الألباني إسناده.

^٣ هو مالك بن دينار البصري، من أعلام التابعين.

^٤ انظر: الزهد لأحمد بن حنبل، والسنن الكبرى للبيهقي.

^٥ هو الفضيل بن عياض: أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري، لقب بـ «عابد الحرمين».

^٦ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه.

قلّة العلم وكثرة الجهل

قال الطائي^١:

أبا جعفر^٢ إنّ الجهالة أمُّها ولودٌ وأمُّ^٣ العلم جدّاءُ حائل^٤؛

وقال علقمة^٥:

^١ أبو تمام.

^٢ هو محمد بن عبد الملك الزيات.

^٣ في النسخة المحققة: ولو دوام، وهو خطأ مطبعي فاحش يدل على قلة العناية بهذه الطبعة من الناشر.

^٤ الجدّاء: التي جف لبنها، لكبر سنّها. والحائل: التي لا تحمل. وبعد هذا البيت:

أرى الحشوّ والدهماء أضحوا كأثمّ ... شعوب تلاقّت دوننا وقبائل

عَدوّا، وكأنّ الجهل يجمعهم به ... أبّ، وذوو الآداب فيهم نواقل

- الحشوّ: مَنْ لا خير فيه، ولا عنده عقل يميّز به شيئا عن شيء. ونواقل: جمع ناقلة، وهي شبه الزيادة يلحق بالصميم ولا يُحتاج إليه.

^٥ هو علقمة بن عبدة المعروف بعلقمة الفحل.

والجهل ذو عَرَضٍ لا يُسْتَرَادُ لَهُ^١ وَالْحِلْمُ^٢ أَوْنَةٌ فِي النَّاسِ مَعْدُومٌ^٣

مدح الحديث

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَفِظَ عَلَيَّ أُمَّتِي حَدِيثًا وَاحِدًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ أَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَ سَبْعِينَ صِدِّيقًا.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَفِظَ عَلَيَّ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا، بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهَاً.

^١ في النسخة المحققة: يستراد، بالزاي، وهو خطأ واضح.

^٢ في النسخة المحققة: والحكم، بالكاف، وهو خطأ واضح.

^٣ ذو عرض: أي يعرض لك من غير أن تطلبه، وبممكنك من دون أن تتعنى فيه. لا يستراد: لا يُبحث عنه، من: زَادَتِ الْمَاشِيَةُ: رَعَمَتْ، وكانوا يرتادون لها أغني المراعي، أي يبحثون. والمعنى أن السَّقَّةَ فاشٍ دائماً بينما الحلم قليل.

^٤ قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١١٧٤): موضوع، أخرجه الحافظ الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (٣٥/٤) من حديث ابن عباس، ثم قال: "هذا مما تحرم روايته إلا مقروناً بأنه مكذوب من غير تردد، وقبح الله من وضعه، وإسناده مظلم، وفيهم ابن زمام، كذاب، لعله آفته".

^٥ قال العجلوني في كشف الخفا: وقال الدارقطني: طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت. ولذا قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى: جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قاذحة.

وقال ابن عباس: سمعتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي، فَقُلْتُ: وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَرَوْنَ الْأَحَادِيثَ بَعْدِي^١.

ذُمَّهُ وَذُمَّ أَصْحَابَهُ^٢

قال شُعْبَةُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَصُدُّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ؛ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟^٣

وقال محمد بن مطيع: رأيتُ الحسنَ بنَ زيادٍ أسوأَ الناسِ صلاةً فعاتبته، فقال: ما طلبَ الحديثَ أحدٌ إلا ساءتِ صلاتُهُ^٤.

^١ قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٥٤): باطل، كما في "الميزان" للذهبي. وقال: "وهذا باطل". وأقره الحافظ ابن حجر في "اللسان".

^٢ من كتب هذا العنوان لم يكن موفقاً؛ فإن الحديث لا يُدَم، لأن شرفه من شرف النبي صلى الله عليه وسلم.

^٣ ولا بد من توضيح هذه المسألة، فقد قال الخطيب البغدادي في كتاب شرف أصحاب الحديث: عن أحمدَ بنِ حنبلٍ، وسُئِلَ، عَنِ قَوْلِ، شُعْبَةَ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَصُدُّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟، فَقَالَ: «لَعَلَّ شُعْبَةَ كَانَ يَصُومُ، فَإِذَا طَلَبَ الْحَدِيثَ وَسَعَى فِيهِ يَضَعُفُ، فَلَا يَصُومُ، أَوْ يُرِيدُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَهُ لِلطَّلَبِ. فَهَذَا مَعْنَاهُ». اهـ. قلت: وهذا من أخلاق العلماء والتماس بعضهم العذر لبعض.

^٤ قال الخطيب البغدادي في كتاب شرف أصحاب الحديث: قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الْحَافِظُ: خَرَجَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ مُعْبِرَةٍ عَلَى حَالِ نَفْسِهِ. وَلَعَلَّهُ كَانَ يُكْتَبُ صَلَاةَ النَّوَافِلِ، فَإِذَا سَعَى فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ

وقال عمرو بن الحارث: ما رأيتُ علماً أشرفَ ولا أوضعَ أهلاً من الحديث وهم شرُّ خلفٍ من خيرِ سلفٍ^١.

مدح الإسناد

قيل: الإسنادُ^٢ قيّد الحديث^٣.

وقيل: الحديث من غيرِ إسنادٍ كالجمَلِ بلا زمامٍ وخطام.

وصفَ إعرابيُّ رجلاً فقال: ما أحسنَ حديثه لو أن له سلاسلَ يقادُ بها. يعني الأسانيد.

إلى المواضع البعيدة، كان ذلك قاطعاً له عن بعض نوافله، فقال هذا القول. ولو أمعنَ مُغيره النظرَ لعلمَ أنَّ سعيه في طلبِ الحديثِ أفضلٌ من صلاته.

^١ قال الخطيب البغدادي في كتاب شرف أصحاب الحديث: عن الأعمش، قال: "ما في الدنيا قومٌ شرٌّ من أصحابِ الحديثِ" قال أبو بكرٍ: فأنكرتها عليه حتى رأيتُ منهم ما أعلم. اهـ . وواضح أن هذا القول الأخير إنما يعني بعض المشتغلين بعلم الحديث وهم ليسوا أهلاً لذلك.

^٢ الإسناد أو السند: سلسلة الرجال الموصلة للمتن، وسمي سندا لاعتماد الحفاظ عليه في الحكم على المتن بالصحة أو الضعف.

^٣ قال الخطيب البغدادي في كتاب شرف أصحاب الحديث: عن عبد الله يعني ابن المبارك، يقول: "الإسناد عندي من الدين ولو لا الإسناد لقال: من شاء ما شاء".

قال الشاعر^١:

وَنُصِّ الْحَدِيثَ^٢ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ الْأَمَانَةَ فِي نَصِّهِ^٣

وقيل: في قوله تعالى: (أَوْ أَنْتَارَةٌ مِّنْ عِلْمٍ)، إنه الأسانيد^٤.

^١ هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطالبي، وَمِنْهُمْ من نَسَبَهَا إِلَى صَالِح بن عبد القدوس. انظر: الحماسة البصرية، والفاخر للمفضل بن سلمة.

^٢ يعني ارفعه وانسبه إليهم.

^٣ وهو من قصيدة شهيرة يقول فيها:

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسَلًا ... فَأَرْسَلُ حَكِيمًا وَلَا تَوْصِيهِ

وَإِنْ نَابَ أَمْرَ عَلَيِّكَ النَّوَى ... فَشَاوِرْ لِبَيْبَا وَلَا تَعْصِيهِ

وَإِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ... فَلَا تَنَا عَنْهُ وَلَا تَقْصِيهِ

وَدَا الْحَقُّ لَا تَنْتَقِصُ حَقَّهُ ... فَانِ الْقَطِيعَةَ فِي نَقْصِيهِ

وَلَا تَذَكَّرِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسٍ ... حَدِيثًا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْصِيهِ

وَنُصِّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ... فَانِ الْأَمَانَةَ فِي نَصِّهِ

فكم من فتى عازب لبه ... وقد تعجب العين من شخصيه

وأخر تحسبه أنوكا ... ويأتيك بالأمر من فضيه

^٤ قاله محمد بن كعب القرظي.

ذمُّه

طَلَبَ رَجُلٌ مِنَ الْحَسَنِ^١ إِسْنَادَ حَدِيثٍ فَقَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ، وَقَدْ نَأْتِكَ عِظَّتُهُ، وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجَّتُهُ^٢.

وقيل لرجلٍ: كتبتَ حديثاً بغيرِ إسناده، قال: إني أريدُه للعملِ لا للتسوّقِ والتحمُّلِ.

وسأل رجلٌ آخرَ عن إسنادِ شعرٍ فقال: والله ما تركتُ الحديثَ إلا بُغْضاً للإسنادِ وأنتَ تسألنيهِ في الأشعار.

مدح النحو

النحوُ نِصابُ العلمِ ونظامُه وعمودُه وقوامُه، ووشْيُ الكلامِ وحلَّتُه وجماله وزينته.

وقيل: النحوُ يرفعُ الوضیعَ ويخفضُ الرفیعَ.

وكان معلّمُ الرشيدِ يضربُ على الخطأِ واحداً وعلى اللحنِ سبْعاً.

^١ البصري.

^٢ انظر: أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وريع الأبرار ونصوص الأخيار للزخشري.

ذمُّه

نظر بعض الرؤساء إلى ابنه، وهو ينظر في كتابِ سيبويه فقال: أف لك! علمُ المؤدِّبين وهمَّةُ المحتاجين^١.

وقيل: مَنْ كَثُرَتْ عليه العربيَّةُ أظلمت عليه الرويَّةُ.

وقيل: إذا كتبت كتاباً فالحنُّ فيه فإنَّ العربيَّةَ مجدودة^٢.

ومَّا يتَّصلُ بهذا البابِ أنَّ بعضَ الفصحاءِ كان يدخلُ على بعضِ عمَّالِ البصرةِ، وهو يُعربُ في كلامه، فقال له يوماً: إن لم تترك الإعرابَ ضربتُكَ، فقال: إني إذن أشقى الناس، به ضربتُ صغيراً لأتعلَّم وضربتُ كبيراً لأترك.

ذمُّ الكثير منه

ذُكِرَ النحوُ عندَ المأمونِ فقال: علمٌ يغنيك أدناه عن أقصاه.

وقال أبو حنيفة: المكثِّرُ من النحوِ كالمكثِّرِ من غرسِ شجرٍ لا يُثمر.

وقيل: النحوُ ملحُ العلمِ، ومتى استكثِرَ من الملحِ في الطعامِ فسَد.

^١ قال الجاحظ في البيان والتبيين: ومَرَّ رجل من قريش بفتى من ولد عتَّاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه، فقال: أف لكم، علم المؤدِّبين وهمة المحتاجين!

^٢ قال أبو زيد، قال أبو عبيدة: قال لي أبي: يا بني إذا كتبت كتاباً فالحنُّ فيه فإن الصواب حرفة والخطأ بُحج. انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدى، وريع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

وَدُكِّرَ أَهْلُ النُّحُوِّ عِنْدَ بَعْضِ الْبُلْغَاءِ فَقَالَ: أَغْزَيْتُمْ عَلِمًا أَنْزَلْتُمْ فِهْمًا.

مدح العروض وذمّه

قيل: معرفة العروض تسهّل عليك ما تعوّج من الشعر، فإنّه نصابه ونظامه وعمودُه وقوامه.

وعاب النّظام^١ الخليل فقال: تعاطى ما لا يحسنه، ورام ما لا يناله وفتنته دوائره^٢ التي لا يحتاج إليها غيره.

ودخل أعرابيُّ مسجدَ البصرة فانتهى إلى حلقة علم، يتذاكرون الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم ثم أخذوا في العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ووردَ عليه ما لم يعرفه فظنّ أنهم يأتمرون به فقام مسرعاً وخرج وقال: قد كان أخذهم في النحو^٣ يُعجِبني حتى تعاطوا كلام الرّنج والرّوم

^١ إبراهيم بن سيّار النّظام: وُلد في البصرة، عام ١٦٠ هـ وتلمذ في الاعتزال على يد أبي الهذيل العلاف، ثم انفرد عنه وكون له مذهباً خاصاً (النّظامية)، وكان أستاذ الجاحظ. توفي في بغداد، عام ٢٢١ هـ.

^٢ الدائرة العروضية في علم العروض مصطلح يطلق على عدد من مجور الشعر التي يتشابه بعضها مع بعض في المقاطع الشعرية.

^٣ في الأصل: الشعر، وكل من روى هذا الخبر قال النحو، لأن الأبيات قيلت في النحو؛ قالها أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان، وكان قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه وأنكره، فهجا أصحاب النحو فقال هذا. وقيل: دخل أبو مسلم عبد الرحمن صاحب الدولة، قبل

لَمَّا سَمِعْتُ كَلَامًا لَسْتُ أَفْهَمُهُ كَأَنَّهُ زَجَلُ الْغِرْبَانِ وَالْبُومِ
وَلَيْتُ مُنْفَلِتًا وَاللَّهِ يَعِصِمُنِي مِنَ التَّقَحُّمِ فِي تِلْكَ الْجَرَائِمِ
وقال ابنُ طباطبا:

كُلُّ الْعُلُومِ تَزِينُ الْمَرْءَ بَهْجَتِهَا إِلَّا الْعُرُوضَ فَقَدْ شَانَتْ ذَوِي الْأَدَبِ
بِالدَّوَائِرِ دَارَتْ مِنْ دَوَائِرِهَا مَا لِأَمْرِي أَرْبٌ فِي ذَاكَ مِنْ أَرْبٍ
فَاسْتَعْمِلِ الدَّوَقَ فِي شِعْرِ تَوْلَفُهُ وَزِنْ بِهِ مَا بَنَوْا فِي سَالِفِ الْحِقَبِ

أن يرتفع حاله، إلى معاذ بن مسلم الهراء النحوي، فسمع معاذاً يناظر رجلاً في النحو فقال لمعاذ: كيف تقول من {تَوْزُهُمْ أَرْبٌ} يا فاعلُ افعالُ، فأجابه الرجل: "يا أَرْبُ أَرْبٌ"، وإن شئت: "أَرْبٌ"، وإن شئت: "أَرْبٌ"، وإن شئت: "أَوْزُزٌ". فسمع كلاماً لم يعرفه، فقام من عنده وقال ما قال. انظر: تاريخ العلماء النحويين للتوخحي، وسبب وضع علم العربية للسيوطي، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، أبي بكر، وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، جمال الدين، ومجالس العلماء للزجاجي.

¹ في النسخة المحققة: دوارها، وهو خطأ واضح.

مدح المُلح^١

قال الأصمعيُّ: نِلْتُ بِالْعِلْمِ وَوَصِلْتُ^٢ بِالْمُلْحِ^٣.

وقيل^٤: النوادرُ تفتَحُ^٥ الأذهانَ وتفتِّقُ^٦ الآذانَ.

قال أبو عبيدة^٦: المُلْحُ مروءةٌ تَنفُقُ^٧ عندَ الأشرافِ^٨، فارتادوا لها وانظروا عند مَنْ تَضَعُونَهَا.

^١ المُلْح: جمع مُلْحَة، وهي الكلمة الظريفة والنادرة الخفيفة تُرَوِّحُ عن النَّفس.

^٢ في النسخة المحققة: وصلت، بواو واحدة، وهو خطأ واضح. والتصويب من المصادر الآتية، وفيها زيادة وتوضيح للعبارة، إذ جاءت على هذا النحو نلت ما نلت بالعلم ووصلت إلى ما وصلت بالملح.

^٣ انظر: الحيوان، والبيان والتبيين للجاحظ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، جمال الدين، وسير أعلام النبلاء للذهبي.

^٤ القائل هو الرشيد، فعن الأصمعي قال: سمعت الرشيد يقول: النوادر تشحذ الأذهان وتفتق الآذان. انظر: أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، وثمرات الأوراق في المحاضرات للحموي، ابن حجة، والمشیخة البغدادية لأبي طاهر السلفي.

^٥ وفي رواية: تستحد، وفي رواية: تشحذ.

^٦ أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ - ٢٠٩ هـ): أديب، لغوي، إخباري.

^٧ نفقت البضاعة: راجت ورغب فيها.

^٨ في النسخة المحققة: الإشراف، بالهمزة التحتانية، وهو خطأ واضح.

مدح الكلام

قيل: المتكلمون دعائم الدين، ولولا هم لأضلت الملاحدة كثيراً من الناس. وروي أن ملك الصغد^١ كتب إلى الرشيد يسأله أن يبعث إليه من يعلمه الدين، فدعا يحيى بن خالد^٢ فعرض عليه الكتاب، فقال يحيى: لا يقوم لذاك إلا رجلان ببابك: هشام بن الحكم^٣ وضرار^٤، فقال: كلا إهما مبتدعان فيلقنان القوم ما يفسداهم ويغويهم بالمسلمين، ليس لذلك إلا أصحاب الحديث، فقال يحيى: أصحاب الحديث لا يُحسنون، وأهل الصغد قد غلب عليهم الثنوية^٥، فأتى أبو يوسف^٦ ووجه بعض أصحاب الحديث، فلما وردوا أكلهم أهل الصغد بالحجج. فقال ملك الصغد: ما أضعف دينكم

^١ في النسخة المحققة: الصغد، بالفاء، وهو خطأ واضح. والصغد (بالعين): كانت حضارة إيرانية قديمة ضمت أقاليم سمرقند وبخارى وأوزبكستان، بالإضافة إلى إقليم صغد في دولة طاجيكستان حالياً. وقد غزاها قتيبة بن مسلم وفتحها ودخل أهلها في الإسلام.

^٢ يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد.

^٣ هشام بن الحكم الكندي من أعلام الشيعة والمتكلمين في القرن الثاني الهجري، كان لهشام مناظرات مع رؤساء الفرق والمذاهب.

^٤ ضرار بن عمرو الغطفاني: قاض من كبار المعتزلة، كان صديقاً ليحيى بن خالد البرمكي.

^٥ الثنوية طائفة من المجوس، وهم من قالوا يلهين اثنين؛ هما إله النور وإله الظلمة.

^٦ القاضي أبو يوسف الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، وهو تلميذ أبي حنيفة.

وَحُجِّجَكُمْ، فَضَحِكْكَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا هَذَا الضَّحِكُ؟
فَقَالَ: إِنَّا لَسْنَا أَصْحَابَ الْحُجْجِ؛ فَإِنَّا مَقْلَدَةٌ وَعِنْدَنَا مَنْ لَهُ الْجَدَلُ وَعِنْدَهُ
الْحُجْجُ وَلَا يَقْوَى لَهُمْ أَحَدٌ، وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُ الْمُحْصَلِينَ^١ عَلَى صَاحِبِنَا أَلَّا يَبْعَثَنَا
فَوْقَ الْغَلَطِ عَلَيْهِ^٢.

ذَمُّهُ

قال أبو يوسف: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزَنَّدَقَ^٣.
وقيل: مَا تَعَلَّمَ أَحَدُ الْكلامِ إِلَّا ساءَ ظَنُّهُ بِالنَّاسِ^٤.
وقيل: مَنْ جَعَلَ (دِينَهُ)^٥ غَرَضًا لِلْجِدالِ أَكْثَرَ التَّنقُّلِ مِنْ رَأْيٍ إِلَى رَأْيٍ^٦.

^١ هكذا في الأصل، والمحصلون هم الذين أدركوا بعض العلم.

^٢ لم أجد هذا الخبر إلا عند الراغب، ومن نقله فعنه نقل.

^٣ قال أبو الفضل الرازي في أحاديث في ذم الكلام وأهله إن أبا يوسف قال: (مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ تَزَنَّدَقَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَّبَ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكَيمِيَاءِ أَفْلَسَ).

^٤ في أخبار القضاة للقاضي وكيع عن الحسن البصري: ما فقه رجل قط إلا ساء ظنه بالناس.

^٥ ما بين القوسين ساقط من النسخة المحققة، وقد أثبتته من المصادر التالية.

^٦ في كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنقُّلِ». وانظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، والزهد لأحمد بن حنبل.

وحكى بعضُ الصوفية قال: استشرتُ أبا عبدِ الله بنَ حنيفة في تعلُّم الكلام فقال: لا تفعل؛ فأقلُّ ما فيه أنك تسيء عشرةَ الربِّ. فقلت كيف ذلك؟ فقال: لأنك أبداً تقول لو فعل اللهُ كذا لكان جاهلاً ولو كان كذا لكان عاجزاً، ونحو ذلك مما يجري في كلامهم^١.

مدح الفقه

قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إذا أراد اللهُ بعبد خيراً ففَّقهه في الدِّين^٢، وعرفه عيوبَ نفسه^٣.

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لكل شيءٍ عماد، وعماد هذا الدين الفقه^٤.

^١ لم أجد هذا الخبر إلا عند الراغب.

^٢ الجزء الأول من الحديث رواه البخاري بلفظ: مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ.

^٣ أما الجزء الأخير فقد قال الألباني في السلسلة الضعيفة: ٢٢٢٠ "إذا أراد الله بعبد خيراً؛ ففقهه في الدين؛ وبصره عيوب خلقه؛ وزهده في الدنيا": ضعيف جداً رواه أبو بكر الشافعي في "مسند موسى بن جعفر بن محمد الهاشمي".

^٤ حكم عليه الألباني في السلسلة (٥١٥٩) بالوضع. ونقل عن الحافظ العراقي؛ قوله: "إسناده ضعيف". وأضاف: كذلك اقتصر الحافظ المنذري في "الترغيب" على الإشارة إلى تضعيفه، وقال: "رواه الدارقطني، والبيهقي، وقال: المحفوظ أن هذا اللفظ من قول الزهري". اهـ

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الأنبياءُ سادة، والفقهاءُ قادة، ومجالستهم زيادة^١.
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقيهٌ واحدٌ أشدُّ على إبليسَ من ألفِ عابدٍ^٢.

مدح الحساب^٣

قال الله تعالى: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

وقال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ).

وقيل: الحسابُ ديباجُ العلمِ.

وقال عليُّ بنُ زين: لو رَفَعَ الحسابُ لبطلتِ العلومُ، ولو رُفِعَتِ العلومُ لم يَطلِ الحسابُ.

^١ قال الألباني في السلسلة: ٤٢ "الأنبياء قادة، والفقهاء سادة، ومجالستهم زيادة": موضوع. أخرجه الدارقطني في "سننه" والقضاعي في "مسند الشهاب" من طريق أبي إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.

^٢ قال الألباني: موضوع. انظر الهامش رقم ٣ السابق.

^٣ هو ما يعرف بعمليَّة جمع الأرقام، والأعداد، وطرحها أو ضربها أو قسمتها.

مدْحُ استخراج المعَمَى وذُمَّه والحاذق فيه

قيل: استخراجُ المُعَمَى^١ يدقُّ النَّظَرَ ويصقلُ الدَّهْنَ ويفطِنُ القلبَ.

وقيل: إِنَّ بعضَ اليونانيين كتب بلغتهم كتاباً إلى الخليل^٢ فحلا به شهراً حتى فهمه ف قيل له في ذلك، فقال: علمتُ أنه لا بدَّ من أن يُفتَّحَ الكتابُ باسمِ اللهِ فبنيتُ على ذلك فقسَّتُ عليه وجعلتُ ذلك أصلاً ففتحتُه، ثم وضعتُ كتابَ المعَمَى على ذلك^٣.

وقال أبو حاتم: سألتُ الأصمعيَّ عن المعَمَى فقال هو عَمَى القلبِ.

وقال الجاحظُ: ليس المعَمَى بشيءٍ، قد كان كيسانُ^٤ مستملي أبي عبيدةَ يسمعُ خلافَ ما يقال، ويكتبُ خلافَ ما يسمعُ، ويقرأُ خلافَ ما يكتبُ، يتعسرُ عليه استخراجُ أحفٍ نُكْتَةٍ مِنَ المعَمَى.

^١ المُعَمَى مِنَ الكَلَامِ: مَا عَمِيَ مَعْنَاهُ وَخَفِيَ. ومنه كتاب استخراج المعمى، لأبي الحسن بن طباطبا. وعلم التعمية واستخراج المعمى عند العرب علم قديم وهو يقابل في العصر الحديث ما يعرف بال (الشُّفْرَة وكسرهما) أو (التشفير) أو (أمن المعلومات).

^٢ الخليل بن أحمد.

^٣ انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، أبي بكر، وشرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي.

^٤ عرف بهذا الاسم: كيسان مستملي أبي عبيدة. ولم أعثر له على أكثر من ذلك.

معرفة النسب

سئل بعضهم عن علم النَّسَب، فقال: هو علمٌ لا تنفعُ معرفته ولا يضُرُّ جهله.

وقال رجلٌ لأبي عُبَيْدَةَ: علّمني شيئاً من النَّسَب، فقال: ما تستفيدُ بذلك إلا معرفةَ المعايِبِ.

وقيل: فلانٌ أنسبُ من دَعْفَلٍ ومن ابنِ لسانِ الحُمرةِ^١.

وقال المتنبيُّ في نبطيِّ عارفٍ بالنَّسَب:

وكم ذا بمصرٍ من المضحكاتِ ولكِنَّه ضحكٌ كالْبُكا
بها نبطيٌّ من أهلِ السّوادِ يُدرِّسُ أنسابَ أهلِ القلا^٢

^١ دغفل بن حنظلة الشيباني (نحو ١٧ ق هـ - ٦٥ هـ): نسابة العرب. و ابن لسان الحمرة الناسب، وهو: ورقاء بن الأشعر، وكنيته: أبو كلاب. وكان أنسب العرب. والحمرة من العصافير تشبه القبرة.

^٢ في النسخة المحققة: العلاء، بالعين، وهو خطأ واضح. والفلا جمع فلاة وهي الصحراء. والنبط: صنف من العجم ينزلون سواد العراق، واحدهم نبطي، وأرادها هنا الوزير ابن حنزابة، وهو جعفر بن الفضل بن الفرات، وكان على بنت الإخشيد مولى كافور، فعرض به، ونسبه إلى أصله، فيقول: وماذا بمصر من الأمور المضحكة، والأعاجيب المستغربة، وإن كان ذلك الضحك كالبكاء عند النظر والتبين، والاحتمال على حقيقة التأمل. ثم قال، وهو يريد ابن حنزابة، وكان مولعاً بتتبع أنساب العرب: بما نبطي من أرض السواد قد جعل مطالعة أنساب العرب علمه، وقصر على الاعتياء بما نفسه، فهو يدرس أنساب أهل البادية ويتعلمها، ويبحث عنها بجهده ويتفقدتها،

وصف فنون من العلم

قيل: علمُ الملوكِ النسبُ والخبرُ والشعرُ، وعلمُ السلطانِ المغازي والسَّيرَ، وعلمُ التُّجَّارِ الحسابُ، وعلمُ الكُتَّابِ معرفةُ الخطِّ وتصريفُ اللغات.

وقيل: العلومُ ثلاثةٌ: علمُ الدِّينِ لِمَعَادِكُمْ، وعلمُ الطبِّ لأبدانِكُمْ، وعلمُ الهندسةِ لمعاشِكُمْ.

وقيل: تعلَّموا الفقهَ لأديانِكُمْ والطبَّ لأبدانِكُمْ والنحوَ لبيانِكُمْ.

متبجَّح باستيعاب العلم

قال ابنُ المنجِّم^١: أَحِبُّ أَنْ أَلْقَى عَدِيَّ بِنِ الرَّقَاعِ^٢ فَأَقُولُ لَهُ: أَلَسْتَ الْقَائِلُ:

وَعَلِمْتُ حَتَّى لَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أُرْدَادَهَا^٣

والعرب ليسوا من صنفه، والاعتناء بأنسابهم ليس من شأن مثله. (انظر: شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي).

^١ أبو جعفر محمد بن موسى المنجِّم: من أسرة شهيرة تسمى بنو موسى رياضيون وفلكيون، اتصلوا بالخليفة المأمون وبرعوا في علومهم.

^٢ عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملي، من عاملة: حى من قضاة، وكان شاعراً مقدما عند بنى أمية مداحاً لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك. وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ثم لم تتم بينهما مهاجاة. وتوفى سنة ست وعشرين ومائة.

^٣ وهو من قصيدته في مدح الوليد ومطلعها: عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى

أبلاذها

ثم أريه أنه قد جهل كل علم إلا قوله الشعر الذي يتقدمه عليه غيره، ثم أحسن أدبه وأعرك أذنه^١.

ولكشاجم^٢ في معناه:

وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْعِلْمَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَعَى وَأَفْتُنُّ فِي أَطْرَافِهِ أَتَطْرَفُهُ^٣
فَقَدْ صِرْتُ لَا أَلْفَى الَّذِي أَسْتَرْيِدُهُ وَلَا يُذَكِّرُ الشَّيْءُ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُهُ

وهذا من الإعجاب المفرط والجهل بفنون العلم، وكفى دلالة بقلة معلوم الوري قوله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا).

جودة الحفظ وذكر الحفاظ

قيل: فلان أحفظ بما يسمعه من الرمل للماء.

وهذا أثبت في صدره من الحمد لله).

^١ انظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني.

^٢ سبقت ترجمته.

^٣ في النسخة المحققة: أفنائه أتعرفه، وهو خطأ واضح. والصواب أطرافه أتعرفه، بمعنى أطلبه من أطرافه، كناية عن الشمول والاتساع.

^٤ في النسخة المحققة: ألقى، بالقاف، وهو خطأ واضح. والتصويب من ديوان كشاجم.

^٥ في النسخة المحققة: من، وهو خطأ واضح، والصواب في، وهو كناية عن شدة حفظه هذا الشيء أكثر من حفظه سورة الفاتحة التي يقرأها في اليوم والليلة كثيراً.

ولَمَّا نزل قوله تعالى: (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعليٍّ^١: سألتُ الله أن يجعلها أذُنَكَ يا عليُّ، فلم يسمع بعد ذلك شيئاً إلا حفظه^٢.

وقيل: كان عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ^٣ يضبطُ حسابَ العراقِ وهو أميٌّ.

وقال الشَّعْبِيُّ: ما كتبتُ سوداءَ في بيضاءَ إلا حفظتها. وقال: أحفظُ كلَّ حديثٍ سمعتُ والموضعُ الذي سمعتُ فيه.

وقال الأصمعيُّ: أحفظُ اثني عشرَ ألفَ أرجوزة. فقال رجلٌ: منها البيتُ والبيتان، فقال: ومنها المائةُ والمائتان.

^١ في النسخة المحققة: لعليٍّ، بصيغة الترجي، والتصويب من كتب الأحاديث. انظر الهامش التالي.
^٢ أخرجه: ابن عساکر في "تاريخ دمشق" والطبري في "تفسيره": قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}، ثم التفت إلى عليٍّ، فقال: "سألتُ الله أن يجعلها أذُنَكَ"، قال لعليٍّ - رضي الله عنه - : فما سمعتُ شيئاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنتسيته. وفي إسناده ضعف.

^٣ في النسخة المحققة: عمرو، بزيادة الواو، والصواب عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الأمير أبو المثني الفزاري هو أمير العراق.

ووردَ أبو مسعودِ الرازيُّ^١ أصبهانَ، ويقال إنه أملى عن ظَهْرِ قلبه مائةَ ألفِ حديثٍ، فلما وصلتْ كتبه قوبلتْ بها فلم يُعْتَرَّ منها على سقطةٍ إلا في مَثْنِ حديثين^٢.

وادَّعى الرازيُّ^٣ أنه حفظَ كتابَ الأمثالِ لأبي عبيدةَ في ليلةٍ، وقيل جرى حديثُ الحفظِ لَمَّا كان بأصبهانَ، فقرأ عليه أوراقٌ من حسابِ البقالين فأعادها على الترتيب.

النسيان

قيل: فلانٌ لو غابتْ عنه العافيةُ لَنَسِيَهَا^٤.

^١ أبو مسعود أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي محدث أصبهان، وأحد رواة الحديث النبوي.

^٢ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي.

^٣ في النسخة المحققة: الخوارزمي، والصواب الرازي أبو مسعود الذي سبق ذكره. والتصويب من التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٤ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، وريع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري.

وحكى جِرابُ الدَّولة^١ أن رجلاً كان على عاتقه صبيٌّ عليه قميصٌ أحمرٌ، وهو ينادي: مَنْ وَجَدَ صَبِيًّا عَلَيْهِ قَمِيصٌ أَحْمَرٌ؟ فقيل: أليس هو على عاتقك؟ فلمسه فقال: أحسنت! كنتُ نسيته.

وقال قتادة يوماً: ما نسيْتُ شيئاً قطُّ، ثم قال في أثره: يا غلامُ اتتني بنعلي، فقال له الغلامُ: أليس نعلك في رجلك، وكان قد نسيه.

عذر من نسي

قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ والنِّسيانَ وما اسْتُكْرِهوا عليه^٢.

وقال تعالى في آدَمَ: (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً).

وقال تعالى: (وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَدْكُرَهُ).

^١ أحمد بن محمد، بن علويه، من أهل سجستان، وكان طنبوريا أحد الظرفاء، في أيام المقتدر، وأدرك دولة بني بويه، فلذلك سمى نفسه بجراب الدولة، لأنهم كانوا يفتخرون بالتسمية في الدولة، وله كتاب ترويض الأرواح ومفتاح السرور والأفراح لم يصنف في فنه مثله اشتمالاً على فنون الهزل والمضاحك.

^٢ أخرجه ابن ماجه، والطبراني في (المعجم الأوسط)، والبيهقي، وصححه الألباني.

وسُمِّيَ الناسي ابنَ سَهْوَانَ، ومنه قيل: إن الموصينَ بنو سَهْوَانَ^١.
قال البحتريُّ:

إِنْ كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا فَلَا عَجَبٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهُ آدَمًا فَنَسِيَ
وقال آخرُ^٢:

لَا تَنْسِينَ تِلْكَ الْعُهُودَ فَإِنَّمَا سُمِّيتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِي

التذكُّر

قيل في المَثَلِ: ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا^٣.

وقال ابنُ الروميِّ في تذكُّر المتلو بالعودِ إلى ما قبله، وهو بديعٌ في بابه:

وتالٍ تلا يوماً فأنسي آيةً فأعيت عليه حين رام انتهازها

^١ الموصون جمع موصى وهو الذي توصيه بالشيء مرة بعد أخرى ومعناه توصيهم بالشيء وتؤكد عليهم ثم يسهون عما أوصوا ويتركونه ويحتجون بالسهو. انظر: جمهرة الأمثال للعسكري.

^٢ هو أبو تمام في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: ما في وقوفك ساعةً من باسٍ نقضي ذمام الأربع الأدراس

^٣ جاء في كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري: قال الأصمعيُّ: سمعتُ المُفَضَّلَ يقولُ: معنى قول العرب: «ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا» سَبُّهُ أَنْ رَجُلًا حَمَلَ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ، وَكَانَ فِي يَدِ الْمُحْمُولِ عَلَيْهِ رُمْحٌ، فَأَنْسَاهُ اللَّهُشُ وَالْفَرْعُ مَا فِي يَدِهِ، فَقَالَ الْحَامِلُ: أَلْقِ الرُّمْحَ، فَقَالَ: أَلَا أَرَى مَعِيَ الرُّمْحَ وَأَنَا لَا أَشْعُرُ، «ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا»، ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى صَاحِبِهِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، وَالْحَامِلُ صَخْرٌ بَنُ مُعَاوِيَةَ، وَالْمُحْمُولُ عَلَيْهِ يَزِيدُ بَنُ الصَّعْقِ.

فَكَرَّ عَلَى مَا قَبَلَهَا مُتَدَبِّرًا فَتَابَ لَهُ ذِكْرٌ فَأَمْضَى مَجَازَهَا^١
 فَشَبَّهْتُهٗ بِابْنِ السَّبِيلِ تَعَرَّضْتُ لَهُ وَهْدَةٌ فَاسْتَصَعَبَتْ حِينَ رَازَهَا^٢
 تَقَهَّرَ عَنْهَا قَيْسَ عَشْرِينَ خُطْوَةً وَجَاشَ إِلَيْهَا جَيْشَةً فَأَجَارَهَا

ما يورث النسيان

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: مما يورث النسيان الحمامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، وأكل سور الفأر، وقراءة ألواح المقابر، والنظر إلى المصلوب، والمشئي بين الجملين المقطورين^٣، وإلقاء القملة إلى الأرض^٤.

وقيل: إن الباقلاء تفسد من الحفظ في يوم ما لا يصلحهُ البلاذُر^٥ في سنة.

^١ في النسخة المحققة: فأفضى حجازها، وهو خطأ واضح، والتصويب من الديوان.

^٢ الوهدة: الأرض المنخفضة، رازها: احتبرها.

^٣ في النسخة المطبوعة المحققة: المقطرين، بإسقاط الواو. يقال قطر البعير إلى غيره: ضمَّه إليه وساقهما مساقاً واحداً، وأيضاً من معناه: دهنه بالقطران.

^٤ قال العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: لا يصح من ذلك شيء. اهـ. ثم إن هذا كلام غير لا يليق بأحد الناس، فكيف بأبي الحسن الفصيح النصيح؟

^٥ البلاذُر: ثمر معروف مفيد في تقوية الفهم ويسمى أيضاً السوسن الهندي .

تصنيف الكتب

قال الجاحظ: لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً^١.

وقيل: مَنْ صَنَّفَ فَقَدِ اسْتَهْدَفَ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ اسْتَشْرَفَ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدِ اسْتَقْدَفَ^٢.

وقيل: عرضُ بناتِ الصُّلبِ على الحُطَّابِ أسهلُّ من عرضِ بناتِ الصدرِ على ذوي الألبابِ.

^١ ونقل أبو طاهر السلفي في الطيوريات عن الأصمعي قوله: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: (الإنسان في فسحة من عقله وفي سلامة من أفواه الناس ما لم يضع كتاباً أو يقل شعراً).

^٢ حكاه الإمام شمس الدين السخاوي في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث عن عبد الله بن المفضل بلفظ: (مَنْ صَنَّفَ فَقَدِ اسْتَهْدَفَ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ اسْتَعَطَفَ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدِ اسْتَقْدَفَ). كما حكى أيضاً نحوه عن العتابي بلفظ: (إِنْ مَنْ صَنَّفَ فَقَدِ اسْتَشْرَفَ الْمَدِيحَ وَالذَّمَّ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدِ اسْتَهْدَفَ لِلْحَسَدِ وَالْغِيبَةِ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدِ تَعَرَّضَ لِلشُّتْمِ، وَاسْتَقْدَفَ بِكُلِّ لِسَانٍ).

جاهل يصنّف كتاباً أو يقول شعراً

قال الفضل بن سَلْمَةَ^١: عجباً منك أبا الهيثم إذ كنتَ تصنّف^٢.

وقال أحمد بن أبي طاهر^٣:

أظنُّ دَعْوَتَهُ فِي الشُّعْرِ جَائِزَةً لَهُ عَلَيَّ كَمَا جَازَتْ عَلَيَّ النَّسْبُ^٤

وقال آخرُ:

ويوهننا أَنَّهُ شَاعِرٌ كَأَنَّا قَدِمْنَا مِنَ الْبَادِيَةِ

^١ لعله المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩٠ هـ): كاتب وأديب ولغوي وشاعر من الكوفة عاش في العصر العباسي الأول وكان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكل. ومن كتبه (البارع) في اللغة، و(الفاخر) في الأمثال.

^٢ لم أعثر عليه.

^٣ أحمد بن أبي طاهر الكاتب الملقب بابن طيفور، مؤرخ وأديب وجغرافي (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ)، ولد في بغداد في عائلة يرجع نسبها إلى ملوك خراسان، وله تصانيف كثيرة في السفر والرحلات وأخبار الشعراء.

^٤ قال محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد إن أحمد بن أبي طاهر سَمِعَ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ عَنْهُ إِنَّهُ يَنْتَجِلُ الْأَشْعَارَ فَقَالَ مُحَاطِبًا لَهُ:

مَهْلًا أَبَا حَسَنِ مَهْلًا فَتَى الْعَرَبِ ... مَهْلًا فَتَى الشُّعْرِ مَهْلًا يَا فَتَى الْأَدَبِ

وفيها:

أظنُّ دَعْوَتَهُ فِي الشُّعْرِ جَائِزَةً ... لَهُ عَلَيَّ كَمَا جَازَتْ عَلَيَّ النَّسْبُ

وقال ابنُ الروميِّ:

كيف لا يشتدُّ وسواسي حيث أشعارك تدراسي
ما اقتنى مثلكَ دهرُ السـ سوءٍ إلا حينَ إفلاسي

التعريضُ بجاهل

قال حجازيُّ لابنِ شبرمة: منّا خرَجَ العِلْمُ. فقال: نعم ولكنْ لم يَعُدْ إليكم^١.
وأورد رجلٌ على آخرِ علماً فقال: أتحمِلُ التمرَ إلى هَجَرَ؟ فقال: إذا قلَّ حملُها
ونزر نخلُها^٢.

قال الشاعرُ:

يتعاطى كلَّ شيءٍ وهو لا يُحسِنُ شيئاً^٣

وقال آخرُ^٤:

مَوَّهَ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنْ حِكْمٍ لَكِنَّ تَمْوِيهَهُ عَلَى بَقَرٍ

^١ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

^٢ انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وريع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري.

^٣ وبعده: فهو لا يزداد رُشدًا... إنما يزداد غَيًّا. انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي.

^٤ سماه محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد: البديهي، أبو الحسن علي بن محمد البديهي.

من شهرزور. مات سنة ٣٨٠ هـ من شعراء الصاحب بن عباد.

وقال آخر^١:

وَقَالَ الطَّانِزُونَ^٢ فَيَّ أَدِيبٌ فَصَعَدَ مُقْلَتَيْهِ لَهْمٌ وَتَاهَا
وَأَطْرَقَ لِلْمُسَائِلِ أَيُّ بِأَيِّ^٣ وَمَا يَدْرِي وَحَقِّكَ مَا طَحَاهَا^٤

جاهل غير عارف بجهله

قيل: مَنْ لَا يَدْرِي، وَهُوَ يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذَاكَ جَاهِلٌ فَعَلَّمُوهُ. وَمَنْ لَا يَدْرِي وَهُوَ لَا يَدْرِي^٥ أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذَاكَ أَحْمَقُ فَاجْتَنِبُوهُ^٦.

قال الشاعر^٧:

جَهَلْتِ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ

^١ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد إلى منصور الفقيه.

^٢ الطانزون: الساحرون المستهزون.

^٣ في النسخة المحققة: بايه، وهو خطأ واضح.

^٤ لا يدري ما طحاهما: كلمة تجري مجرى الأمثال والكنائيات. انظر كنايات المرحاني.

^٥ في النسخة المحققة: يقدر، وهو خطأ واضح.

^٦ قال البيهقي في السنن الكبرى: عن الخليل بن أحمد: "الرَّجَالُ أَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذَاكَ غَافِلٌ فَنَبَّهْهُ، وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذَاكَ جَاهِلٌ فَعَلَّمُوهُ، وَرَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي فَذَاكَ عَاقِلٌ فَاتَّبِعْهُ، وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي فَذَاكَ مَائِقٌ فَاحْذَرُوهُ".

^٧ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد إلى الناشئ، يهجو داؤد بن علي الأصفهاني الفقيه.

وقال آخر^١:

أَخَالِدُ لَمْ تَعْلَمْ وَلَسْتَ بِعَالِمٍ بِأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ وَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ
وبضد ذلك تَمَدَّح مَنْ قَالَ: مَا فِيَّ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ إِلَّا عِلْمِي بِأَنِّي لَسْتُ
بعالم^٢.

العتب على من يذمُّ علماً

تحدّث يوماً شريك^٣ بحديثٍ فقال عافية القاضي^٤: لا أعلمُ هذا. فقال: وهل
يَضُرُّ عالِماً جهلُ جاهل^٥.

^١ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد إلى مُحَمَّد بن مَيَّادَةَ يهجو خالد بن قاضي البصرة.

^٢ نسبه الشوكاني في الفتح الرباني إلى الحكيم أبقراط.

^٣ شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي، ولد في بخارى. وأدرك شريك عمر بن عبد العزيز، استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣ هـ، ثم عزله. وأعادته المهدي، فعزله موسى الهادي. توفي بالكوفة.

^٤ عافية بن يزيد بن قيس الأودي، القاضي الكوفي، أحد الأعلام؛ تفقه على أبي حنيفة، وبرع في الفقه، وتوفي في حدود السبعين ومائة.

^٥ انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، وأخبار القضاة لوكيع.

وقال المتنبي^١:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَقْتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وقال ابنُ الرومي^٢:

عَابُوا قَرِيضِي وَمَا عَابُوا بِمَعْرِفَةٍ وَلَنْ تَرَى الشَّمْسَ أَبْصَارُ الْخَفَافِيشِ

ذُمَّ مُسْتَكْثَرٌ لِعِلْمِهِ مَعْجَبٌ بِنَفْسِهِ

ذكر النّظامُ الخليلَ فقال: تَوَحَّدَ بِهِ الْعُجْبُ فَأَهْلَكَهُ وَصَوَّرَ^٣ لَهُ الْإِسْتِبْدَادُ صَوَابَ رَأْيِهِ فَتَعَاطَى مَا لَا يَحْسِنُهُ^٤.

وقال إبليسُ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَدْرَكْتُ حَاجَتِي مِنْهُ: مَنْ اسْتَكْثَرَ عِلْمَهُ، وَنَسِيَ ذَنْبَهُ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ^٥.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: نُبِّئْتُ أَنَّ رِجَالًا لَا خِلَاقَ لَهُمْ وَلَا مُقْتَنَشَ صِدْقٍ عِنْدَ تَفْتِيشِ

^٣ في النسخة المحققة: وَصَوَّبَ، وهو خطأ، والتصويب من الجاحظ في الهامش الآتي.

^٤ قال الجاحظ في الحيوان: وَذَكَرَ النَّظَّامُ الْخَلِيلَ بَنَ أَحْمَدَ فَقَالَ: «تَوَحَّدَ بِهِ الْعُجْبُ فَأَهْلَكَهُ، وَصَوَّرَ لَهُ الْإِسْتِبْدَادَ صَوَابَ رَأْيِهِ فَتَعَاطَى مَا لَا يَحْسِنُهُ وَرَامَ مَا لَا يَنْبَاهُ، وَفَتَنَتْهُ دَوَائِرُهُ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ».

^٥ انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي، وشعب الإيمان للبيهقي، ودرر الحكم لأبي منصور الثعالبي.

ويدخل في هذا الباب ما ذُكِرَ في قولِ عديِّ بنِ الرقاعِ وقد تقدّم^١.

ذُمُّ مدّعٍ للعلم

قال كُشاجم^٢:

تَشَبَّهَ فِي النَّحْوِ بِالْأَخْفَشِيِّينَ^٣ فَجَاءَ بِأَعْجُوبَةٍ مُطْرِفَةٍ
وَلَمْ يَسْمَعْ النَّحْوَ لِكِنَّةٍ قَرَأَ مِنْهُ شَيْئًا وَقَدْ صَحَّفَهُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَخْفَشَ النَّاطِرِينَ فَإِنَّ الْفَتَى أَخْفَشَ الْمَعْرِفَةَ
وقال آخر^٤:

فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

^١ يقصد قوله: قال ابن المنجم: أحبُّ أن ألقى عديَّ بنَ الرقاعِ فأقول له: ألسنتَ القائل:

وَعَلِمْتُ حَتَّى لَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا

ثم أريه أنه قد جهل كلَّ علمٍ إلا قوله الشعرَ الذي يتقدمه عليه غيره، ثم أحسنُ أدبه وأعركُ أدنّه.

^٢ سبقت ترجمته.

^٣ الأخفشون: الأخفش لقب اشتهر به أحد عشر عالماً من النحويين، أشهرهم الأخفش الأكبر والأخفش الأوسط والأخفش الأصغر والأخفش الدمشقي.

^٤ نسبه محمد بن أيدمر في الدر الفريد إلى أبي تمام قاله يَهْجُو رَجُلًا تَعَاطَى الْأَدَبَ وَكَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وقبله:

سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ ... وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَّاجٍ أَدِيبِ

وقال أبو العتاهية^١:

أَشَدُّ النَّاسِ لِلْعِلْمِ ادِّعَاءَ أَقْلُهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ عِلْمًا

وقال الصُّولي في نِفْطُوِيهِ^٢:

يُشْرِعُ فِي أَكْثَرِ الْعُلُومِ وَلَا يَعْرِفُ مِنْهَا أَقْلَهَا خَطْرًا

من ادّعى ففضّحه الامتحان

ويَدّعي الحفظَ للقرانِ ولا يَقومُ بالحمدِ^٣ وحدها نظراً

^١ رواه محمد بن أيّدمر في الدرّ الفريد وابن عبد البر في جامع بيان العلم، وقبله بيت وبعده بيت:

إِذَا لَمْ تَخْتَرَسْ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ ... أَسَأْتَ إِجَابَةً وَأَسَأْتَ فَهْمًا

أَشَدُّ النَّاسِ لِلْعِلْمِ ادِّعَاءَ ... أَقْلُهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ عِلْمًا

وَفِي الصَّمْتِ الْمَبْلَغِ عَنْكَ حُكْمٌ ... وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ أَشَدُّ حُكْمًا

^٢ أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله، نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكا بمرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. توفي كما يقول ابن النديم مستترا بالبصرة لأنه روى جزء في علي بن أبي طالب فطلبته الخاصّة العامّة لتقتله. والأرجح أنّه مات سنة ٣٣٦هـ

ونفطويه هو إبراهيم بن محمّد بن عرفة العتكيّ الأزديّ. إمام حافظ، من أئمة النحو. ولد في ٢٤٤ هـ وتوفي في ٣٢٣ هـ لقب (نفطويه) تشببها له بالنفط، لدمامته وأدمته، وزيد مقطوع (ويه)، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو.

^٣ سورة الحمد وهي الفاتحة.

وقيل: لسانُ الدعوى إذا نطقَ فضحَه الامتحانُ^١.

وقال الشاعر^٢:

كُلُّ مَنْ يَدَّعِي بِمَا لَيْسَ فِيهِ كَذَّبَتْهُ شَوَاهِدُ الْإِمْتِحَانِ^٣
ذُمُّ مَنْ يَصِيبُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ

ذمُّ أعرابيٍّ رجلاً فقال: خطؤه بعد اجتهاده وصوابه عن غير اعتماد^٤.

قال الشاعر^٥:

^١ انظر: الكشكول للبهاء العاملي.

^٢ هو أبو بكر الصنوبري. أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر، المعروف بالصنوبري. شاعر اقتصر أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة.

^٣ جاء في كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للمستشرق فنديك، إدوارد كرينليوس أن الشاعر محمد بن هاني الاندلسي المتوفى سنة ٣٦٢هـ وشهرته كشهرة المتنبّي وقال فيه الشاعر هذين البيتين:

إن تكن فارساً فكن كعليّ ... أو تكن شاعراً فكن كابن هاني

كُلُّ مَنْ يَدَّعِي بِمَا لَيْسَ فِيهِ ... كَذَّبَتْهُ شَوَاهِدُ الْإِمْتِحَانِ

^٤ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٥ هو أبو الأسود الدؤلي في ديوانه صنعة السكري، ومعه بيت آخر قالهما في عبدالرحمن بن فروخ:

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَمُخْطِي وَمَا دَرَى ... وَكَيْفَ يَكُونُ النُّوْكَ إِلَّا كَذَاكَ

وَإِنْ قَالَ قَوْلًا لَمْ يَكُنْ ذَا حَقِيقَةٍ ... وَإِنْ قُلْتَ خَيْرًا رَدَّهُ مِنْ فَعَالِكَا

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى وكيف يكون النوك إلا كذلك
الموصوف بالإصابة مرةً والخطأ أخرى
قيل في المثل: يَشْجُ مرةً ويأسو أخرى^١.
وقيل: شُخِبَ في الإناء وشُخِبَ في الأرض^٢.
هُوَ يَشُوبُ وَيَرُوبُ^٣.
فَوَادٍ خِطَاءٌ وَوَادٍ مَطْرٌ^٤.

^١ قال أبو عبيد في الأمثال: من أمثالهم: هو يشج مرةً ويأسو أخرى. أي يفسد أحياناً ويصلح أحياناً، والأسو هو الإصلاح، يقال: أسوت الجرح أسوه أسوأً، إذا داويته، قال الشاعر: "يد تشج وأخرى منك تأسوني"

^٢ قال أبو عبيد في الأمثال تحت عنوان باب إصابة الرجل في منطقته مرةً وأخطائه مرةً: قال الأصمعي: من أمثالهم في هذا أن يقال: شخبٌ في الإناء وشخبٌ في الأرض. قال: وأصله الخالب يجلب فيصيب مرةً فيسكب في إنائه، ويخطئ مرةً فيحلب في الأرض. يُضرب للرجل يخطئ ويصيب. ومثله قول الأصمعي: هو يشوب ويروب.

^٣ قال الميداني في الأمثال: هُوَ يَشُوبُ وَيَرُوبُ: الشُّوبُ: الخَلْطُ، والرُّوبُ: الإصلاح، وأصله يَرُوبُ، ولكن قَالُوا يَرُوبُ لِمَكَانٍ يَشُوبُ. يُضْرَبُ لِلَّذِي يَخْطِئُ وَيَصِيبُ.

^٤ في النسخة المحققة: فؤاد، بالهمز، والتصويب كما في الهامش التالي.

^٥ هذا شطر من قول الشاعر: لها وَبَّاتٌ كَصَوْبِ الْعَمَامِ** فَوَادٍ خِطَاءٌ وَوَادٍ مَطْرٌ

من سئل فتبَّله

قال الشاعر^١:

سَاءَلْتُهُ عَن عِلْمِهِ فَكَأَنَّما سَاءَلْتُ عَن سُكَّانِهِ رَبِّعًا

وقال آخر:

وكأَهم عند السؤالِ جلامد^٢

من يروي علماً ولا يفهم

قال الله تعالى: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا).

قال الطوفي في موائد الحيس في فوائد القيس، معلقاً على هذا البيت: شَبَّهَ وَتَبَّاتِ الْفَرَسِ بِصَوْبِ الْعَمَامِ، وهو يَحْمِلُ بِوَادٍ دُونَ وَادٍ، فَكَذَا هَذِهِ الْفَرَسُ، وَاذِ تَطْفُرُهُ، وَوَادٍ بَحْرِي فِيهِ، وَهَذَا مِنْ أَخْصَرِ الْكَلَامِ وَأَكْثَرِهِ مَعْنَى. اهـ

^١ هو السري الرِّفَاءُ، قاله يَهْجُو رَجُلًا مِنْ شُعْرَاءِ بَعْدَادَ اسمه عبدالسلام بن يوسف، والسري الرفاء هو السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن. شاعر، أديب من أهل الموصل. كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيديمر.

^٢ والبيت ضمن مقطوعة يقول فيها:

وُصِفَ ابْنُ يُوسُفَ لِي بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ أَثُولًا

سَاءَلْتُهُ عَن عِلْمِهِ فَكَأَنَّما سَاءَلْتُ عَن سُكَّانِهِ رَبِّعًا خَلَا

وَعَجِبْتُ مِنْ وَسَخِ عَلَى أَطْرَافِهِ لَوْ أَعْمَلْتَ فِيهِ الْمِبَارِدُ مَا انْجَلَى

^٣ جَلَامِدُ: جمع جَلَمَد، وهو الصَّخْر.

قال ابن الرومي^١:

فإن ثقلُ إنني رويْتُ فكالِدَّ
فُتِرَ جهلاً بكلِّ ما اعتقدَه

محنة العلماء في أيدي الجهال

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارحموا عزيزَ قومِ ذَلٍّ، وغنياً افتقر، وعالماً بين جهال^٢.

وقيل: إن أردت أن تعذب عالماً فاقرن به جاهلاً^٣.

وقيل: إن ثمامة بن أشرس^٤ لما غضب عليه الرشيد سلّمه إلى خادمٍ يقال له ياسر، وكان الخادم يتفقده ويحسنُ إليه، حتى سمعه ثمامة يوماً يقرأ: ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين (بفتح الذال) فقال ثمامة: ويحك المكذّبين هم الأنبياء، اقرأ

^١ قال الحصري القيرواني في زهر الآداب وثمر الألباب عن ابن الرومي: واتصل به أنّ رجلاً عرض عليه قصيدة من شعره فطعن عليها، فقال قصيدته (التي منها الشاهد السابق) يقول فيها:

أعتقت عبدئ في القريض معاً ... عبدة والفحل من بني عبدة

والمقصود الشاعران عبدة بن الطبيب، وعلقمة بن عبدة الفحل، وكانا شاعرين مجيدين.

^٢ قال ابن الجوزي في "الموضوعات": موضوع، إنما يعرف من كلام الفضيل.

^٣ قاله أبو الأسود الدؤلي، انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزخشري.

^٤ ثمامة بن الأشرس النميري: مناظر قوي، وأديب بارع، كان يتردد على قصور الخلفاء، يزين مجالسهم بالكلام العذب في الأدب والمناظرة في مسائل الاعتزال. اتصل أول أمره بمارون الرشيد، ورمي بالزندقة لحرية رأيه، فحبسه الرشيد ثم عفا عنه.

المكذِّبين (بكسر الـذال)، فقال: قد قيل لي إنك زنديقٌ ولم أصدِّق، أتشتُم الأنبياء؟ ثم هجره وتركه فلم يتفقده، فلما رضي عنه الرشيدُ وردَّه إلى مجلسه، سأله يوماً: ما أشدُّ الأشياء؟ فقال: عالمٌ يجري عليه حُكْمُ جاهل. فظنَّ الرشيدُ أنه تعريضٌ به، حتى عرفه خبر الخادم^١.

معاداة الجاهل العالم

قال رجلٌ لعبيدِ الله بن عبدِ الله بن طاهر^٢: الناسُ أعداءُ ما جهلوا، فقال: هذا في كتابِ الله (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ).

معاداة العلماء بعضهم بعضاً

قيل: هلاكُ العلماءِ بحسدِهِم^٣.

وقيل: الحَسَدُ وَالْمَلَقُ؛ مذمومانِ في كلِّ شيءٍ إلا في العلم^٤.

^١ انظر: تصحيفات المحدثين للعسكري، وريع الأبرار ونصوص الأخيار للزنجشيري.

^٢ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين: أمير، من الأدباء الشعراء، وُلِدَ في بغداد سنة ٢٢٣هـ. ولي شرطة بغداد، بعد أخيه محمد بن عبد الله، وكان سيِّداً، وإليه انتهت رئاسة آل طاهر، وهو آخر من مات منهم رئيساً. وكان مهيباً، رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي.

^٣ ولا غرو؛ فإن الحسد بينهم يؤدي إلى أن يكيد بعضهم لبعض.

^٤ الملق: المداهنة و التودد، والتدلل عكس ما يُضمَرُ القَلْب.

^٥ انظر: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري، أبي هلال.

قال ابنُ عباسٍ: لا تقبلوا قولَ العلماءِ بعضهم على بعضٍ؛ فإنهم يتغايرون^١
تغايِرَ التَّيسِ في الزَّريَةِ^٢.

وقال الأشجّ^٣: إِبْنِي لَأَعَارُ عَلَى الْحَدِيثِ كَمَا يُعَارُ عَلَى الْجَارِيَةِ الْحُسْنَاءِ^٤.
قال أبو تَمَّامٍ:

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ مِنْ دُونِ جَارِي إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِحْ غَيْرًا عَلَى الْعِلْمِ^٥

^١ من الغيرة والحسد.

^٢ لأن الحسد غالب على العلماء. انظر: التنوير شرح الجامع الصغي للصنعاني، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة للسفاريني.

^٣ أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد بن حصين، حافظ ومن رواة الحديث ومفسر، هو من المشايخ التسعة الذين روى لهم أصحاب الكتب الستة، توفي عام ٢٥٧ هـ وعمره نيف وتسعون.

^٤ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، والعوالي لأبي الشيخ الأصبهاني، والشريعة للأجري.

^٥ وبعده: طَيْبُ فُؤَادِي مُدُّ ثَلَاثِينَ حِجَّةً ... وَمُدُّهُبٌ هَمِّي وَالْمُفْرَجُ لِلْعَمِّ

وممّا جاء في التعلّم والتعليم وما يتعلّق بهما

وجوب التعلّم

قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ^١.

وقال سُقْرَاتُ: مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَتَعَبِهِ صَبَرَ عَلَى شِقَاءِ الْجَهْلِ.

وقال بعضهم: تَعَلَّمُوا الْأَدَبَ وَإِنْ لَمْ يَنْلُكُمُ حِطٌّ مِنَ الدُّنْيَا، فَلَأَنْ يُذِمَّ لَكُمْ^٢ الزَّمَانُ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُذِمَّ بِكُمْ^٣.

تفضيل بثّ العلم ووجوبه

قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أَجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^٤.

وقال الحَسَنُ (رَحِمَهُ اللهُ): زَكَاةُ الْعِلْمِ تَعْلِيمُهُ^٥.

^١ أخرجه ابن ماجه، وصحح الألباني سنده في صحيح الجامع.

^٢ في النسخة المحققة: فيكم، وهو خطأ واضح، والتصويب من المصادر التالية.

^٣ انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، ونشر الدر في المحاضرات للآبي، وريع الأبرار ونصوص الأخيار للزنجشري.

^٤ أخرجه ابن حبان، والحاكم، والبيهقي، بإسناد حسن.

^٥ في النسخة المحققة: تعلّمه، وهو خطأ واضح.

أتى رجلٌ الزهريَّ^١ ليحدِّثه فأبى، فقال: إِنَّ اللهَ تعالى لم يأخذِ الميثاقَ على الجَهالِ أن يتعلموا حتى أخذه على العلماءِ أن يعلموا^٢، قال اللهُ تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ).

وقيل: مَا تَصَدَّقَ رَجُلٌ بِصَدَقَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَنْشُرُهُ^٣.

وأتى طالبُ علمٍ بابَ عالمٍ فقال: أعطني مما أعطاك اللهُ، فأمر له بدراهمٍ، فقال: أنا طالبٌ هُدَى لا طالبٌ نَدَى، فعلمٌ أَوْضَحَ لِبَسَاءٍ خَيْرٌ مِنْ مَالٍ أَعْنَى نَفْسًا^٤.

^١ ابن شهاب الزهري المحدث الثقة.

^٢ انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزخشي.

^٣ من حديث للحسن البصري، يرفعه، بإسناد ضعفه العلماء ومعناه صحيح.

^٤ قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: وَوَقَفَ بَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ بِبَابِ عَالِمٍ ثُمَّ نَادَى: تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا بِمَا لَا يُتَعَبُ ضِرْسًا، وَلَا يُسْتَقَمُ نَفْسًا. فَأَخْرَجَ لَهُ طَعَامًا وَنَقَمَةً. فَقَالَ: فَأَقْبِي إِلَى كَلَامِكُمْ، أَشَدُّ مِنْ فَأَقْبِي إِلَى طَعَامِكُمْ، إِنِّي طَالِبٌ هُدَى لَا سَائِلٌ نَدَى. فَأَذِنَ لَهُ الْعَالِمُ، وَأَفَادَهُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلَ عَنْهُ فَخَرَجَ جَدَلًا فَرِحًا، وَهُوَ يَقُولُ: عِلْمٌ أَوْضَحَ لِبَسَاءٍ، خَيْرٌ مِنْ مَالٍ أَعْنَى نَفْسًا.

فضل المعلم والمتعلم معاً

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا خيرَ في من كان من أمتي ليس بعالمٍ ولا متعلمٍ^١.

وقيل: الناسُ عالمٌ ومتعلمٌ وما سواهما همج^٢.

وجوب تعظيم المعلم

قيل: للإسكندر: إنك تعظم معلّمك أكثرَ من تعظيمك لأبيك! فقال لأنّ أبي سببُ حياتي الفانية ومؤدّي سببُ الحياة الباقية.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يقامُ لأحدٍ إلا لذي علمٍ أو لذي سنٍّ أو لذي سلطانٍ^٣.

^١ ليس بحديث، بل هو من كلام الأدباء، وقد روى ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله شعراً
لصالح بن جناح في العلم: وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ رَاحَ لَيْسَ بِعَالِمٍ ... بَصِيرٍ بِمَا يَأْتِي وَلَا مُتَعَلِّمٍ

^٢ قال ابن حجر في إتحاف المهرة: عن خالد بن معدان، قال: الناس عالم ومتعلم، وما بين ذلك همج لا خير فيه.

^٣ ضعف الألباني سنده، ثم ضعف متنه لمخالفته قول الله تعالى لعموم المؤمنين عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا} انظر السلسلة الضعيفة ٦٨٠٩.

وقيل: لا يستخفُّ أحدٌ بمن تعلَّم منه علماً إلا وضيعَ حاملٌ أو رفيعُ جاهلٌ^١.
وعن بعض العلماء: لا يتحوَّكَنَّ ثلاثةٌ لأحدٍ: القاضي في يومِ مجلسه، والكاتبُ
في وقتِ أمره ونهيه، والمؤدِّبُ في مكتبه.

وجوب تعظيم المتعلِّم

قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقُرُوا مَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ، وَوَقُرُوا مَنْ تَعْلَمُونَهُ^٢.
قال أبو العالية^٣: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ): أي ليكن الفقيرُ والغنيُّ عندك
سواءً في تعلُّم العلم^٤.

^١ قَالَ أَبُو مَنْصُورِ الثَّعَالِيِّ فِي كِتَابِ الْفَرَايِدِ وَالْقَلَائِدِ: لَا يَسْتَخْفُ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ إِلَّا رَفِيعُ جَاهِلٍ أَوْ
وَضِيعُ حَامِلٍ

^٢ قَالَ الْأَبْيَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ: ٤٧٥١ - (وَقُرُوا مَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَوَقُرُوا مَنْ تَعْلَمُونَ الْعِلْمَ):
مَوْضُوعٌ، أَخْرَجَهُ الدِّيْلَمِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَفَعَهُ. قُلْتُ:
وَهَذَا مَوْضُوعٌ؛ أَفْتَهُ الْأَنْصَارِيُّ هَذَا؛ قَالَ أَحْمَدُ: "كَانَ أَعْمَى يَضَعُ الْحَدِيثَ". وَقَالَ الْحَاكِمُ: "رَوَى
عَنْ نَافِعٍ وَابْنِ الْمُنَكَّدِرِ الْمَوْضُوعَاتَ". اهـ

^٣ أَبُو الْعَالِيَةِ رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ الرِّيَّاحِيُّ البَصْرِيُّ: هُوَ تَابِعِي وَرَاوِي حَدِيثٍ مِنَ الثَّقَاتِ، رَوَى لَهُ
الْجَمَاعَةُ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ بِسَنَتَيْنِ.

^٤ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ قَالَ:
لِيَكُنَ الْفَقِيرُ وَالْغَنِيُّ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاءً.

اختيار التلامذة وحثّ كلّ إلى تعلّم ما يليق به

سأل أفلاطونَ بعضُ تلامذته عن مسألةٍ لم تكن تليقُ بحاله، فقال: لست من أهلها فلكلّ تربيّةٍ غرسٌ، ولكلّ بناءٍ أُسٌّ^١.

وقيل: تصفّح طلاب علمك كما تتصفّح طلاب^٢ حرمك^٣.

وكان يونس^٤ يختلفُ إلى الخليلِ يتعلّم منه العروضَ فصعب عليه تعلّمه، فقال له الخليلُ يوماً: من أيّ بحرٍ قولُ الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^٥

ففطن يونسُ لما عناه الخليلُ فترك العروض^٦.

^١ قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: وحكي أنّ تلميذاً سأل عالماً عن بعض العلوم فلم يفده، فقيل له: لم منعه؟ فقال: لكلّ تربيّةٍ غرسٌ، ولكلّ بناءٍ أُسٌّ.

^٢ في النسخة المحققة: خطاب، والتغيير من المصادر الآتية.

^٣ انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لأحمد شاكر.

^٤ يونس بن حبيب النحوي.

^٥ والبيت لعمرو بن معدي كَرِب من قصيدته التي مطلعها:

أمن رجحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوعٌ؟

^٦ والحكاية منسوبة أيضاً إلى الأصمعي، كما عند أبي البركات الأنباري في كتاب نزهة الألباء في طبقات الأدباء قال: وكان الأصمعي صدوقاً في الحديث، أخذ عن عبد الله بن عون وشعبة بن

وقيل: اخترَ كلَّ إنسانٍ للفنِّ الذي يستطيعُه، فبقدرِ شهوتِه يكون نفاذُه^١ فيه.

منع العلم عن غير أهله

قال المسيح عليه السلام: لا تَصْعُوا الحِكْمَةَ في غيرِ أهلِها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم. وكن كالطبيبِ الحاذقِ يضع دواءه حيث يعلم أنه يُنتفع به^٢.

وفي بعض الكتب: يا بني إسرائيل لا تَطْرَحُوا الدُّرَّ بين أيدي الخنازير فتطؤه وهي لا تعرفه.

وقال الإمام الشافعي (رضي الله عنه)^٣:

الحجاج وحماد بن سلمة والخليل بن أحمد؛ ويحكى أنه أراد أن يقرأ عليه العروض وشرع في تعلمه فتعذر ذلك عليه، فبئس الخليل منه، فسأله عن معصوب الوافر، فقال له: يا أبا سعيد، كيف تقطع قول الشاعر: إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع، فعلم الأصمعي أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العروض، فلم يعاوده فيه.

^١ نفاذه: فطنته، ذكاؤه.

^٢ روى ابن عساكر عن ابن عباس أن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال: "يا معشر الحواريين، لا تحدّثوا بالحكمة غيرَ أهلها فتظلموها". انظر: كشف الخفا للعلوي.

^٣ انظر: "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (١/ ٢٩٤). وفيها: عن أبي عمرو العثماني قال: لما دخل الشافعي إلى مصر كلمه أصحاب مالك، فأنشأ يقول:

أَنْشُرُ دُرًّا بَيْنَ رَاعِيَةِ الْعَنَمِ ... وَأَنْشُرُ مَنْظُومًا لِرَاعِيَةِ النَّعَمِ

وَمَنْ مَنَحَ الْجَهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ
وقيل: ما كلُّ تربيةٍ تحتمل القلائد، ولا كلُّ ضريبةٍ تستحقُّ الفوائد^١.

النهي عن تعليم الأوغاد وذمهم إذا تعلّموا

قالت الحكماء: لا تعلّمَنَّ الدينيَّ علماً فيستفيده منك، ويصيرَ به عدوّاً لك؛
فلأنَّ يَتَضَعُ أَلْفٌ مِنْ عِلِّيِّينَ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَرْتَفَعَ دِينِيٌّ وَاحِدٌ.

وقيل لبعضهم: أيُّ علمٍ أضُرُّ؟ فقال: ما يَفَادُ الأوغادُ^٢.

وقيل لأبي سنان^٣: تموتُ وتُدخِلُ علمَكَ معَكَ القبرَ، فقال: ذاك أحبُّ إليَّ
من أن أبعثه في إناءٍ سوءٍ^٤.

لَيْنَ كُنْتُ قَدْ ضَيَّعْتُ فِي شَرِّ بَلَدَةٍ ... فَلَسْتُ مُضِيْعًا بَيْنَهُمْ غُرَّرَ الْكَلِمَ

فَإِنْ فَرَّجَ اللهُ الْكَرِيمُ بِلُطْفِهِ ... وَأَدْرَكَتْ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَالْحِكَمِ

بَشَّتْ مُفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ ... وَإِلَّا فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَسَمٌ

وَمَنْ مَنَحَ الْجَهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

^١ التربية: موضع القلادة من الصدر، والضريبة: النفس والطبيعة والسجية. انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وفيه: قال أعرابي: ما كلُّ ربةٍ تحسن فيها القلائد، ولا كلُّ نفسٍ تُحتمل عليها الفوائد.

^٢ ما يستفيدة الأوغاد، جمع وغد، وهو الديني.

^٣ لم أعر على ترجمة له.

^٤ انظر: الكشكول للبهاء العاملي.

ورأى حكيمٌ رجلاً يعلمُ دنيئاً علماً فقال له: أتسقي سهماً تُرمى به يوماً!
وقال دِعْبِلُ فِي أَبِي تَمَّامٍ^١:

إِنْ عَابَنِي لَمْ يَعِْبْ إِلَّا مُؤَدِّبَهُ وَنَفْسَهُ عَابَ لَمَّا عَابَ آدَابَهُ
وَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلَّبُهُ كَيْمًا يَصِيدَ لَهُ فَاصْطَادَ كَلَّابَهُ

وقال آخرُ^٢:

أَعْلَمُهُ الرِّمَّيَّةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمَّ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي^٣

^١ جاء في ديوان دعبل أنه قال ذلك في الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد الأشعث الخزاعي بعد أن بلغه أنه يعيبه وينال منه، وكان دعبل قد خرَّجه وأدبته. والفضل بن العباس: من الكوفة ولي للرشيد بلخ وطخارستان وغزا كابل وولاه المأمون جرجان والطوس وعراق العجم. وكانت لدعبل بأبيه (صاحب الإيغار) صلة طيبة فوكل إليه تأديب ابنه الفضل. وقد ساءت صلة دعبل بالفضل حيناً فذكره دعبل بفضله عليه وتهدده فقال:

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابته يستفرغُ السمَّ من صمَّاءِ قرضابته
ما إن يزال وفيه العيبِ يجمعهُ جهلاً لأعراض أهل المجد عيَّابته
إن عابني لم يعب إلا مؤدبه ونفسه عاب لما عاب آدابته
فكان كالكلبِ ضرَّاهُ مكلَّبه لصيده فعدا فاصطاد كَلَّابته

^٢ قيل هو أوس بن معن المرزبي، شاعر مخضرم.

^٣ وقبله: فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَتَيْتُ طِفْلاً أَلْقَمُهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ

دنيء استفاد علما فازداد به شرا

قال البديهي^١، وقد أجاد:

إِذَا مَا اقْتَنَى الْعِلْمَ ذُو شَرَّةٍ تَضَاعَفَ مَا دُمَّ مِنْ مَخْبَرِهِ
وَصَادَفَ مِنْ عِلْمِهِ قُوَّةٌ يَصُولُ بِهَا الشَّرُّ فِي جَوْهَرِهِ
وَصَارَ عَدُوًّا لِإِخْوَانِهِ وَسَيْفًا حُسَامًا عَلَى مَعْشَرِهِ^٢

فضل تعليم الأولاد

يروى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا^٣ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ^٤.

وكانت اليونانية تورث الأبناء الأدب والبنات النسب.

وقيل: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا قَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ كَبِيرًا^٥.

وبعده: أَعْلَمُهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي

^١ عليّ بن محمّد، أبو الحسن البديهي الشاعر.

^٢ وَهَذَا يُضْرَبُ فِيمَنْ يَسْتَفِيدُ عِلْمًا فَيَزِدَادُ بِهِ تَسَلُّطًا وَشَرًّا. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيّدمر.

^٣ في النسخة المحققة: ما منح والد والداً، بزيادة ألف في والداً، والصواب ولداً.

^٤ أخرجه البخاري في "التاريخ" (٤٢٢/١/١) والترمذي (٣٥٤/١) والحاكم.

^٥ انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر، والطيوريات لأبي طاهر السلفي.

وقيل: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ أَرْغَمَ حَاسِدَهُ^١.

حُكِيَّ أَنَّ الْمَنْصُورَ بَعَثَ إِلَى مَنْ فِي الْحَبْسِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ يَقُولُ لَهُمْ: مَا أَشَدَّ مَا مَرَّ بِكُمْ فِي هَذَا الْحَبْسِ؟ فَقَالُوا: مَا فَقَدْنَا مِنْ تَأْدِيبِ أَوْلَادِنَا.

وقيل: لَا يُحِبُّ الْأَبُ ابْنَهُ حَتَّى يُنْعِضَهُ عَلَى تَرْكِ الْأَدَبِ^٢.

فضل التعلّم في الصّغر

قيل: بَادِرُوا بِتَأْدِيبِ الْأَطْفَالِ قَبْلَ تَرَكُمُ الْأَشْغَالِ^٣.

وَسَمِعَ الْأَحْنَفُ رَجُلًا يَقُولُ: التَّعْلُمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ فَقَالَ: الْكَبِيرُ أَوْفَرُ عَقْلًا مِنْهُ لَكِنَّهُ أَشْغَلُ قَلْبًا^٤.

وقيل: مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي الصَّغَرِ هَانَ فِي حَالِ الْكِبَرِ.

^١ انظر: الذخائر والعقبريات للبرقوقي، والكامل في اللغة والأدب للمبرد، والطيوريات لأبي طاهر السلفي.

^٢ هكذا في الأصل، ولعل المقصود أن ينكر عليه، ومنه قوله تعالى (فَسَيُنْعِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ).

^٣ انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي.

^٤ في النسخة المحققة: الحسن، والتصويب من المصادر الآتية.

^٥ انظر: البيان والتبيين للجاحظ، وشرح مقامات الحريري للشريشي، وأدب الدنيا والدين للماوردي، ونثر الدر في المحاضرات للآبي.

وقال الشاعر^١:

هل الحفظ إلا للصبيّ، وذو النهى يمارس أشغالاً تُشردُّ بالذِّكر^٢

فضل التعلّم في الكبر

قيل لأنوشروان^٣: أيجسُن بالشيخ أن يتعلّم؟ قال: إن كانت الجهالة تقبُح منه فالتعلّم يجسُن به، فقيل: وإلى متى يجسُن منه؟ فقال: ما حسنت به الحياة^٤.
وقيل: لحكيم: ما حدُّ التعلّم؟ فقال: حدُّ الحياة، أي يجب له أن يتعلّم مادام حيّاً.

وقال شيخُ للمأمون: أقبیح بي أن أستفهم؟ فقال: بل قبیح بك أن تستبهم.

^١ نسبه الجاحظ في الرسائل لجعفر بن وهب.

^٢ وبعده: فإن كان قلب العُمَر للحفظ فارغاً... تناول أقصاه وإن كان لا يدري

يهُدُّ أموراً ليس يعرف قدرها... وهل يعرف الأقدار غير ذوي القدر

^٣ أنوشروان بن خالد: رجل دولة فارسي ومؤرخ، شغل منصب وزير الإمبراطورية السلجوقية والخلافة العباسية.

^٤ انظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

الأحوال التي تحصل بها العلوم

قيل: لا يصيرُ الإنسانُ عالماً إلا بخمسٍ: غريزةٍ محتملةٍ للعلم، وعنايةٍ تامةٍ، وكفايةٍ قائمةٍ، واستنباطٍ لطيفٍ، ومعلِّمٍ فصيحٍ^١.

وقيل: لا تستطيعُ أن تعيَ العلومَ السَّنيَّةَ، حتى تمحوَ من ذهنِكَ الأمورَ الدَّنيَّةَ.

الأوقات المرتضاة للدرس

قيل: انظروا في العلمِ بالليلِ؛ فإنَّ القلبَ بالنَّهارِ طائرٌ وبالليلِ ساكِرٌ، أي ساكنٌ^٢.

وقيل لبعضهم: لم اخترتَ الغدوةَ للدرسِ؟ فقال: لأنَّ العقلَ أجْمُ لقربِ عهده بالصمتِ، وبُعدِ جوارحه من المعاصي.

من سهَّل عليه التعلُّم

قيل: إذا كانتِ الطَّبيعةُ نقيَّةً، اكتفتُ بالإذكارِ، وعَنَيْتُ عن التَّكرارِ^٣.

وقيل: فلانٌ يكتفي باللحظِ ويستغني عن اللَّفظِ.

^١ انظر: الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة لابن شمس الخليفة.

^٢ انظر: الجامع لأحلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.

^٣ في النسخة المحققة: الأذكار، بالهمزة الفوقية، ولعل ما أثبتناه الصواب؛ فإن المعنى: الطبيعة السليمة تكتفي بالتذكير وتستغني عن إعادة هذا التذكير، ويوضح ذلك القول اللاحق: يكتفي باللحظ ويستغني عن اللَّفظ.

مَنْ عَسُرَ عَلَيْهِ التَّعَلُّمُ

قال الله تعالى: (لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا).

وقال بعض الحكماء: صَقْلُكَ سَيْفًا لَيْسَ لَهُ جَوْهَرٌ مِنْ سِنْخِهِ خَطَأٌ، وَحَمْلُكَ الصَّعْبَ الْمَسِينَّ عَلَى الرِّيَاضَةِ عَنَاءٌ، وَبُثُّكَ الْحَبِّ فِي أَرْضٍ سَبَخَةٍ تَرْجُو نَبَاتَهَا جَهْلٌ^١.

وقال أبو تمام:

والسيفُ ما لم يُلَفَ منه صَيْقَلٌ مِنْ سِنْخِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالٍ

وقال الخليل (رحمه الله) لبليد: ما أجدُ لُقُفْلَ بِلَادَتِكَ مِفْتَاحًا.

تَعَسَّرَ تَعَلُّمُ الْكِبَارِ

نظر رجلٌ إلى فيلسوفٍ يُؤدِّبُ شَيْخًا فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَعْغِسلُ حَبَشِيًّا^٢ لَعَلَّهُ يَبْيِضُ^٣.

قال الشاعر:

^١ انظر: زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني، والذخائر والعبقريات للبرقوقي.

^٢ في النسخة المحققة: مسبحاً، وهو خطأ، والتصويب من المصدر الآتي. وسواد الحبشي مهما غسل فلن يصير أبيض، وكذلك هذا الشيخ مهما علم فلن يتعلم.

^٣ انظر: درر الحكم لأبي منصور الثعالبي.

أَتْرُوْضُ عِرْسَكَ^١ بَعْدَمَا هَرَمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
وقال آخرُ:

أَدْبُ الْكَبِيْرِ مِنْ التَّعَبِ كَبُرَ الْكَبِيْرُ عَنِ الْأَدْبِ^٢
وقال آخرُ: إِنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تُجْدِي لَدَى الشَّيْبِ^٣.

وَأَسْلَمَ بَعْضُ الْوَلَاةِ هَرِمًا إِلَى كِتَابٍ لِيَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، وَكَانَ إِذَا تَعَلَّمَ شَيْئًا نَسِيَ مَا قَبْلَهُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَنْ ابْعَثْ إِلَيَّ مَنْ يَتَسَلَّمُ مِنِّي مَا أَحْفَظُهُ، أَوَّلًا فَأَوَّلًا.

^١ العرس: الزوجة.

^٢ هما بيتان مرويان في كتب الأدب على هذا النحو:

لا تسه عن أدب الصغير ... وإن شكا ألم التعب

ودع الكبير لشأنه ... كبر الكبير عن الأدب

ومنهم من نسبه إلى محمود الوراق. انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه لنجم الدين الغزي، والزهد والرفائق للخطيب البغدادي، وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي، وتذكره الآباء وتسليه الأبناء لابن العديم، وتنبية النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي.

^٣ يبدو أنه شطر بيت لم أعثر على بقيته.

من يعلم من هو أعلم منه

قيل: كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ^١.

وَكَمُعَلِّمَةِ أُمَّهَا البَضَاعِ^٢.

وقيل: تُعَلِّمَنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ^٣.

وقيل: فَلَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ يُوْسُفَ عَلَيَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَام.

وقال المتنبي^٤:

^١ قال أبو عبيد في الأمثال: قال الأصمعي: من أمثالهم في هذا قولهم: كمستبضع التمر إلى هجر. وهذا من الأمثال المبتذلة، وهو من قديمها، وذلك أنَّ هجر معدن التمر، فالمستبضع التمر إليها مخطيء.

^٢ وعند أبي عبيد أيضاً: قال الأصمعي: ومثله قولهم: كمعلمة أمها البضاع. يريد الغشيان (الجماع). وهذا يُضرب في الرجل يجيء بالعلم إلى من هو أعلم منه.

^٣ قال الميداني في مجمع الأمثال: تعلمني بمعنى تُعَلِّمَنِي: أي تُخْبِرُنِي، ولذلك أدخل الباء كقوله تعالى {قُلْ أَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} وَحَرَشُ الضَّبِّ: صَيْدُهُ. يضرب لمن يخبرك بشيء أنت به منه أعلم.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: ضُروبُ النَّاسِ عُشَّاقُ ضُروبَا فَأَعْدَرْتُهُمْ أَشْفُهُمْ حَبِيباً. وهي قصيدة مناسبتها أن الأمير علي بن محمد بن مكرم التيمي أرسل إلى المتنبي بعض الهدايا وكأنه يطلب منه أن يمدحه، وأرسل هذه الهدايا مع وكيل له يزعم أنه شاعر، وحمل هذا الوكيل مع الألفاظ بعض شعره وكان غثاً تافهاً، فضمن المتنبي مدحاً المطلوب أبياتاً متهكماً ساخرة لاذعة، تحدث فيها عن هذا الشويعر الذي تقحَّم مهابة أمير الشعراء.

فَأَجْرَكَ الْإِلَهَ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَتْ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَيْبًا^١

ويقال: أَنَا مِنْهُ كَحَاقِنِ الْإِهَالَةِ^٢، إِذَا كُنْتَ عَارِفًا بِهِ.

الْحَثُّ عَلَى الْحِفْظِ دُونَ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْكُتُبِ

قِيلَ: إِذَا فَقَدَ الْعَالِمُ الذَّهْنَ قَلَّ عَلَى الْأَضْدَادِ احْتِجَاجُهُ، وَكَثُرَ إِلَى الْكُتُبِ احْتِيَاجُهُ^٣.

وقيل: لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي، وَلَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي^٤.

وقال مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ^٥:

^١ قال البرقوقى: معناه أن هذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوي المسيح الذي يجيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص. اهـ. وذلك أن البيت الذي قبل هذا البيت: تَيَمَّمَنِي وَكَيْلِكَ مَادِحًا لِي وَأَنْشَدَنِي مَنِ الشَّعْرِ الْغَرِيْبَا

^٢ قال الميداني في مجمع الأمثال: أَنَا مِنْهُ كَحَاقِنِ الْإِهَالَةِ. يقال للشحم والودك المذاب: الإهالة، وليس يحقنها إلا الحاذق بها، يحقنها حتى يعلم أنها قد بَرَدَتْ لثلا تحرق السقاء. يُضْرَبُ لِلْحَازِقِ بِالْأَمْرِ.

^٣ انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط، وفيض القدير لعبد الرؤوف المناوي.

^٤ وينسب ذلك إلى عيسى ابن مرثم عليهما السلام، كما ورد في: المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، والبداية والنهاية لابن كثير، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور.

^٥ في النسخة المحققة: بشير، والصواب: يسير، محمد بن يسير الرياشي شاعر من العصر العباسي. والتصويب من المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، قال: قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى

لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا يَعِي الْقِمَطُرُ مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ^١
وله أيضاً^٢:

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِلْكِتَابِ لَا يَنْفَعُ
وقال آخر^٣:

عَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وَجَدُّ عَلَيْهِمْ فَمَحَبَّرْتِي أُذُنِي وَدَفَّتْهَا قَلْبِي

الصُّوْبِيُّ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَسِيرٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى: «لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا يَعِي الْقِمَطُرُ لَا خَيْرَ فِيمَا لَا يَعِيهِ الصَّدْرُ». هكذا.

^١ والقِمَطُرُ: الصندوق الذي يُصان فيه الكتب.

^٢ رواه عنه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع قال: قَالَ ابْنُ يَسِيرٍ الْأَزْدِيُّ:

أَشْهَدُ بِالْجُهْلِ فِي مَجْلِسٍ ... وَعَلِمِي فِي الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعٌ

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكِتَابِ لَا يَنْفَعُ

^٣ في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني: الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي أبو علي البصير الشاعر، قال عنه المرزباني: كان أديباً ظريفاً بليغاً يتشيع وفيه بعض الغلو وكان أعمى فلقب: البصير وهو القائل:

إِذَا مَا عَدَّتْ طَلَّابَةُ الْعِلْمِ مَا لَهَا ... مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا مَا يُدَوُّنُ فِي الْكِتَابِ

عَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وَجَدُّ عَلَيْهِمْ ... فَمَحَبَّرْتِي أُذُنِي وَدَفَّتْهَا قَلْبِي

ضبط العلم بالكتابة

قيل: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ^١.

وقال سُقْرَاطُ^٢: مَا بَنَتَهُ الْأَقْلَامُ لَمْ تَطْمَعْ فِي دُرُوسِهِ الْأَيَّامُ.

وقيل: الْعِلْمُ يَبْدُ فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ لَهُ حِمَاءً وَالْأَقْلَامَ عَلَيْهَا رِعَاءً^٣.

الْعِلْمُ عَقُودٌ فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ لَهَا نِظَاماً^٤.

وقيل: اِكْتَبُوا مَا تَسْمَعُونَهُ مِنَ الْحِكْمِ وَلَوْ فِي بِيَاضِ النَّوَاطِرِ بِأَطْرَافِ الْخَنَاجِرِ.

^١ بل هو حديث شريف عن عبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ". قال الألباني في صحيح الجامع: صحيح.

^٢ وقد نسبوه أيضاً إلى ثمامة بن أشرس. انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، والتمثيل والمحاضرة لأب منصور الثعالبي، زاللطائف والظرائف له أيضاً، والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني.

^٣ قال الخطيب البغدادي في تقييد العلم: قَالَ الرَّبِيعُ: خَرَجَ عَلَيْنَا الشَّافِعِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ فَقَالَ لَنَا: «اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ يَبْدُ كَمَا تَبْدُ الْإِبِلُ فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ لَهُ حِمَاءً وَالْأَقْلَامَ عَلَيْهِ رِعَاءً»

^٤ وفي هذا المعنى ما رواه ابن النديم في الفهرست: وقال آخر: هذه العلوم فوارد فاجعلوا الكتب لها نظاماً وهذه الأبيات شوارد فاجعلوا الكتب لها زماماً. اهـ. وفوارد وشوارد من أوصاف الإبل المنفردة في المرعى والمشرب.

وصف المِثْبِ لكلِّ ما يسمع

قال أعرابيٌّ في رجلٍ يكتبُ كلَّ ما يسمع: أنت حتفُ الكلمةِ الشُّرود^١.

وقال آخرُ^٢:

ما أنتَ إلا الحِفْظَةُ تكتبُ لفظَ اللفظةِ

قال الأصمعيُّ^٣: قال لي أعرابيٌّ رأني أكتبُ ما أسمعُ وأستحسنُ: لا تدعُ شيئاً إلا نمصته، أي نتفتته.

السؤال عما يجهل

يُروى عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: العِلْمُ خِزَانَةٌ، مِفْتَاحُهَا السُّؤَالُ^٤.

^١ جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر، وأخبار النحويين البصريين للسيراي: قال الأصمعي: رأني أعرابي وأنا أكتب كل ما يقول فقال: ما تدع شيئاً إلا نمصته. أي نتفتته. وقال له بعض الأعراب وقد رآه يكتب كل شيء: ما أنت إلا الحفظة تكتب لفظ اللفظة. وقال له آخر: أنت حتف الكلمة الشُرود.

^٢ السابق.

^٣ السابق.

^٤ قال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة: ٢٧٨ - "العلم خزانة، ومفتاحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمجيب لهم" موضوع. أخرجه أبو نعيم (٣ / ١٩٢) وأبو عثمان النجيري في "الفوائد" (٢٤ / ١) من طريق داود بن سليمان القزاز... قلت: وهو إسناد موضوع من داود بن سليمان هذا الجرجاني الغازي. قال الذهبي: كذَّبه

وقال أنس: السؤال يعمر العلم.

وقيل: لا تسأل رياء ولا تتركه حياء^١.

وقيل: سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الأكياس^٢.

وقيل لدغفل^٣: يم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول^٤.

وقال الشاعر^٥:

يحيى بن معين، ولم يعرفه أبو حاتم، وبكل حال فهو شيخ كذاب له نسخة موضوعة عن علي بن موسى الرضا. اهـ

^١ قال أبو نعيم في الحلية: وسعت يحيى بن معاذ يقول: لا تطلب العلم رياء ولا تتركه حياء.

^٢ قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: عن منصور قال: قال لي إبراهيم: «يا منصور، سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الأكياس».

^٣ دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني: نسابة العرب. يضرب به المثل في معرفة الأنساب. قال الجاحظ: «رؤساء النسابين: دغفل بن حنظلة، أحد بني عمرو بن شيبان، لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا».

^٤ قال الدينوري في المجالسة وجواهر العلم: أخبرنا الرّياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: قيل لدغفل النّسابة: يم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول، وكنت إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته.

^٥ هو بشار بن برد، في ديوانه. وبعده: فكن سائلا عما عناك فإنما دُعيت أبا عقل لتبعث بالعقل

شَفَاءُ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِمَامًا تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
الْحَثُّ عَلَى الْأَخْذِ مِنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ أَيْنَمَا وَجَدَهَا قَيَّدَهَا.^١
وقيل: خُذِ الْحِكْمَةَ مِمَّنْ تَسْمَعُهَا مِنْهُ، فَرُبَّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ وَحِكْمَةٍ مِنْ غَيْرِ
حَكِيمٍ.^٢

وقيل: لَا يَمْنَعَنَّكَ ضَعْفُ الْقَائِلِ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، فَرُبَّ فِيمِ كَرِيهِ مَجَّ عِلْمًا
ذَكِيًّا، وَتَبَّرَ صَافٍ فِي صَخْرٍ جَاسٍ.^٣

وَسَمِعَ الْكِنْدِيُّ كَلِمَةً مِنْ مَخْنَثٍ فَكَتَبَهَا، فَلَامُوهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: رُبَّ لِسَانٍ
خَنَثٍ نَتَجَ لَفْظًا فَحَلًّا، وَالْجَوْهَرَةُ النَّفِيسَةُ لَا يَشِينُهَا سَخَافَةٌ غَائِصُهَا وَلَا دِنَاءَةٌ
بَائِعِهَا.^٤

^١ رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة . رضي الله عنه . ولفظه: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها. قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاضِي الْمَخْرُومِيُّ يُضَعِّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ. وحكم الألباني على الحديث بأنه ضعيف جداً.

^٢ في النسخة المحققة: حكم، بإسقاط الياء، وهو خطأ واضح. والتصويب من: كشف الخفاء للعجلوني، ومساوئ الأخلاق للخرائطي، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي.

^٣ الصخر الجاسي: الصلب الغليظ، اليابس.

^٤ انظر: فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي.

وقال بزرجمهر: أَخَذْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَ مَا فِيهِ حَتَّى مِنْ الْكَلْبِ ذَبَّهُ عَنِ حَرِيمِهِ وَمِنَ الْخَنْزِيرِ بَكُورَهُ فِي مَقَاصِدِهِ^١.

وقال ابن السكيت^٢ لرجلٍ: أَتْرَاكَ أَحَطْتَ بِمَا لَمْ أُحِطْ بِهِ؟ فقال: وما أنكرت! وقد قال الهدهد - وهو أحسن الطيور - لسليمان: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)^٣.

^١ انظر: المدهش لابن الجوزي، والتبصرة له أيضاً، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وزهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي، وتاريخ بغداد وذيوله للخطيب البغدادي.

^٢ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، مؤدب لولد المتوكل، وكان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر رواية ثقة، وهو صحيح السماع، وله كتب في علم النحو واللغة جيداً وفي معاني الشعر، وفسر من دواوين الشعر شيئاً كثيراً.

^٣ قال البيغموري في نور القبس: قال أبو العيناء: قال لي ابن السكيت: أخذ المتوكل بيدي يوماً وقال: أتراك أحطت من هذا بما لم أحط به؟ فقلت: وما أنكرت؟! فوالله لقد قال الهدهد وهو أحسن طائر لسليمان: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ). انظر: نشر الدر في المحاضرات للآبي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ونور القبس للبيغموري.

مدح من يقول لا أدري

سُئِلَ الشَّعْبِيُّ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: «لَا أَدْرِي»، فَقِيلَ لَهُ أَمَا تَسْتَحِي مِنْ قَوْلِكَ لَا أَدْرِي وَأَنْتَ فَتَقِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقَيْنِ؟ قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَسْتَحِي حِينَ قَالَتْ: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}¹.

وقيل لأبي عمرو^٢ مثله، فقال: أقبح من هذا أن أقول فأخطئ وأروي فلا أروي.

وقال شاعر^٣:

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عندهُ أطال فأملئ أم تناهى فقصرأ

¹ انظر: الفقيه والمتفقه للبغدادي، وصفة الفتوى لابن حمدان، وتعظيم الفتيا لابن الجوزي، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم.

² لعله أبو عمرو بن العلاء المازني التميمي (٧٠ - ١٥٤ هـ): أحد القراء السبعة، وشيخ العربية والقراءة، وأحد أهل زمانه، برز في الحروف، وفي النحو، كان من أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب، وقد انتهت إليه الإمامة في القراءة بالبصرة، وهو أحد التابعين.

³ هو زيادة العذري: زيادة بن زيد بن مالك بن ثعلبة الكاهن. من شعراء صدر الإسلام، ينتمي إلى بيت شعر فأخوه عبد الرحمن شاعر، وابنه المسور شاعر أيضاً. كان زيادة يميل إلى شعر المطولات، قتل على يد هذبة بن حشرم سنة ٥٤ هـ.

⁴ وهي أبيات خمسة مروية في كتب الشواهد النحوية:

إذا ما أنتهى علمي تناهيت عنده... أطال فأملئ أم تناهى فأقصرا

وقال الحسن^١ (رضي الله عنه): لو أن العالم كلّمَا قال أحسن وأصاب،
 لأوشك أن يُجنَّ من العُجبِ، وإنما العالمُ من يكثرُ صوابه^٢.
 وقال بعضُ الفقهاء: العِلْمُ ثلاثةٌ: كِتَابُ نَاطِقٍ وَسُنَّةُ قَائِمَةٍ وَلَا أُدْرِي^٣،
 فيقتضي اجتهاداً.

ويخبرني عن غائب المرء هديه ... كفى الهدى عمّا غيب المرء مخبراً
 ولأركب الأمر المدوي سادراً ... بعمياء حتى أستبين وأبصراً
 كما تفعل العشواء تركب رأسها ... وتبرز جنباً للمعادين مغوراً
 وإن جاء ما لا بُد منه فمرحّباً ... بجيئته إذ لم يجرى متأخراً

انظر: شرح أبيات سيويه للسيرافي، والتعليقة على كتاب سيويه لأبي علي الفارسي، وخزانة الأدب
 ولب لباب لسان العرب للبغدادي، والكتاب لسيويه.

^١ في النسخة المحققة: الحسين، بزيادة الياء، وهو خطأ، والصواب الحسن، البصري، والتصويب من
 الجاحظ كما في الهامش التالي.

^٢ قال الجاحظ في الحيوان: وحدثنا جرير بن حازم القطعي قال: قال الحسن: لو كان الرجل كلما
 قال أصاب، وكلما عمل أحسن، لأوشك أن يجنّ من العُجب. اهـ. وانظر الاضطراب في عبارة
 النسخة المحققة وراجعها على عبارة الجاحظ.

^٣ روي موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما. ولا يصح موقوفاً، قال الحافظ ابن حجر: والموقوف
 حسن الإسناد. انظر: ذم الكلام وأهله للهيوي، والجامع الكبير للسيوطي.

ذُمُّ من يقول ذلك

سُئِلَ رجلٌ عن شيءٍ، فقال: لا أدري، ولا أدري نصفُ العلم، فقيلَ له: لكنه النصفُ الأَحْسَنُ^١.

وقال آخَرُ مثَل ذلك فقيل له: فقله مرتينِ تحزِر العلمَ كلّه^٢.

وقال آخَرُ مثَل ذلك فقيل له: لكنْ أبوك بالنصفِ الآخِرِ تقدّم^٣.

صعوبة جانب العلم

قال الخليل^٤ (رحمة الله عليه): العِلْمُ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَهُ كُلَّهُ، ثُمَّ أَنْتَ فِي إِعْطَائِهِ إِبَاكَ بَعْضَهُ مَعَ إِعْطَائِكَ إِيَّاهُ كُلَّهُ عَلَى خَطَرٍ. وقيل: لَا يَتَأَدَّبُ الرَّجُلُ حَتَّى يَتَجَنَّبَ الْفِرَاشَ الْوُطِيَّ وَالذِّثَارَ الدِّفِيَّ.

^١ انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي.

^٢ السابق.

^٣ السابق، وفيه: سُئِلَ بعض من كَانَ أَبُوهُ مُتَقَدِّمًا فِي الْعِلْمِ عَن مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: لَا أُدْرِي، وَلَا أُدْرِي نصف العلم". فَقَالَ لَهُ بعض من حضر: وَلَكِنَّ أباكِ بِالنَّصْفِ الْآخِرِ تَقَدَّمَ.

^٤ وهذا القول منسوب أيضاً إلى الجاحظ وإبراهيم بن سيار النّظام والمرغيناني الفقيه وغيرهم. وهو بلا شك للمتقدم منهم. انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، والحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري، أبي هلال.

وقيل: لا يُدْرِكُ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ، وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ^١.

وقيل لبعض العلماء: ذَلَّتْ طَالِباً فَعَزَزْتَ مَطْلُوباً^٢، فقال: مَنْ ذَلَّ طَلْبُهُ عَزَّ أَدْبُهُ.

وقال أرسطاطاليس: طالبُ العلمِ كالغائِصِ في البحرِ، لا يصلُ إلى الجواهرِ الكريمةِ إلا بالمخاطرةِ العظيمةِ.

ترفيه النفس في طلبه

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى^٣.
وقيل: دارِ القلبِ، فإذا نَشِطَ فَأُودِعَهُ^٤، وإذا فَتَرَ فَدَعَهُ^٥.

^١ انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي.

^٢ جاء في المجالسة وجواهر العلم للدينوري: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَلَّتْ طَالِباً لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ، فَعَزَزْتُ مَطْلُوباً.

^٣ رواه الدارقطني، والحاكم، والبيهقي والبخاري. ونصه: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفِقٍ وَلَا تُبَعْضُ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى) وضعف الألباني إسناده كما في السلسلة: ٢٤٨٠.

^٤ يعني أودعه العلم في نشاطه

^٥ يعني لا تكلفه في فتوره. كما في الحديث: "ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد". قال ابن الفوطي في مجمع الآداب في معجم الألقاب عن المرغيناني الفقيه: كان فقيهاً عالماً، كتب رسالة شحنها بالفوائد، أولها: قيل: دارِ القلبِ، فإذا نَشِطَ فَأُودِعَهُ وإذا فتر فَدَعَهُ.

وقيل: رُوِّحُوا الأفهامَ كما تروِّحون الأجسامَ، فإنَّ العقلَ المكدودَ ليس لرؤيته لقاح، ولا لرأيه بجاح^١.

وقيل: نفسُكَ مطيِّتُكَ، إن رَفَهْتَهَا اضطلعتَ^٢، وإن تحاملتَ عليها انقطعتَ^٣.

الحرص على الاستكثار منه وعِزُّه إذا كثر

قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ فِي الْعِلْمِ وَمَنْهُومٌ فِي الْمَالِ^٤.

وقيل: الشَّرُّهُ فِي الْمَالِ دِنَاءَةٌ وَفِي الْعِلْمِ نِبَاهَةٌ.

وقيل: كلُّ شيءٍ يعزُّ حين ينزُر، والعلمُ يعزُّ حيث يعزُر^٥.

^١ نسبه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان إلى الصولي.

^٢ قويت واشتدت.

^٣ انظر: ربيع الأبرار وفصوص الأخبار في المحاضرات للزخشي.

^٤ قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء = المعني عن حمل الأسفار: أخرجه الطَّبْرَائِيّ من حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

^٥ قال أسامة بن منقذ في البديع في نقد الشعر: وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كل شيء يعز حين ينزر، والعلم يعز حين يغزر. وقد نسب أيضاً إلى أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي. انظر: أمالي القالي، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي.

اتساع القلب بازدياد العلم

قال أبو نؤاس^١: ما رأيتُ شيئاً إلا قليله أخفُّ من كثيره، إلا العلم فإنه كلما كان أكثر كان أخفَّ محملاً.

وقيل: كلُّ إناءٍ يُفرَّغ فيه يضيِّقُ ويمتليئُ إلا القلبُ؛ فإنه كلما أُفرِغَ فيه اتَّسعَ^٢. وقال أنوشروان: قلبُ العالمِ كبيتٍ فيه مصباحٌ لا يضيِّقُ عن تظاهرِ النورِ فيه، بل يتَّسعُ للنظرِ ويزيدُ في الضياء.

الترغيب في اختيار النكت

قيل: العلمُ أكثرُ من أن يُحوى، فخذوا من كلِّ شيءٍ أحسنَه^٣.

^١ نسبه الجاحظ في الرسائل إلى أبي بكر الأصم فقال: وذكر أبو بكر الأصم ابن المقفع فقال: ما رأيت شيئاً إلا وقليله أخفُّ من كثيره إلا العلم، فإنه كلما أكثر خفَّ محمله. ولقد رأيت عبد الله بن المقفع هذا في غزارة علمه وكثرة روايته، كما قال الله عزَّ ذكره: "كمثل الحمار يحمل أسفارا". قد أوهنه علمه، وأذهله حلمه، وأعمته حكيمته، وحيرته بصيرته.

^٢ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدبنوري، والحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه للعسكري، أبي هلال.

^٣ نسبه أبو منصور الثعالبي في التمثيل والمحاضرة لابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: حَلَّ طَبَعَكَ بِالْعَيُونِ وَالْفِقْرِ^١؛ فَالشَّجْرَةُ لَا يَشِينُهَا قَلَّةُ الْحَمْلِ إِذَا كَانَتْ ثَمْرُهَا نَافِعَةً^٢.

وقال ابنُ عباسٍ (رضي اللهُ عنهما): العِلْمُ كَثِيرٌ فابْتَعُوا^٣ أَحْسَنَهُ. أما سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)^٤؟
قال الشاعر^٥:

قَالُوا خُذِ الْعَيْنَ^٦ مِنْ كُلِّ فَقُلْتُ لَهُمْ فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ وَلَكِنْ نَاطِرٌ

^١ لعله يقصد بالعيون والفقرات: التَّفَيس من العلوم ونُكته اللطيفة المؤثِّرة في النفس.

^٢ قال أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة: قال المدائني: قال بعض السلف لابنه: اشحذْ طَبَعَكَ بِالْعَيُونِ وَالْفِقْرِ وَإِنْ قَلَّتْ، فَإِنَّ الشَّجْرَةَ لَا يَشِينُهَا قَلَّةُ الْحَمْلِ إِذَا كَانَ ثَمْرُهَا نَافِعًا، وَأَكْلُهَا نَاجِعًا.

^٣ في النسخة المحققة: فارعوا، والتصويب من المصدر الآتي.

^٤ رواه الخطيب البغدادي في تقييد العلم: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعِلْمُ كَثِيرٌ وَلَنْ تَعِيَهُ قُلُوبُكُمْ وَلَكِنْ ابْتَعُوا أَحْسَنَهُ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ... الْآيَةَ.

^٥ هو منصور بن إسماعيل الفقيه.

^٦ العين: النفيس.

^٧ وبعده: (حَرْفَانِ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٍ ... وَرَمَّا لَمْ يَجِدْ فِي الْأَلْفِ حَرْفَيْنِ) والمعنى: إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْتَارَ مِنَ الْكَلَامِ أَحْسَنَهُ فَلْيَأْخُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَيْنَهُ فَقُلْتُ بَلْ أَخَذَ مِنْهُ نَاطِرَ الْعَيْنِ وَإِنَّ حَرْفَيْنِ مِنْ أَلْفِ سَطْرِ أَوْ كِتَابٍ تَحْزِينِي وَرَمَّا لَمْ أَجِدْ فِي الْأَلْفِ هَدْيَيْنِ الْحَرْفَيْنِ الْمَطْلُوبَيْنِ لِلَاخْتِيَارِ.

تناول طرف من كل نوع

قال يحيى بن خالد^١: انتق من كل علم طرفاً، فمن جهل شيئاً عاداه، وأكره أن تكون عدواً لشيء من الآداب^٢.

وقيل: إذا أردت أن تكون عالماً فأقصد فناً واحداً، وإذا أردت أن تكون أدبياً فخذ طرفاً من كل فن^٣.

وقيل: من لا يعلم إلا فناً واحداً من العلم سمي الخصي من العلماء.

تقديم تعلم ما لا يستغنى عنه

قال المأمون: العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره، فابدؤوا بالأهم فالأهم، وبالفرص قبل النفل، إن الأهم المقدم^٤.

^١ يحيى بن خالد البرمكي. سبقت ترجمته.

^٢ جاء في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للرمحشري: قال يحيى البرمكي: يا بني انتق من كل علم شيئاً. فإن من جهل شيئاً عاداه، وإنه لأكره أن تكون عدواً لشيء من العلم.

^٣ قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن الخليل بن أحمد: إذا أردت أن تكون عالماً فأقصد لفرن من العلم وإن أردت أن تكون أدبياً فخذ من كل شيء أحسنه.

^٤ قال الجاحظ في البيان والتبيين، والعقد الفريد لابن عبدبريه: قال سهل بن هارون وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن ينظروا فيه، فقال المأمون: قد يسمي بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرت. ولو قلت: العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا تبلغ غايته، ولا تستقصى أصوله، ولا تنضب أجزاءه صدقت؛ فإن

وقيل: ضيَع الناسُ الأصولَ بتركهم الأصولَ^١.

النهي عن الخوض في فنون من العلم

قيل: ازدحامُ العلمِ في السمعِ مَضَلَّةٌ للفهم^٢.

وقيل: إذا رأيتم رجلاً يريد تعلُّمَ أنواعِ العلومِ فداؤوه.

وقيل: من رام أن ينتحلَ فنونَ العلمِ استُحِفَّ بنحيزته^٣، ووقف الناسُ على غميرته^٤.

كان الأمر كذلك فابداً بالأهمّ فالأهم، والأوكد فالأوكد، وبالفرض قبل التّقل، يكن ذلك عدلاً
قصدًا ومذهباً جميلاً. اهـ

^١ وقيل أيضاً: من ضيَع الأصول حُرِم الوصول.

^٢ جاء في التذكرة الحمدونية لابن حمدون أن هذا من قول عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته والقيح عندهم ما استقبحته. علمهم كتاب الله تعالى، وروّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه، ولا تكرههم على علم فيملّوه، ولا تخرجهم من علم إلى علم فإنّ ازدحام العلم في السمع مَضَلَّةٌ للفهم.

^٣ النحيزة: العقل.

^٤ الغميرة: العيب والنقيصة والمطعن.

قال الشاعر^١:

تَعَلَّمَتَ حَتَّى مِنْ كِلَابٍ عَوَاءَهَا لَعَمْرِي لَقَدْ أَسْرَفْتَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

كثرة العلم

قال الحسنُ (رضي الله عنه): ما ترك قولُ الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) عالماً يظنُّ أنَّ علمه كثير.

وقيل لفيلسوف: إلى أين بلغت في العلوم؟ قال: إلى الوُفُوفِ على القُصُورِ عَنْهَا^٢.

زهد من يقرب من العلماء في العلم

قيل: أزهّد الناسِ في العالمِ جازؤه^٣.

^١ هو أبو عليّ البصير: شاعر عباسي من الشعراء المنسيين. وهو شاعر جيد، من أطبع الناس في زمانه، ومن الشياطين في الظرف والمجون. قال اليعموري في نور القبس: ومن أخبار أبي عمرو قَعْنَبِ بن المخزّز الباهليّ البصريّ، وكان أبو هفّان يكتب عنه ويسمع منه، وكان أبو عليّ البصير ينقم ذلك على أبي هفّان، ويرى أنّ موضعه من العلم والأدب يرتفع عنه، وقال فيه:

رأيتُ أبا هفّان يسألُ قَعْنَبًا... فقلْتُ له قولاً أمضَّ مِنَ الشتمِ

تعلّمتَ حتى من كلابٍ عوّاءها... لعمرى لقد أسرفْتَ في طلبِ العلمِ

^٢ انظر: نثر الدر في المحاضرات للأبي.

^٣ وذلك لأن الألفة ترفع الكلفة، كما قيل.

وقيل: العالم كالحمة^١ من البئر، يأتيها البعداء، ويزهد فيها القرباء^٢.

وقيل لرجل: كيف غلبت على^٣ البرامكة؟ فقال: بتطراف الغرباء والملاحة من القرباء^٤.

وقال أنوشروان: رأيت في منامي رجلاً يعدو والماء خلفه يناديه، فعبّر بأنه رجل يفتر من العلم وعالم يناديه ليفيده وهو يمنع منه.

حمد التأديب

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الناس: عالم ومتعلم، وما سواهما همج^٥.

^١ في النسخة المحققة: الحمة، بالجيم، والصواب الحمة، بالخاء، وهي كل عين ماء حارة تنبع من الأرض يستشفى بالاعتسال من مائها. والتصويب من الميداني كما في الهامش الآتي.

^٢ قال الميداني في مجمع الأمثال: مثل العالم كالحمة يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء. الحمة: العين الحارة الماء، وهذا مثل قولهم "أزهد الناس في العالم أهلهم وجيرانهم" اهـ.

^٣ كلمة (على) ساقطة من النسخة المحققة، ومعنى غلب عليهم كان أثيراً لديهم يقدمونه على من سواه. والعبارة الآتية في الهامش التالي تؤكد ذلك.

^٤ قال الحصري القيرواني في زهر الآداب وثمر الألباب: وقيل للصلت بن عطاء، وكان مقدماً عند البرامكة: كيف غلبت عليهم وعندهم من هو أدب منك؟ قال: ليس للقرباء طرافة الغرباء، وكنت امرأً بعيد الدار، نائي المزار، غريب الاسم، قليل الجرم، كثير الالتواء، شحيحاً بالإملاء؛ فرغبهم في رغبتي عنهم، وزهدني فيهم رغبتهم في. اهـ. والمعنى أن الغريب محبوب عن القريب.

^٥ وسبق ورودها عن خالد بن معدان، انظر: مسند الدارمي: ٣٣٢ - أخبرنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن بجر بن سعد، عن خالد بن معدان، قال: «الناس عالم ومتعلم، وما بين ذلك همج

فدلاً ذلك على تفضيل التآديب. وجميع ما تقدّم من عموم فضل التعليم دلالةً على فضل المؤدّبة^١.

وقال ابنُ ثابتٍ: إنّ المؤدّبةً وُلدوا بنجم، الملوّك حاسبون حسابهم. وسأل الرشيدُ يوماً: من أكرمُ الناسِ خدماً؟ قيل: أميرُ المؤمنين، فقال: لا، بل أكرمهم خدماً الكسائيُّ؛ فقد رأيتُه يخدمه الأميُّ والمأمونُ وليّاً عهدِ المسلمين وليس لي من الخدم مثلهما^٢.

وقال خالدُ بنُ صفوان^٣ لمؤدّبٍ: أنتَ أنظفنا وصيفاً وأحضرنا رغيفاً.

لَا خَيْرَ فِيهِ». [تعليق المحقق] إسناده ضعيف لضعف محمد بن كثير. والهَمْجُ: الرَّعَاغُ من الناس لا نِظَامَ لَهُمْ.

^١ المؤدّبة جمع مؤدّب، وهو المعلّم، وكان يسمى قديماً المؤدّب.

^٢ انظر: درر الحِكَم لأبي منصور الثعالبي، و معجم الأدباء لياقوت الحموي.

^٣ خالد بن صفوان المنقري التميمي: من فصحاء العرب المشهورين وخطبائهم، ولد ونشأ في البصرة وكان أيسر أهلها مالا ولم يتزوج. له كلمات وأمثال كثيرة كان يجالس الكثير من الخلفاء منهم عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وعاش حتى أدرك الدولة العباسية وكان مقرباً من الخليفة العباسي أبي العباس السفاح وحظي عنده بمكانة عظيمة وكان يُسكت كل من يناظره أو يخاطبه لذلك كان يسمى بفصيح مضر وفصيح العرب.

^٤ انظر: نثر الدر في المحاضرات للأبي.

ذمُّ التأديب وكونه نقصاً لذوي الفضل

كَلَّفَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُقَفَّعِ أَنْ يَجْلِسَ مَعَ ابْنِهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمًا، فَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ أُثَبَّتَ فِي دِيْوَانِ النَّوْكَى؟^٢

وقال سعيدُ بنُ سَلَمٍ^٣: قصدتُ الكوفةَ فرأيتُ ابنَ المقفَّعِ فرحَّبَ بي، وقال: ما تصنعُ ههنا؟ فقلتُ: ركبني دينٌ فأحوجتُ إلى الإزعاج. فقال: هل رأيتَ أحداً؟ فقلتُ: ابنَ شبرمةَ وعرفته حالي فقال أنا أكلم الأمينَ ليضمَّك إلى أولادِهِ فيكونُ لك نفعٌ. فقال ابنُ المقفَّعِ: أفٌ لذلك أيجعلُك مؤدباً في آخرِ عمرك، أين منزلك؟ فعرفته فأتاني في اليوم الثاني وأنا مشغولٌ بقومٍ يقرؤون عليّ ومعه منديلٌ فوضعه بين يديّ، فإذا فيه أسورةٌ مكسورةٌ ودراهمٌ متفرقةٌ مقدارُ أربعةِ آلافِ درهمٍ، وحينئذُ زمانُ المنصورِ وفي الدراهمِ ضيقٌ. فأخذتُ ذلك ورجعتُ به إلى البصرةِ واستعنتُ به^٤.

^١ إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: عم السفاح والمنصور، وكان معهما بالحميمة، وخرج معهما حين خرجوا لطلب الخلافة، وولي إمرة الحج سنة سبع وثلاثين ومئة في خلافة المنصور، وولي البصرة. ولد بالسرارة سنة ثلاث ومئة، وتوفي سنة سبع وأربعين ومئة.

^٢ كان ابن المقفّع يعمل في ديوان عيسى بن علي، أخي إسماعيل بن علي.

^٣ لم أجدّه.

^٤ لم أجد هذه القصة عند غير الراغب، ومن رواها فقد رواها عنه.

قال الشاعر:

كفى المرء نقصاً أن يقال بأنه معلّم صبيانٍ وإن كان فاضلاً
وقال آخر:

إنّ المعلّم حيث كان معلّمٌ ولو ابتنى فوق السّمك بناءً^١

وصايا المؤدّبين في الأولاد

أوصى هشامُ بنُ عبدِ الملكِ سليمانَ الكلبيّ^٢، لما اتخذهُ مؤدّباً لابنهِ^٣ إنّ ابني هذا هو جلدُهُ ما بين عينيّ، وقد وليتكَ تاديبه فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة فيه، بخلالٍ أو لها أنك مؤتمنٌ عليه، والثانية أنا إمامٌ ترجوني وتخافني، والثالثة كلّما ارتقى الغلامُ في الأمورِ درجةً ارتقيتَ معه. وفي هذه الخلال ما يرغبُك في ما أوصيكُ به. إنّ أولَ ما أمرُك به أن تأخذَهُ بكتابِ الله وتُقرئه في كلّ يومٍ عُشراً يحفظُهُ حفظاً رجلٍ يريدُ التّكسبَ به، ثم روه من الشعر

^١ في النسخة المحققة: فوق السماء سماءً، والتصويب من اللطائف والظرائف للثعالبي، وفيه:

إنّ المعلم حيث كان معلم ... ولو ابتنى فوق السماك بناءً

أو كان علّم ساعة من دهره ... أو كان علّم آدم الأسماء

لا بد من نقص يكون بعقله ... فاخلص بنفسك حيث كان الداء

^٢ سليمان بن سليم الكناني الكلبي الحمصي.

^٣ سقطت هذه الكلمة من النسخة المحققة.

أحسنه، ثم تخلّل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً، وبصّره طرّفاً من الحلال والحرام والحطّب والمغازي، ثم أجلسه كلَّ يوم للناس ليتذكر^١.

وقال عتبة بن أبي سفيان^٢ لمؤدّب ولده: ليكن أوّل إصلاحك لولدي إصلاح نفسك؛ فإنّ عيوتهم معقودةٌ بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته والقبیح ما استقبحتّه. علّمهم كتاب الله وروّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفّه ولا تُكرههم على علم فيملّوه ولا تدعهم فيهجروه، ولا تُخرجهم من علم إلى علم حتى يُحكّموه، فازدحام العلم في السمع مضلّة للفهم، وعلّمهم سير الحكماء، وهدّدهم بي^٣، وأدّبهم دوني، ولا تتكل على (عذرٍ منّي، فأبي أتكل على) كفاية منك، واستزدني بتأثيرك أزدك إن شاء الله تعالى^٤.

^١ انظر: تاريخ دمشق لابن عساکر.

^٢ عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية: ولد على عهد النبي. ولاة عمّر بن الخطاب الطائف وصدقاتها. أدرك عثمان بن عفان، وشهد معه الدار. ولما مات عمّرو بن العاص ولي معاوية أخاه عتبة مصر.

^٣ هذه الكلمة ساقطة من النسخة المحققة.

^٤ ما بين القوسين ساقط من النسخة المحققة.

^٥ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

وضرب أبو مريم مؤدّب الأمين والمأمون الأمين بعودٍ فحدّش ذراعَه فدعاه الرشيدُ إلى الطعام فتعمّد الأمينُ أن حَسَرَ عن ذراعِهِ فرآه الرشيدُ. فسأله، فقال: ضَرَبَنِي أبو مريمَ، فبعث إليه ودعاه، قال: فحفتُ، فلما حضرتُ قال: يا غلامُ وضّته، فسكنتُ وجلستُ آكلُ، فقال: ما بال محمدٍ يشكوكَ؟ فقلتُ: قد غلبني حُبُّنا وعرامة^١، قال: اقتله فالآن يموتُ خيرٌ من أن يموق^٢.

الحثُّ على تفقُّد المؤدّب

قيل: أولى من تبذلُ له نَدَاكَ^٣ من أفادك عُلاك وصقلَ حِجَاكَ.

قال الشاعر^٤:

إِنَّ الْمُعَلَّمَ وَالطَّيِّبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَيِّبَهُ وَاقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

^١ العرامة: الشدة والخبث وسوء الخلق.

^٢ يموق: يحمق.

^٣ في النسخة المحققة، ثراك بدل نذاك، والمعنى واحد وهو الخير والعطاء.

^٤ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيديمر.

ووقع الصاحب^١ لبعض المؤدّبة: إلى مَنْ تقاعدَ بمشاهرتِه^٢:

الكلبُ يرفعُ نفسه ويُجلُّها مع خستته
مِنْ أَنْ يُفِيتَ مؤدّباً مُستوجباً مِنْ أُجرته^٣

وسمع مؤدّبٌ يلقن صبيّاً: وإذ قال لقمانُ لابنه وهو يعظه يا بُنيّ لا تقصصن رؤياك على إختوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهّل الكافرين أمهلهم وريدا. فقيل له: ما هذا؟ فقال: إن أباه يُدخل مشاهرةً شهر في شهر، وأنا أُدخله من سورةٍ إلى سورة، لئلا يحصلَ على شيء كما لا أحصلُ أنا على شيء^٥.

^١ إسماعيل بن عباد القزويني، الإصفهاني، المعروف بالصاحب بن عباد و"كافي الكفاة"، كان من كبار أدباء الشيعة الإمامية الإثني عشرية، مشاركاً في مختلف العلوم كالحكمة والطب والمنطق، وكان محدثاً ثقة، شاعراً مبدعاً، وأحد أعيان العصر البويهي. كان وزيراً، ومن نوادر الوزراء الذين غلب عليهم العلم والأدب.

^٢ يعني: يا مَنْ لم تهتم بالعقد الذي بيني وبينك وبالمشاهرة والأجرة التي تتقاضاها نظير تعليمك ولدي إلخ. والمشاهرة هي الأجرة الشهرية نظير عمل.

^٣ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

^٤ المشاهرة: أجرة الشهر.

^٥ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ونثر الدر في المحاضرات للآبي.

نوادير المعلمين فيما يقرأ عليهم الصبيان

قرأ صبيٌّ على معلِّم: (وَإِنَّ عَلَيْنَكَ اللَّعْنَةَ) يا شيخُ، وأخذ يكرُرُ ويقفُ. فقال: عليك وعلى والديك. فقال الصبيُّ: ليس فيه وعلى والديك، لكنه عليك هل ألحقه به؟^١

وقرأ آخرٌ على معلِّم: (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ). فقال: ذلك أبوك الكشخانُ.^٢

وقرأ آخرٌ على معلِّم: (مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) وأخذ يكرُرُها كالمستفهم، فقال: لا ولا كرامة لك.^٣

نواديرهم فيما يقرأ عليهم من التصحيفات

قرأ صبيٌّ على معلِّم: إني أريد أن أنكحك (بفتح الهمزة)، فقال: هذا إذا قرأت على أمك القحبة.^٤

^١ انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي، وشرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي.

^٢ في النسخة المحققة: الكشخان، بالحاء، والصواب الكشخان، بالحاء، وهو الديوث. انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي.

^٣ انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي.

^٤ السابق.

وقرأ آخرُ: عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شداؤُ يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون. فقال: هؤلاء أكرادٌ لا ملائكةٌ^١.

وكان معلّمٌ يلقن صبيّاً «عَبَسَ وَتَوَلَّى»، فكان يقول: أبس وتولّى. فضربه المعلمُ فقال: عاه، فقال: حوّل العينَ من ههنا إلى ثمّ وخلّصني.

وقرأ آخرُ: وما أمرنا إلا واحدةٌ كَلَحِمٍ بالبصل، فقال يابنُ الفاعلة لعلك تشتهي البصليّة^٢.

ما وصف من لواط المعلمين

وفد سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن^٣ على هشامٍ، وهو صبيٌّ وضيءُ الوجه، فبعث به هشامٌ إلى عبدِ الصمدِ مؤدّبٍ ولده الوليدِ ليؤدّبَه. فراوَدَه عن نفسه فخرج من عند المؤدّب مُغضباً ودخل على هشامٍ وهو يقول:

إِنَّه واللهِ لولا أنتَ لم يَنْجُ مِنِّي سالماً عبدُ الصَّمَدِ

فقال: وما ذاك؟ قال:

^١ انظر: أدب الكتاب للصولي.

^٢ في النسخة المحققة: بصيلة، وهو خطأ، والتصويب من: نثر الدر في المحاضرات للآبي. والبصلية طعام معروف يطبخ من اللحم والبصل.

^٣ الثابت أن هذا كان مع سعيد بن هشام كما في المصادر الآتية.

^٤ عبد الصمد بن عبد الأعلى.

أَنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي خُطَّةً لَمْ يَزُمْهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدٌ

قال: وما ذاك؟ فقال:

رام جهلاً بي وجهلاً بأبي يولج العُصفورَ في حِيسٍ^١ الأسد

فطرَدَ عبدَ الصمدِ عن دارِهِ^٢.

وَحَدَّثَ الْأُحَيْمِرُ النَّحْوِيَّ وَكَانَ مُؤَدِّبَ الْأَمِينِ اتُّخِذَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَرْفِ حَمَّادٍ
عَجْرَدَ وَكَانَ حَمَّادٌ اتُّخِذَ عَلَيْهِ بَعْدَ نَفِي قُطْرُبٍ، قَالَ: إِنَّ سَبَبَ نَفِي قُطْرُبٍ أَنَّ
حَمَّادًا كَانَ يَتَعَشَّقُ الْأَمِينَ، وَيَطْمَعُ أَنْ يُتَّخَذَ عَلَيْهِ مُؤَدِّبًا فَلَمْ يَتَأْتْ لَهُ حَتَّى
اسْتَوَى الْأَمْرُ عَلَى قُطْرُبٍ، فَاحْتَالَ وَكَتَبَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَنَاوَهُمَا بَعْضَ الْخَدَمِ
عَلَى يَدِ مَجْهُولٍ:

قَلْ لِلْأَمِيرِ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَا تَجْمَعُ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ وَالذُّبِ
السَّخْلُ غِرٌّ وَهُمْ الذُّبُ غَفْلَتُهُ

^١ الحيس: الأجمة وبيت الأسد.

^٢ انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا الرَّشِيدُ نَفَى فُطْرُبًا، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ حَمَادًا، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ
رَقِيبًا مِنَ الْخَدَمِ يَحْفَظُونَهُ، فَخَافَ فُطْرُبٌ خَوْفًا عَظِيمًا لَمَّا وَسِمَ بِهِدِهِ السِّمَةَ،
فَهَرَبَ إِلَى الْكَرْخِ وَالتَّجَأَ إِلَى ابْنِ دُلْفٍ فَحَسُنَتْ حَالُهُ عِنْدَهُ^١.

ودخل المأمون ديوان أحمد بن يوسف فصادف حوله مُرداً حساناً فقال:

أَسَدٌ رَابِضٌ حَوَالِيهِ أَظْبٌ^٢ لَيْسَ يَنْجُو مِنَ الْأَسُودِ الظُّبَاءِ^٣

وقال خَلْفُ الْأَحْمَرِ^٤ لمعلمه وهو في الكتاب وقد راوده عن نفسه:

أَتَتْرُكُ فِي الْحَلَالِ مَشَقَّ صَادٍ وَتَأْتِي فِي الْحَرَامِ مَدَارَ مِيمٍ^٥؟

^١ والبيتان منسوبان أيضاً إلى أبي نواس، وإلى بشار بن برد. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيديمر، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

^٢ في النسخة المحققة: أسد، وهو خطأ يفسد المعنى المطلوب، وأظب جمع ظبي، والتصويب من الهامش التالي.

^٣ قال محمد بن أيديمر في الدر الفريد وبيت القصيد: دَخَلَ الْمَأْمُونُ ذَاتَ يَوْمٍ دِيْوَانَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ فَصَادَفَ حَوْلَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤَدَّانِ الْحِسَانِ فَقَالَ الْمَأْمُونُ مُتَمَثِّلاً وَالشَّعْرُ لَهُ: أَسَدٌ رَابِضٌ حَوَالِيهِ أَظْب. الْبَيْت.

^٤ خلف بن حيان المعروف بخلف الأحمر (١١٥ - ١٨٠ هـ)، من علماء البصرة في اللغة والنحو. وكان راوية ثقة علامة.

^٥ مشق صاد: كناية عن فرج الزوجة وهو حلال، ومدار ميم: كناية عن الدبر وهو حرام. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيديمر.

حماقة المعلمين

قال يعقوبُ الدورقي^١: إِنَّ اللَّهَ أَعَانَ عَلَى عَرَامَةِ الصَّبِيَّانِ، بِحِمَاقَةِ الْمُعَلِّمِينَ^٢.
وقال سهلُ بنُ هارونَ: لَمْ أَرْ قَاضِيًّا وَلَا عَدْلًا مُعَلِّمَ كِتَابٍ، لَا فِي تَافِهِ حَقِيرٍ
وَلَا فِي ثَمِينِهِ خَطِيرٍ.

وقال الشاعر^٣:

وَكَيْفَ يُرَجَّى الْعَقْلُ وَالرَأْيُ عِنْدَ مَنْ يَرُوحُ عَلَى أُنْتَى وَيَعْدُو عَلَى طِفْلِ
وقال آخر:

أَنْتَ الْحَىُّ مُعَلِّمٌ وَطَوِيلٌ حَسْبُنَا رَبُّنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وقال الجاحظ^٥: والمعلمون عندي على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم
أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد
الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة. فكيف تستطيع

^١ يعقوب بن إبراهيم بن كثير القيسي الدورقي حافظ وإمام في الحديث النبوي. ولد سنة ١٦٦ هـ.

^٢ وتنسب هذه المقولة أيضاً إلى الشافعي، وإلى ابن المغربي الوزير. انظر: حسن التنبيه لما ورد في
التشبه لنجم الدين الغزي، وبتيمة الدهر للثعالبي.

^٣ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط، واللطائف والظرائف للثعالبي.

^٤ الألقى: طويل اللحية.

^٥ في البيان والتبيين باب في ذكر المعلمين.

أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قُطْرِب ، وأشباه هؤلاء يقال لهم حَمَقَى . ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دوتهم. فإن ذهبوا إلى معلّمي كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة^١.

ما وُصِفَ من ذكاء الصبيان وكَيْسِهِم في الكتاب

قال مؤدّب يزيد بن عبد الملك: لِمَ لَحْنَتْ؟ فقال: الجوادُ يعثر. فقال المؤدّب: أي والله ويُضربُ حتى يستقيم. فقال يزيد: وربما يرمح سائسه فيكسرُ أنفه^٢. ويروى عن ابن السكيت قال: أُحْضِرْتُ لِأُتَخَذَ مُؤَدِّباً^٣ على المعتز بالله، فقلتُ له: بأي شيء نبدأ اليوم؟ فقال: بالخروج. فقلتُ: نعم. فَعَدَا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ فَعَثَرَ عَلَى الْمَرْمَرِ فَقَالَ:

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

^١ نقلتُ عبارة الجاحظ لأن عبارة الراغب جاءت مختصرة.

^٢ انظر: أنساب الأشراف للبلاذري، ونثر الدر في المحاضرات للآبي، وحدائق الأزاهر لابن عاصم الغرناطي، وبهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر.

^٣ كلمة مؤدباً سقطت من النسخة المحققة.

فَقُلْتُ لِلْمَتَوَكِّلِ: جِئْتُمْ بِي لِتَأْدِيبِهِ وَهُوَ آدَبٌ مِنِّي. فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ^١.

قال أبو محمد يحيى^٢ - وكان مؤدِّبَ المأمونِ في صِغَرِهِ - صَلَّىتُ يوماً قاعداً فأخطأ المأمونُ فقمْتُ لأضربه، فقال: أَيُّهَا الشَّيْخُ أَتَطِيعُ اللَّهَ قاعداً وَتَعْصِيهِ قائماً! فكتبْتُ بهذا إلى الرشيدِ فأمر لي بخمسةِ آلَافِ دِرْهَمٍ^٣.

وحُكِيَ أَنَّهُ بَدَرَ مِنْ أَبِي عَمَرَ الصَّبَاغِ إِلَى الصَّاحِبِ^٤ جَفَاءً وَكَانَ مُؤدِّبَهُ، فقام من عنده وَكَتَبَ إِلَيْهِ:

أودعتني العلمَ فلا تجهلِ كمِ مَقُولٍ يجني على مَقْتَلِ
أنتَ وَإِنْ عَلَّمْتَنِي سوقَةَ وَالسيفُ لَا يُبْقِي على الصَّيْقَلِ^٥

^١ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

^٢ أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي الأموي (١٣٨ - ٢٠٢ هـ)، شَيْخُ القُرَاءِ وَقَدْ آدَبَ المأمونَ، وَعَظَّمَ حالَهُ، وَكَانَ ثِقَّةً، عَالِماً، حُجَّةً فِي القِرَاءَةِ، إِخْبَارِيٍّ، نُحْوِيٍّ، عَلَّامَةً، بَصِيرٌ بِلِسَانِ العَرَبِ، أَحَدَ العَرَبِيَّةِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَعَنِ الخَلِيلِ. وَأَلَّفَ كِتَابَ (النَّوَادِرِ)، وَكِتَابَ (المُقْصُورِ وَالمَمْدُودِ)، وَكِتَابَ (الشُّكْلِ)، وَكِتَابَ (نَوَادِرِ اللُّغَةِ)، وَكِتَابَ (النَّحْوِ). وَكَانَ نَظِيرًا لِلْكَسَائِيِّ.

^٣ انظر: كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدواداري، ونثر الدر في المحاضرات للأبي.

^٤ الصاحب بن عباد. سبقت ترجمته.

^٥ الصَّيْقَلُ: الصَّقَال، من يجلو السُّيوفَ ويشحذها.

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعدٍ فتعجَّب منه وكتبه وقال: ابنُ ثمانين يكتبُ شعرَ ابنِ عشرين! ^١ ثم تلا: (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا).

أمانة نجابة الصبيان

قيل لأعرابي: ما أمانةُ النجابةِ في صبيانِكُمْ؟ قال: إذا كان أعنقُ أشدقَ أحقَّ فأقربُ به من السؤددِ ^٢.

وقال الزُّبرقان ^٣: أكيسُ صبياننا العريضُ الورك، السبُطُ العُزَّة، الطويلُ العُزلة، الأبلهُ العقول ^٤.

وقال بزرجمهر لكسرى، وعنده أولادُه: أيُّ أولادِك أحبُّ إليك؟ قال أرغبهم في الأدب، وأجزعهم من العار، وأنظرهم إلى الطبقةِ التي فوقه.

^١ في النسخة المحققة: عشر، والتصويب من التذكرة الحمدونية لابن حمدون. والمعنى أن أبا الحسين يعجب من كونه في الثمانين ويكتب شعر الصاحب ابن العشرين.

^٢ الأعنق: طويل العنق، الأشدق: واسع الفم، الأحمق: الذي يتحاقق وهو عاقل، السؤدد: السيادة والرئاسة. انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة.

^٣ الزبرقان بن بدر: صحابي جليل قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة مع بني تميم.

^٤ قال ابن قتيبة في غريب الحديث: وَقَوْلُهُ الْأَبْلَهُ الْعُقُولُ يُرِيدُ أَنَّهُ كَالْأَبْلِهِ لَشِدَّةِ حَيَاتِهِ وَتَعَاقُلِهِ وَهُوَ عَقُولٌ. وانظر أيضاً: عيون الأخبار لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ، والألفاظ لابن السكيت.

وروى ابن عباسٍ (رضي الله عنهما) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: عِزَّةُ الصَّبِيِّ فِي صِعْرِهِ زِيَادَةٌ فِي عَقْلِهِ إِذَا كَبُرَ^١.

وقال معاويةُ: طَيَّرُوا الدَّمَ فِي وَجْهِ الصَّبِيَّانِ، فَإِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِمُ الْحَيَاءُ وَالْإِلَافَةُ فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ^٢.

صَبِيٌّ اسْتَدَلَّ بِعَقْلِهِ عَلَى كِبَرِ هِمَّتِهِ

قِيلَ: أَوَّلُ مَا عُرِفَ بِهِ سُؤْدُذُ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ^٣ أَنَّهُ مَرَّ فِي سُوقِ دِمَشْقٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَأَوْطَأَ فَرَسَهُ صَبِيًّا، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَتَحَرَّكُ؛ أَمَرَ غُلَامَهُ فَحَمَلَهُ ثُمَّ أَتَى بِهِ إِلَى مَجْلِسِ قَوْمٍ، فَقَالَ: إِنَّ حَدِيثَ هَذَا الْغُلَامِ حَدِيثٌ؛ فَأَنَا صَاحِبُهُ، أَوْطَأْتُهُ فَرَسِي وَمَنْ أَعْلَمُ؟.

ومرَّ عمرُ رضي الله عنه بصبيانٍ يلعبون وفيهم عبدُ الله بنُ الزبير رضي الله عنه، فعدا الصبيانُ ووقف عبدُ الله فقال له عمرُ: مَا لَكَ لَا تَذْهَبُ مَعَهُ،

^١ ضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

^٢ أي حركوهم، وألهبهم للأمر. انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، وريع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري.

^٣ خالد بن عبد الله القسري: أمير من ولاة بني أمية، وهو من بني قسر من قبيلة بجيلة، كان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال.

^٤ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وتاريخ الإسلام للذهبي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور.

الصبيان؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أجن إليك فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيقٌ فأوسعه لك^١.

وكان عبدُ الملك^٢ صغيراً فأرْبى عليه صبيٌّ فضربه، فقبل له: لو شكوتَه إلى عمِّك^٣ لانتقم منه. فقال: أنا لا أعدُّ انتقامَ غيري انتقاماً.

وقال السريُّ الرِّفاء^٤ يصفُ غلاماً بعلوِّ الهمة^٥:

لا تَعَجَّبُوا مِنْ عُلُوِّ هِمَّتِهِ وَسِنُهُ فِي أَوَانٍ مَنَشَاهَا
إِنَّ النُّجُومَ الَّتِي تُضِيءُ لَنَا أَصْعَرُهَا فِي الْعُيُونِ أَعْلَاهَا

^١ انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي.

^٢ عبد الملك بن مروان.

^٣ يعني معاوية بن أبي سفيان.

^٤ والقصة كما في نثر الدر في المحاضرات للآبي: ونازعه عبدُ الرَّحْمَنِ بن خالد بن الوليد، فأرْبى عَلَيْهِ، فقبل له: لو شكوتَه إلى عمِّه لانتقم لك منه، فَقَالَ: مثلي لا يشكو، وَلَا أعدُّ - أنا - انتقامَ غَيْرِي لي انتقاماً، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: حَقْدُ السُّلْطَانِ عِزٌّ. وانظر أيضاً: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، والبصائر والذخائر للتوحيدي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، والبيان والتبيين للجاحظ.

^٥ سبقت ترجمته.

^٦ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون.

من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه

أوفد أبو موسى الأشعريّ زياداً^١ على عمر رضي الله عنه، وكان يكتب له، فلما جاء وجدّه من الكيس بمحلّ. فقال له عمر: اعتزل عمك. فقال زياد: أعنّ خيانتة؟ قال: لا، ولكني أكره أن أحمل الناس على فضل عقلك ومنطقك. قال: إذن لا أبالي^٢.

دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبيّ أمرد، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: من أنت؟ قال: سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته^٣.

نظر المأمون إلى الحسن بن رجاء^٤ وهو صبيّ في ديوانه، فقال: من أنت؟ قال:

^١ زياد بن أبيه، زياد بن أبي سفيان: أدرك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة. ثم ولاة علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولي البصرة لمعاوية حين استلحقه إليه، وضم إليه الكوفة.

^٢ ذكره الجاحظ في البيان والتبيين، وابن قتيبة في عيون الأخبار، وابن عبد ربه في العقد الفريد، وابن مسكويه في تجارب الأمم، والماوردي في أدب الدنيا والدين، وابن عبد البر في الاستيعاب.

^٣ انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، ودرر الحكم لأبي منصور الثعالبي، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٤ الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الكاتب.

الناشئ في دولتك المتقلّب في نعمتك وخرّيج^١ أدبك الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول. وأمر برفعه عن محله^٢.

وفي بعض كتب الفرس أن كسرى أراد كاتباً لأمرٍ أعجله، فلم يوجد غير غلامٍ يصحب الكتاب، فدعاه وقال: ما اسمك؟ فقال: مهرمه، فقال: اكتب ما أمّل عليك، فكتب قائماً أحسن من غيره جالساً، ثم قال: اكتب في نحو الكتاب من تلقاء نفسك، ففعل، وضمّ إلى الكتاب رقعةً فيها: إن الحرفة التي وصلني بسيدي لو وُكِّتُ فيها إلى نفسي لعجزتُ أن أبلغ لها، فإن رأى أن لا يخطني إلى ما هو دونها فعل؛ فقال كسرى: لقد أحبّ مهرمه أن لا يدع في نفسه لهفةً يتلهفُ عليها بعد إمكان الفرصة، قد أمرنا له بما سأل^٣.

وذكر أن عمرو بن عتبة أعتق غلاماً له فقام إليه وصيف له فقال: اذكرني ذكرك الله^٤، فاستصغره وقال: ويحك إنك لم تحرف بعد^٥. فقال: إن النحلة

^١ في النسخة المحققة: وتخرّيج، والتصويب من ابن عساكر.

^٢ انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر.

^٣ انظر: درر الحكم لأبي منصور الثعالبي.

^٤ أي أنه طلب منه أن يعتقه أيضاً.

^٥ أي لم تصل إلى سن الإدراك فتعتق، يقال: أخرفت النحلة إذا بلغت أن تحرف وتجن.

قد بُجِّتَنِي زَهْوَ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ مَعَوًّا^١. قال: قَاتَلَكَ اللهُ قَدِ اسْتَعْتَمْتَ فَأَحْسَنْتَ^٢،
قد وهبْتُكَ لَوَاهِبِكَ لِي.

وصفُ بلادِ الصبيانِ في التعلُّمِ

كان معلِّمٌ يضربُ صبيًّا، فقيل له: لِمَ تضربه؟ فقال إنه يتركُ الصوابَ الهينَ
ويأتي الخطأَ الصعبَ، فإذا هو يقرأ: (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) ويقرأ: فيؤخذ
بالنواهي والأقدام.

وحكي أن مؤدِّباً ادَّعى أنه علِّم صبيًّا النحوَ والفرائضَ^٣، فامتحنَه أبوه فقال
له: كيف تقولُ ضربَ زيدٍ عمراً؟ قال: كما تقول، فقال له: فما إعرابُهما؟
قال: زيدٌ رُفِعَ بفعلِهِ وما بقي فللُعُصْبَةِ^٤.

وأمرَ آخرٌ معلِّماً أن يعلمَه الفرائضَ فامتحنَه يوماً، فقال له: ما تقول في رجلٍ
مات وحلَّفَ ابنتينِ وابناً؟ فقال: أمَّا الابنُ فيسقط، فقال: نعم إذا كان
مثلَكَ.

^١ الزهو والمعو من أصناف البلح.

^٢ ساقطة من النسخة المحققة، وزيادتها من المصادر الآتية.

^٣ الفرائض: علم تقسيم الموارث.

^٤ أي أنه خلط بين النحو والموارث فأدخل كلاً منهما في الآخر لأنه بليد.

وسُئِلَ أشْعَبُ^١ في البزّازين^٢ فقبل له بعد سنة: إلى أين بلغت في معرفة البزّ؟
قال: أحسنتُ النَّشْرَ وأرجو أن أتعلّمَ الطّي^٣.

^١ أشعب شخصية فكاھية عرف بالطمع وكان له طرائف كثيرة ما زالت تروى في القصص الشعبية. هو أشعب بن جبیر، وقد ولد في سنة تسع من الهجرة، وكان أبوه من مماليك عثمان بن عفان، وقد عمر أشعب حتى أيام خلافة المهدي.

^٢ البزّازون: بائعو الثياب، وأشعب

^٣ انظر: أخبار الطراف والمتماجنين لابن الجوزي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتاريخ بغداد وذيوله للخطيب البغدادي.

ومما جاء في البلاغة وما يضاؤها

ما حُدَّ به البلاغة

قيل: البلاغة ما اجتيازُه فسادُه^١.

وقيل: الإيجاز من غير عجزٍ، والإطناب من غير حَظَلٍ^٢.

وسئل آخر فقال: أن لا تُحَطَّى ولا تُبَطَّى^٣.

وسأل المأمونُ الحسنَ بنَ سهلٍ عن ذلك، فقال: ما فهمته العامة ورَضِيته الخاصة^٤.

^١ وعبر عن ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بقوله: ما اختصاره فسادُه.

^٢ الحَظَلُ: الكلامُ الفاسدُ الكثيرُ المضطرب. انظر: عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني، والإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي، وديوان المعاني للعسكري، أبي هلال.

^٣ في النسخة المحققة: لا تطى، وهو خطأ واضح. والتصويب من المصادر الآتية؛ فقد قال مُعاوية لصُحارِ العَبْدِيِّ: ما البلاغة؟ قال: أن تُجيب فلا تُبْطِئ، وتُصيب فلا تُحْطِئ. انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه، وأدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر، والحيوان للجاحظ.

^٤ والعبارة كما أوردها العسكري، أبو أحمد في كتاب المصون في الأدب: وسئل الحسن بن سهل عن البلاغة فقال: قال لي المأمون: ما البلاغة؟ فجعلت أفكّر فقال: دعني أقول لك: هو ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة. وانظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، والبصائر والذخائر للتوحيدي، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ.

وسئل عنه بعضُ اليونانيين، فقال: تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام^١.
وسئل حكيمٌ عن البليغ، فقال: مَنْ إذا أَخَذَ شِبْرًا كَفَاهُ، وإنْ أَخَذَ طومارًا
ملاه^٢.

ما حُدَّ به الإيجاز ووصفه

سئل بعضهم فقال: اللَّمحة الدَّالة.

قال جعفرُ بنُ يحيى البرمكي: إنِ استطعتم أن تكونَ كتبُكم توقيعاتٍ،
فافعلوا^٣.

^١ انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر، والبيان والتبيين للجاحظ، وعمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي.

^٢ الطومار: الصحيفة. انظر: البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ، وتحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبغ، وعمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، والتمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي.

^٣ التوقيع: تعليق موجز يحمل رأي صاحبه. وكان القدماء يوجزون المكاتبات ويختصرونها، ويقنعون من الألفاظ بمبلغها، ويرون الإطالة عجزا والإيجاز إعجازا. انظر: أدب الكتاب للصولي، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد.

ووقعَ محمدُ بنُ طاهرٍ أيامَ الفتنة^١ إلى الكتاب: لَتُدَقِّقِ الأَقْلَامُ وَيُخْتَصِرِ الكَلَامُ؛
فالقراطيسُ لا تُرامُ^٢.

وقيل: مَنْ أَطَالَ الحَدِيثَ وَأَكْثَرَ القَوْلَ فَقَدْ عَرَّضَ أَصْحَابَهُ لِسَامَةِ وَسُوءِ
الإِسْتِمَاعِ^٣.

وقيل: الكلامُ إذا طال اختلَّ، وإذا اختلَّ اعتلَّ^٤.

وقال منصورُ الفقيه^٥:

^١ فتنة المستعين والمعزز، عقب وفاة الخليفة العباسي المتوكل اشتعل الصراع بين ابنه المعزز وابن أخيه المستعين، نصَّب كلٌّ منهما نفسه خليفة واتخذ لنفسه عاصمة منفصلة.

^٢ وفي هذه الفتنة حدث نقص في الأوراق والقراطيس. ومحمد بن عبد الله بن طاهر: طاهري خدم الخلافة العباسية محافظاً ورئيس شرطة بغداد في فترة مضطربة شملت الحصار خلال الحرب الأهلية وعرف بأنه عالم وشاعر وراعي الفنانين والعلماء. انظر: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية لأحمد زكي صفوت.

^٣ قال الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: فَقَدْ قَالَ أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ المُبَرِّدُ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ: مَنْ أَطَالَ الحَدِيثَ وَأَكْثَرَ القَوْلَ فَقَدْ عَرَّضَ أَصْحَابَهُ لِلْمَلَالِ وَسُوءِ الإِسْتِمَاعِ وَلَأنَّ يَدَعُ مِنْ حَدِيثِهِ فَضْلَهُ يُعَادُ إِلَيْهَا أَصْلَحُ مِنْ أَنْ يَفْضَلَ عَنْهُ مَا يُلْزِمُ الطَّالِبَ اسْتِمَاعَهُ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ فِيهِ وَلَا نَشَاطٍ لَهُ.

^٤ جاء في غرر الخصائص الواضحة للوطواط: وقال جعفر بن يحيى: إذا كثر الكلام اختل وإذا اختل اعتل. وقال خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمبل.

^٥ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير.

وَلَا تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الْكَلَامِ الْكَ قَلِيلُ الْحُرُوفِ الْكَثِيرُ الْمَعَانِي
وقيل: خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يطُلْ فيمَلَّ^١.

كلمات موجزة

وذكر ذلك يطول، ولكن لا بدَّ من ذكر أحرفٍ تكون أمثلةً:

سُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَوْجَزِ كَلَامٍ فَقَالَ: قَوْلُ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى
مَلِكَةِ سَبَأَ: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَنْتُونِي
مُسْلِمِينَ)، فجمع في ثلاثة أحرفٍ العنوانَ والكتابَ والحاجةَ، وإظهارَ الدِّينِ
وعرضَ الرِّشَادِ إِلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِمْ^٢.

وَكَتَبَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ جَوَاباً عَنْ كِتَابٍ تَهَدَّدَهُ فِيهِ: الْجَوَابُ مَا تَرَى لَا
مَا تَسْمَعُ بِهِ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبَى الدَّارُ، وَالسَّلَامُ^٣.

^١ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٢ انظر: درر الحكم لأبي منصور الثعالبي.

^٣ انظر: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة للقاضي أبو يعلى ابن الفراء، وريع الأبرار
ونصوص الأخيار للزخشري.

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة^١ أن يكتب كتاب عناية موجزاً فكتب: كتابي كتاب واثق بمن كتبت إليه، معنيّ بمن كتبت له، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصيلاً^٢.

الإيجاز والإطناب^٣ في محليهما

قيل لأبي عمرو بن العلاء^٤: لم كانت العرب تطيل؟ قال: ليسمع منها. قيل: فلم توجز؟ قال: ليحفظ عنها^٥.

^١ عمرو بن مسعدة بن سعيد (ت ٢١٧هـ): كاتب وأديب وشاعر من العصر العباسي، وهو المسؤول عن ديوان الرسائل في خلافة المأمون.

^٢ جاء في كتاب جمهرة رسائل العرب في عصور العربية لأحمد زكي صفوت: وأمره المأمون أن يكتب لشخص كتاباً إلى بعض العمال بالوصية عليه والاعتناء بأمره في سطر واحد، فكتب إليه: «كتابي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه، معنيّ بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله، والسلام». انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري.

^٣ الإيجاز والإطناب بابان في علم المعاني، والإيجاز هو تأدية المعنى المراد بأقل عدد ممكن من الكلمات، أما الإطناب فهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لفائدة تحصل.

^٤ أبو عمرو بن العلاء التميمي (٧٠ - ١٥٤ هـ): أحد القراء السبعة، وشيخ العربية والقراءة، وأحد أهل زمانه، برز في الحروف، وفي النحو، كان من أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب، وقد انتهت إليه الإمامة في القراءة بالبصرة، وهو أحد التابعين.

^٥ انظر: أدب الكتاب للصولي، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني.

وقد قال الشاعر^١ في هذا المعنى:

يَرْمُونَ^٢ بِالْحُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَحَيَّ الْمَلَا حِظِ حَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ

وقال قدامة^٣: البلاغة ثلاثة مذاهب: المساواة، وهي مطابقة اللفظ المعنى^٤ لا زائداً ولا ناقصاً، والإشارة وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة، والتذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه^٥.

وقال شاعر^٦:

يكفي قليل كلامه، وكثيره ثبت إذا طال النضال مُصيب

^١ سماه الجاحظ في البيان والتبيين: أبا دؤاد ابن حريز الإيادي.

^٢ في النسخة المحققة: يرومون، بزيادة واو بعد الراء، وهو خطأ واضح كسر الوزن العروضي. انظر: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، وتفسير الزمخشري، والبيان والتبيين للجاحظ.

^٣ في النسخة المحققة: ابن قدامة، وهو خطأ واضح. بل هو قدامة بن جعفر: من مشاهير البلغاء الفصحاء وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم البديع، ومن مؤلفاته كتاب نقد الشعر.

^٤ في النسخة المحققة: والمعنى، بزيادة الواو، وهو خطأ واضح.

^٥ انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، شهاب الدين، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.

^٦ هو أبو وجزة السعدي، من سعد بن بكر، يصف كلام رجل. انظر: البيان والتبيين للجاحظ، وزهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون.

وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبوا في معنى، فأوجز أحدهما وأطال الآخر، فقال للموجز لَمَّا نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد. وقال للمطيل: لم أجد موضع نقصان^١.

وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار هذراً، وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً^٢.

استقباح إعادة الحديث

قيل: الحديث الرَّجِيعُ كالحديثِ والرجيعُ؛

وقيل: إذا أعيدَ الحديثُ ذهبَ ضوؤه ورونقه.

^١ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ونثر الدر في المحاضرات للآبي، والصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري، أبي هلال.

^٢ الهذر: التكلم بما لا ينبغي.

^٣ انظر: ديوان المعاني للعسكري، أبي هلال، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصعب، والإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ.

^٤ الرجيع الأولى: المعاد والمكرر، والرجيع الثانية: روث الحيوانات.

قال ابن السَّمَاكِ^١ لجارية^٢ له تُصغِي إلى كلامه: كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامِي؟ قَالَتْ: مَا أَحْسَنَهُ إِلَّا أَنَّكَ تُكْثِرُ تَرَدَادَهُ، قَالَ: أَرَدُّهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ، قَالَتْ: إِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ قَدْ مَلَّهُ مَنْ فَهَمَهُ^٣.

وقيل لرجلٍ يعيدُ كلاماً لغيٍّ: قد ثَقُلَ كلامك على الذكيِّ قبل حصوله في قلبِ الغيبي.

ذمُّ إطالة الحديث

قيل: مَنْ أَطَالَ الْحَدِيثَ وَأَكْثَرَ الْقَوْلَ فَقَدْ عَرَّضَ أَصْحَابَهُ لِلْمَلَالِ وَسُوءِ الْإِسْتِمَاعِ^٤.

وقال سقراطٌ لرجلٍ: أنساني أولَ كلامك بعدُ العهدِ بآخره، وفارق آخره فهمي لتفاوتته^٥.

^١ محمد بن صبيح بن السماك: الزاهد، القدوة، سيد الوعاظ.

^٢ في النسخة المحققة: جارية، والتصويب من المصدر الآتي.

^٣ انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.

^٤ سبق من قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد.

^٥ انظر: المحاسن والأضداد للجاحظ، وفيه: وكلم رجلٍ سقراطٌ عند قتله بكلام أطاله، فقال له:

«أنساني أولَ كلامك طول عهده، وفارق آخره فهمي لتفاوتته».

وخطب رجلٌ خطبةً نكاحٍ فأخذ يطيلُ فقام بعضُ الحاضرين فقال: إذا فرغ الخطيبُ فبارك الله لكم، فإني على شغلٍ^١.

الموصوف بالفصاحة

سمِعَ إعرابيُّ الحسنَ^٢ يتكلَّم، فقال: هو فصيحٌ إذا لَفَظ، نصيحٌ إذا وَعَظ^٣.
وقال الشاعر^٤:

مُلَقَّنٌ مُلَهَّمٌ فِيمَا يُحَاوِلُهُ جَمٌّ خَوَاطِرُهُ جَوَّابُ آفَاقِ

وقيل: انتهت الفصاحةُ إلى أربعٍ: عليٍّ وابنِ عباسٍ وعائشةَ ومعاويةَ رضي الله عنهم.

^١ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، وشرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي.

^٢ الحسن بن البصري.

^٣ انظر: أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد.

^٤ هو صفوان بن صفوان الأنصاري الخزرجي: شاعر من بني الحارث بن الخزرج من كبار شعراء المعتزلة في عهد نشأتها أيام واصل بن عطاء، كان أبرز المنافحين عن واصل لما انقلب عليه بشار بن برد فلم يترك قولاً لبشار إلا رده عليه، وكان من أصدقاء الجاحظ.

قال الشَّعْبِيُّ: ما رأيتُ أحداً يتكلَّمُ فيحسِنُ إلا أحببتُ أن يسكتَ إلا زياداً^١
فإنَّه لم يخرج قطُّ من حسنٍ إلا إلى ما هو أحسنُ منه^٢.

وقال يحيى بن زيادٍ: فلانٌ أخذَ بزمامِ الكلامِ فقادهُ أسهلَّ مَقادٍ، وساقهُ أحسنَ
مَساقٍ، فاسترجعَ به القلوبَ النَّافِرةَ، واستصرفَ به الأبصارَ الطَّامِحَةَ^٣.

وقيل: كلامٌ كنظمِ الجُمانِ وروضِ الجنانِ فكأنه من كلِّ قلبٍ يُنظَّمُ.^٤
وقال أبو تمامٍ: °

من السَّحْرِ الحلالِ لمحتنيه ولم أر قبله سحرًا حلالا

^١ زياد بن أبيه، ابن أبي سفيان بعدما استلحقه معاوية.

^٢ انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

^٣ انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وعمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، وربيع الأبرار
ونصوص الأخيار للزمخشري.

^٤ انظر: سحر البلاغة وسر البراعة لأبي منصور الثعالبي.

° انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري للآمدي. وفيه:

إذا ما الحاجة انبعثت يداها ... جعلت المنع منك لها عقالا

وأين قصائد لي فيك تأبى ... وتأنف أن أهان وأن أذالا

من السحر الحلال لمحتنيه ... ولم أر قبلها سحرًا حلالا

وقالت الخنساء^١:

كَأَنَّ كَلَامَ النَّاسِ جُمِعَ عِنْدَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ أَطْرَافِهِ يَتَخَيَّرُ

فضيلة اللسان

قال العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: فيم الجمال؟ قال: في اللسان^٢.

وقيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مَهْمَلَةٌ أو صورة ممثلة^٣.

وذكره بعضهم فقال: لله ذرؤه من عضو ما أصغره وأكثر ضره ونفعه.

^١ وهما بيتان، هذا أحدهما، والآخر: (فَلَمْ يَرْضَ إِلَّا كَلَّ بِكُرٍ ثَقِيلَةٍ ... تَكَادُ بَيَانًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ تَفْطُرُ) وقد نسبهما ابن عبد البر في التمهيد لعدي بن الحرث التيمي، ونسبهما غيره لسويد بن كراع العكلي وهما في قصيدة له مطلعها: أَرَاكَ بِالْبَيْنِ الْخَلِيطُ الْمَهْجُرُ وَكَمْ يَكُ عَنِ بَيْنِ الْأَحْبَةِ عُنْصُرُ

^٢ أخرجه أبو بكر الشافعي في "الفوائد" وابن عساکر، والنيسابوري في المستدرک علی الصحیحین بلفظ: أقبل العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه حلة، وله ضفيرتان وهو أبيض، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبسم، فقال العباس: يا رسول الله ما أضحكك، أضحك الله سنك؟ فقال: "أعجبتني جمال عم النبي"، فقال العباس: ما الجمال في الرجال؟ قال: "اللسان". وضعف الألباني إسناده كما في السلسلة.

^٣ نسبه البلاذري أنساب الأشراف إلى خالد بن صفوان التيمي، سبقت ترجمته. وانظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه لنجم الدين الغزي، والفاضل محمد بن يزيد المبرد.

وقيل: مُرْوَةٌ تانٍ ظاهرتانٍ: الفصاحةُ والرِّياشُ^١.

موصوفٌ لسانه بالصرامة

قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما بقي من لسانِكَ؟ فضرب به أرنبته، وقال: والله لو وضعتُه على شَعْرٍ لَحَلَّقَهُ أو على صَخْرٍ لَفَلَّقَهُ قال اللهُ تعالى: (سَلِّطُوا لِسَانَ جِدَادٍ)^٢.

ووصف أعرابيُّ رجلاً فقال: أدقُّ مِنْ وَرَقَةٍ وَأليُّ مِنْ سَرَقَةٍ^٣.

قال الغسائيُّ:

لَهُ بَيْنَ فَكِّهِ لِسَانٌ كَأَنَّهُ حُسَامٌ رَقِيقٌ الشَّفَرَتَيْنِ عَتِيقٌ

وقال آخرٌ^٤:

^١ الرِّياش: المال. انظر: البيان والتبيين، وعيون الأخبار، ونثر الدر، والامتناع والمؤانسة.

^٢ لم أجد إلا في كتب الأدب. انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي، والفائق في غريب الحديث للزمخشري، والبيان والتبيين للجاحظ.

^٣ السرقة: القطعة من السرقة وهو الحرير. عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (أرئتك في المنام مرتين أريت أنك في سرقة من حرير) البخاري ومسلم. انظر: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي.

^٤ في النسخة المحققة: دقيق، بالدال.

^٥ هو حرير. في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:

ألا حيٌّ رهى ثم حيٌّ المطاليا ... فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا

وَلَيْسَ لِسِنِّي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَسَيْفُ أَشْوَى وَقَعَةٌ مِنْ لِسَانِيَا
وقال آخر^١:

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ الْكَ
مَصْفُوقٌ خِلَتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ
وصف كلام بالسلاسة

قيل: لو كان الكلام طعاماً لكان هذا إداماً.

هذا كلامٌ يقطرُ عسلُهُ^٢.

والله نثرُ نَعَمٍ أَحْسَنُ مِنْ نثرِ نَعَمٍ^٣.

كلامٌ كالْوَيْلِ فِي الْمَحَلِّ^٤.

^١ هو البحترى، يصف قلم الحسن بن وهب، في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها:

مَنْ سَائِلٌ لِمُعَدِّرٍ عَنِ خَطْبِهِ أَوْ صَافِحٌ لِمُقَصِّرٍ عَنِ ذَنْبِهِ

^٢ قال الثعالبي في الشكوى والعتاب: وقال علي بن عبيدة: "العقل ملك والخصال رعيتيه، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها". فسمعه أعرابي فقال: "هذا كلام يقطر عسله".

^٣ هكذا، وفيه اضطراب لم أتوصل إلى تصويبه.

^٤ الوَيْلُ: المطر الشديد، الصَّخْمُ القَطْرُ. والخلل: المكان الجذب، الذي انقطع عنه المطر فبيست أرضه.

وتكلم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه: كيف كان الكلام في هذه المسألة؟ قال: كان والله كغيث وقع على أرض عطشة. فقال: جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف.

وقال المتنبي^١:

إِذَا مَا صَافَحَ الْأَسْمَاعَ يَوْمًا تَبَسَّمَتِ الضَّمَائِرُ وَالْقُلُوبُ

قال ابن المقفع: ما زالت ينابيع حكمه تترقرق في مغابن^٢ الآذان حتى ملأت القلوب عقولاً^٣.

اللفظ الحسن إحدى النقائات في العقد^٤.

وقيل في وصف كلام: إنه يحط الجندل ويثقب الخردل^٥.

^١ وقد نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد للسري الرفاء، يصف شعراً، وقول السري هَذَا مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا أَبَا الْقَوَارِسِ سَلَامَةَ بْنَ فَهْدٍ أَوْلَهَا: (يُرِيكَ قَوَامَهَا الْعَضُّ الرَّطِيبُ ... وَحَظُّ جُفُوقِهَا الرَّشُّ الرَّيْبُ) اهـ.

^٢ في النسخة المحققة: معابر، والمغابن جمع مغبن، ومغابن الآذان: بواطنها ودواخلها. والتغيير من الهامش التالي.

^٣ نقله الوطواط في غرر الخصائص الواضحة على النحو الآتي: ووصف ابن المقفع بليغاً فقال: ما زالت ينابيع حكمه تترقرق في مغابن الآذان حتى أعشبت بها القلوب عقولاً.

^٤ انظر: التذكرة الحمودنية لابن حمدون.

^٥ الجندل: الحجارة. والخردل: نبات له حب صغير جداً، ويحبه يضرب المثل في الصغر.

وإنه لدونَ السَّحْرِ وفوقَ الشَّعْر^١.

لفظ ساعد المعنى في الجودة

مدَحَ أعرابيُّ رجلاً فقال: كأنَّ ألفاظه قوالبُ لمعانيه^٢.

قال الشاعر^٣:

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظُهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي

وقيل^٤: خيرُ الكلامِ ما كان لفظه بَكرًا ومعناه فَحلاً^٥.

وقال شاعر^٦:

^١ نقله الماوردي في أدب الدنيا والدين على النحو الآتي: وَقِيلَ لِلْبَدْوِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ؟ فَقَالَ: مَا دُونَ السَّحْرِ وَفَوْقَ الشَّعْرِ، يُفْتُ الْحُرْدَلُ وَيَحْتُ الْجُنْدَلُ.

^٢ أي لا يزيد بعضها على بعض. انظر: الصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري، أبي هلال.

^٣ انظر: البلدانيات لشمس الدين السخاوي، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

^٤ سماه مجير الدين العليمي في التاريخ المعتبر في أنباء من غير فقال: عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولى بني عامر: الكاتبُ البليغ المشهور، وبه يضرب المثل في البلاغة، وهو من أهل الشام، وكان أولاً معلماً صبيةً ينتقل في البلدان، وهو أول من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات في فصول الكتب. وكان كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي آخر ملوك بني أمية. ومن كلامه: خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بَكرًا.

^٥ البَكرُ: الفتى من الإبل، والفَحْلُ: الدَّكْرُ القويُّ من الإبل كذلك.

^٦ سماه محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد فقال: سَهْلُ بن هَارُونَ:

تَرَى حُلَلَ الْبَيَانِ مُنْشَرَاتٍ تَبَخْتَرُ^١ وَسَطَهَا صُورُ الْمَعَانِي

مدح كلام وسط

خير الكلام ما لا يكون عامياً سوقياً ولا غريباً^٢ وحشياً.

وقيل: الإيغال في البلاغة معجزة، والخروج عن كلام أهل الزمان هجنة^٣.

قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَيَمْتَثُوكَ، وَلَا بِكَلَامِ مَنْ هُوَ دُونَكَ فَيَزِدُّوكَ^٤.

إِذَا مَا الْفِكْرُ حَرَكَ حُسْنَ لَفْظٍ ... وَأَسْلَمَهُ الْوُجُودُ إِلَى الْعِيَانِ

وَوَشَّاهُ وَمَنْمَهُ بَنَانٌ ... فَصِيحٌ فِي الْمَعَالِ بِلَا لِسَانِ

تَرَى حُلَلَ الْبَيَانِ مُنْشَرَاتٍ ... تَبَخْتَرُ وَسَطَهَا صُورُ الْمَعَانِي

^١ في النسخة المحققة: تخير، وهو خطأ، والتصويب من الهامش السابق.

^٢ في النسخة المحققة: عربياً، وهو خطأ واضح، والتصويب من البيان والتبيين للجاحظ. والغريب الوحشي: كلامٌ به عجمة، ولا بلاغة فيه.

^٣ هجنة الكلام: فُبحه، وعيَّبه.

^٤ انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي.

مفاضلة الرويَّة^١ والبدية

قال معاوية لعمر بن العاص: أنا آدب^٢ منك، فقال: أنت للرويَّة وأنا للبدية
وبينهما بؤن^٣.

وقال ابن الرومي:

نَارُ الرُّويَّةِ نَارٌ غَيْرُ مُنْصِحَةٍ وَلِلْبَدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفْضَلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ

^١ في النسخة المحققة: الرواية، بزيادة ألف، وهو خطأ واضح، والرويَّة: النظر والتفكير في الأمور، وهي عكس البديهة.

^٢ يعني أعلم منك.

^٣ البؤن، والبؤن: مسافة ما بين الشيئين. والرواية كما حكاها ابن عساكر في تاريخ دمشق: ويُروى أن عمراً ومعاوية اجتمعوا، فقال معاوية له: من الناس؟ قال: أنا، وأنت، والمغيرة بن شعبة، وزيد، قال: وكيف ذلك؟ قال: أما أنت فإللتائي، وأما أنا فللبديهة، وأما مغيرة فلمعضلات، وأما زيد فللصغير والكبير، قال: أما دانك فقد غابا، فهاتِ أنتِ بديهتك، قال: وتريد ذلك؟ قال: نعم، قال: فأخرج من عندك، فأخرجهم، فقال: يا أمير المؤمنين أسأرك، قال: فأدنى منه رأسه، فقال: هذا من ذلك، من معنا في البيت حتى أسأرك!

فضل البديهة وما يحاضر به

قيل: خَيْرُ الْفِقْهِ مَا حَاضَرَ بِهِ^١.

وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي، وَلَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي^٢.

وقال الحطّيب^٣:

فَهَذَا بَدِيَّةٌ لَا كِتْحَابِيَّةٌ قَائِلٌ إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوَّرَهُ شَهْرًا

^١ في النسخة المحققة: حضرت، بإسقاط الألف، وهو خطأ واضح. قال الميداني في مجمع الأمثال: خَيْرُ الْفِقْهِ مَا حَاضَرَ بِهِ. أي أنفع علمك ما حضرَكَ في وقت الحاجة إليه.

^٢ قال البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى: رُوِيَ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ عِيسَى ابْنَ مَرْثَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: «لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي، وَلَا يَعْمُرُ بِكَ النَّادِي»

^٣ وقد نسبه الجاحظ لبشار بن برد، كما في البيان والتبيين. انظر القصة في الهامش الآتي.

^٤ في النسخة المحققة: دوره، بدل زوره، والتصويب من الجاحظ في البيان والتبيين. ومعنى زوره: أصلحه وقومته وأتقنه، وحسنه وزينه، وزخرفته وموهبه، وهيأه وأعدّه. ولهذا قصة حكاها الجاحظ فقال: وكان بشار كثير المدح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشار بالرجعة، ويكفر جميع الأمة. وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان، وشبيب ابن شيبة، والفضل بن عيسى، يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق:

أبا حذيفة قد أوتيت معجبة ... في خطبة بدهت من غير تقدير

وإن قولاً يروق الخالدين معا ... لمسكتٌ محرسٌ عن كل تحبير

لأنه كان (المقصود واصل) مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الراء، كانت مع ذلك أطول من خطبهم.

وقال بشار:

وقال المتنبي^١:

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبُّ عِندَ التَّعَمُّقِ الرَّئِلُ

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الرء لم يشعر بها أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب

وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة:

فهذا بديه لا كتعبير قائل ... إذا ما أراد القول زوره شهرا

فلما انقلب عليهم بشار هجوه ونفوه، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد.

^١ في الديوان من قصيدته التي مطلعها: أَبْعَدُ نَأْيِ المَلِيحَةِ البَحْلُ فِي البُعْدِ ما لا تُكَلِّفُ الإِبْلُ

يقول فيها:

إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ ... لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الحَيْلُ

فِي سَعَةِ الحَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ ... وَفِي بِلَادٍ عَن أُخْتَيْهَا بَدَلُ

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ ... الطَّبُّ عِندَ التَّعَمُّقِ الرَّئِلُ

مَا أَبْعَدَ المَكْرُمَاتِ مِنْ رَجُلٍ ... عَلَى سُؤَالِ الرَّجَالِ يَتَكَلَّمُ

النهي عن التشادق والتقُّر وذمُّهما

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الثَّرَاوُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ^١.

وقال: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكَ وَالتَّشَادِقَ^٢.

وقال بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ^٣: إِيَّاكَ وَالتَّقَرُّءَ؛ فَإِنَّهُ يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ، فَيَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ مَرَامِيكَ^٤.

^١ رواه الترمذي وصححه الألباني، ونصه: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ وَالتَّمْتَفِيهِقُونَ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاوِينَ وَالتَّمْتَشَدِّقِينَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ.

^٢ لم أحده إلا عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، بلا خطام ولا لجام، ومن عند الجاحظ انتشر في كثير من كتب الأدب.

^٣ هو أبو سهل الهلالي، مؤسس فرع الاعتزال في بغداد، تنسب إليه فرقة البشرية. اتصل بالفضل بن يحيى البرمكي، وكان مقرباً إليه، وأزهر في أيام هارون الرشيد. توفي ٢١٠ هـ.

^٤ في كتب الأدب: إياك والتوعر، ومعناها واحد.

^٥ انظر: عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، وغير الخصائص الواضحة للوطواط، والآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين ابن مفلح، والإيضاح في علوم البلاغة للقرظيني، جلال الدين.

وقال: تشقيقُ البيانِ من شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ^١.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ: الْبَدَاءُ وَالْبَيَانُ، وَشُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ: الْحَيَاءُ وَالْعِيَّةُ^٢.

وهذا إنما هو لمن جاوز المقدارَ أو قصر عنه.

وكفأك ما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ اللَّهُ يُبْعِضُ الْبَلِيعَ مِنَ الرِّجَالِ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ، تَخَلَّلَ الْبَقْرَةَ بِلِسَانِهَا^٣.
وَأَنْشَدَ الْعَجَّاجُ^٤:

١ الشقاشق: جمع "شقسقة، وهي شيء كالرئة يخرجها الجمل من فيه إذا هاج وهدر. قال ابن الأثير: شبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر، ولسانه بشقسقته، ونسبها إلى الشيطان لما يدخل فيه من الكذب والباطل وكونه لا يبالي بما قال. قال الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري: (صحيح الإسناد) عن أنس قال: خَطَبَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ، فَأَكْثَرَ الْكَلَامَ، فَقَالَ عُمَرُ: "إِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ فِي الْخُطْبِ مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ".

٢ قال الألباني في السلسلة الضعيفة: ٦٨٨٤ - (إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعِيَّةَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُمَا يُفَرِّقَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدَانِ مِنَ النَّارِ، وَالْفُحْشُ وَالْبِدَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهُمَا يُفَرِّقَانِ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدَانِ مِنَ الْجَنَّةِ): موضوع. أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٨/ ٤١١ / ١ / ٧٤٨١) من طريق محمد بن محسن العكاشي.

٣ أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، عن عبدالله بن عمرو، وصحح الألباني إسناده.

٤ العجاج بن روبة: راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان بعيداً عن الهجاء. قال المرزباني في الموشح في

أَمَسَى الْغَوَائِي مُعْرِضَاتٍ صُدِّدَا وَقَدْ أَرَانِي لِلْغَوَائِي مَصِيدَا
 وَأَعْرَابِي حَاضِرٌ فَقَالَ: تَنَحَّ عَنْ صُدِّدِهِ^١، وَإِلَّا تَسْقُطُ مِنْهُ كَلِمَةٌ فَتَشْدَخُكَ^٢.
 وَمَا أَجُودَ مَا قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ^٣:
 إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ يَفْهَمُ الْكَلَامَ كَلَامٌ
 ذُمْ عِيٍّ مَتَقَعَّرٍ
 قِيلَ: أَعْيَا الْعِيِّ بِلَاغَةٌ بَعِيٍّ^٥.

مأخذ العلماء على الشعراء: قال أبو عمرو بن العلاء: وفدت إلى الوليد بن عبد الملك فبينما أنا قاعد عنده دخل عليه العجاج فأنشده:

أَمَسَى الْغَوَائِي مُعْرِضَاتٍ صُدِّدَا ... وَقَدْ أَرَانِي لِلْغَوَائِي مَصِيدَا

^١ في النسخة المحققة: سننه بدل صدده، والتصويب من المصدر التالي.

^٢ علق ابن حمدون في التذكرة الحمدونية على هذا موضعاً قول الأعرابي: كَتَى عَنْ خَشُونَةِ كَلَامِ الْعَجَّاجِ وَغَلْظِهِ بِقَوْلِهِ "تَنَحَّ عَنْ صُدِّدِهِ لَا تَسْقُطُ مِنْهُ كَلِمَةٌ فَتَشْدَخُكَ".

^٣ أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني أبو الفضل: مؤرخ، من الكتاب البلغاء الرواة، أصله من مرو الروذ، ومولده ووفاته ببغداد، كان مؤدب أطفال. وله شعر قليل أورد ياقوت نبذاً لطيفة منه.

^٤ عقب محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد على هذا البيت فقال: هَذَا نَظْمٌ قَوْلِ بَعْضِهِمْ وَقَدْ قِيلَ لَهُ: مَا أَحْسَنُ الْكَلَامِ؟ فَقَالَ: مَا لَا يُجْتَنَجُ مَعَهُ إِلَى الْكَلَامِ.

^٥ قال ابن قتيبة في عيون الأخبار: ويقال: أَعْيَا الْعِيِّ بِلَاغَةٌ بَعِيٍّ، وَأَفْبَحُ اللَّحْنِ لِحْنُ بِأَعْرَابِ.

وقال محمد بن وهيب^١:

تَشَبَّهتِ بِالْأَعْرَابِ أَهْلَ التَّعْجُزِ فَدَلَّ عَلَى مَثْوَاكَ قُبْحُ التَّكْلِيفِ
لِسَانُ عِرَاقِيٍّ^٢ إِذَا مَا صَرَفْتَهُ إِلَى لُغَةِ الْأَعْرَابِ^٣ لَمْ يَتَصَرَّفِ^٤
وقال أبو الأسود لابن صديق له: ما فعلتِ امرأةُ فلانٍ التي كانت تُشارُهُ^٥
وتُضَارُهُ وتُمارُهُ؟^٦ فقال: طَلَّقَهَا فتزوج بها فلانٌ فَحَظِيَتْ^٧ وَبُطِيَتْ. فقال أبو

^١ محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر: شاعر مطبوع مكثراً، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة، عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح، ويتشيع، وله مرات في أهل البيت، وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان، واختص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم، وكن تياهاً شديد الزهراء بنفسه، عاصر دعبلاً الخزاعي وأبا تمام.

^٢ في النسخة المحققة: عراقي: وهو خطأ واضح.

^٣ في النسخة المحققة: الإعراب، بالهمزة التحتانية، وهو خطأ واضح.

^٤ وعلق ابن حمدون في التذكرة الحمدونية على البيتين فقال: قالهما محمد بن وهيب الحميري يذكر داخلاً فيما لا يحسنه وليس من شأنه. أما في حماسة الخالدين فقد نسبا البيتين لدعبل في أبي تمام.

^٥ في النسخة المحققة: تساره، بالسين، وهو خطأ واضح، والتصويب من المصادر الآتية.

^٦ تُشارُهُ: تعامله بالشر، وتُضَارُهُ: تضره ولا تنفعه، وتُمارُهُ: تجعل حياته مرة.

^٧ في النسخة المحققة: فخطيت، وهو خطأ واضح، والتصويب من المصادر الآتية. وحظيت: صارت محبوبة ومقربة.

الأسود: ما معنى بَطِيتُ فقال: كلامٌ لم تَدْرِ من أيِّ بَيْضٍ خَرَجَ وفي أيِّ عَشِّ دَرَج. فقال: إن ما لا أعرُفُه فاخْبَأه كما تخبأ الهِرَّة خُرءها^١.

من ارتكب أمراً طلباً للسمع

خرج عبادة^٢ إلى عبادان^٢ فقيل: ما الذي جاء بك؟ فقال: لأجمع بين عبادة وعبادان.

وكان عليُّ بنُ رُستم خرج إلى بغدادَ وأسلمَ، فكتب إلى أهله: كتابي إليكم من مدينة السلام^٣ عن سلامة وإسلام. فقال: أخوه: ما خرج أخي وأسلم إلا طلب أن يكتب هذه المسجعة.

ما حُدَّ به العيُّ وذمُّه

قال أكتُم^٤: العيُّ أن تتكلمَ بفوق ما تقتضيه حاجتُك^٥.

^١ انظر: تاريخ دمشق لابن عساکر، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ومعجم الأدباء لياقوت، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، والبيان والتبيين للجاحظ.

^٢ مدينة قرية من البصرة.

^٣ وهي بغداد.

^٤ ابن صيفي.

^٥ انظر: المحتنى لابن دريد، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وجمهرة الأمثال للعسكري.

وقيل: العيُّ معنى قليلٌ يحويه لفظٌ كثيرٌ^١.

وقيل: العيُّ داءٌ دواؤه الحرس^٢.

وقيل: لا عيٌّ ولا شلٌّ^٣.

وتكلم رجلٌ عند معاويةَ وكان ذا عيٍّ فقال عمرو^٤: سكوتُ الألكنِ نعمة، فقال معاوية: وكلامُ الأحمقِ نعمة^٥.

وقال النمر بن تَوْلِب^٦:

أعذني ربَّ من حصَرٍ وعيٍّ ومن نفسٍ أعالجها عِلاجاً

^١ السابق.

^٢ السابق.

^٣ وفي مجمع الأمثال للميداني: يئُ أبأسُ من شلِّ. أصل هذا المثل أن رجلين خَطَبَا امرأةَ وكان أحدهما عيِّ اللسان كثير المال، والآخر أشلٌّ، لا مال له، فاختارت الأشلَّ، وقالت: عيِّ أبأس من شلِّ، أي شرٌّ وأشدُّ احتمالاً.

^٤ في النسخة المحققة: عمر، بإسقاط الواو، وهو عمرو بن العاص.

^٥ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط، والصدّاقة والصدّيق لأبي حيان التوحّيدي.

^٦ النمر بن تَوْلِبِ بن زُهَيْرِ العُكَلِيِّ: شاعر مخضرم وكان شاعر الرّباب في الجاهلية ومن الفرسان المعدودين وكان أحد أجواد العرب المذكورين. عمّر طويلاً وأدرك الإسلام وأسلم.

الآفات المعترضة للسان من العيِّ

اللُّثْغَةُ تَغْيِيرٌ فِي الْقَافِ وَالسَّيْنِ وَاللَّامِ وَالرَّاءِ، وَالتَّمْتِمَةُ التَّتَعُّعُ فِي التَّاءِ، وَالغَافَاةُ فِي الْفَاءِ، وَاللَّفَّفُ إِدْخَالُ حَرْفٍ فِي حَرْفٍ^١، وَإِيَاةُ عَنِي الشَّاعِرُ^٢ بِقَوْلِهِ:
 كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طَوْلِ تَحْيِيسٍ وَهَمٌّ وَأَرْقُ^٣
 وَالتَّلْجُلُجُ يُقَارَبُ ذَلِكَ، وَالْحُبْسَةُ ثِقَلٌ فِي الْكَلَامِ، وَالْعُقْلَةُ اعْتِقَالُ اللِّسَانِ،
 وَالْحُكْلَةُ نَقْصَانُ آلَةِ النُّطْقِ حَتَّى لَا تُعْرَفَ مَعَانِيهِ إِلَّا بِالِاسْتِدْلَالِ، وَأَصْلُهُ فِي
 الْفَحْلِ إِذَا عَجَزَ عَنِ الصَّرَابِ^٤.

^١ قال المعافري في كتاب الأفعال: ولفَّ الإنسان لفظاً: اضطرب كلامه. وأنشد أبو عثمان لأبي الزَّحْفِ:

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا إِذَا نَطَقَ ... مِنْ طَوْلِ تَحْيِيسٍ وَهَمٌّ وَأَرْقُ

^٢ هو أبو الزحف الراجز: ابن عطاء بن الخطفي، ابن عمِّ جرير الشاعر. وعُمِّر أبو الزحف حتَّى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. وهو القائل:

إِلَيْكَ أَشْكُو وَجَعًا بِرُكْبَتِي ... وَهَدَجَانًا لَمْ يَكُنْ مِنْ مَشِيَّتِي

كهدجان الرأل خلف الهيقتِ

^٣ وعلق الجاحظ على هذا البيت فقال: كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه، وطال عليه ذلك، أصابه لفف في لسانه. اهـ. انظر البيان والتبيين.

^٤ انظر: البيان والتبيين للجاحظ، والصحاح في اللغة والعلوم للجوهري.

وقيل: لا يصفو كلامٌ من يكونُ منزوعَ الشَّيْتَيْنِ^١.

ما يعرض في بعض اللغات من العيِّ

كشكشكةٌ تميم، وهو قلبُ كافِ المؤنثِ شيئاً نحو: فعيناش عيناها وجيدش جيدها^٢، وكسكسة بكر وهي قلبها سيناً، وعنعنة تميم كقوله: ظننتُ عنك ذاهبٌ. والعجرفة جفاءٌ في الكلام، واللخلخانية تعرضُ في أعراب الشَّحْر^٣ وعُمان، والطُّمطمانية لغةٌ في حمير كقولهم: طاب امهواء، أي طاب الهواء.

استعمال كلِّ كلام مع الجنس المخصوص به

قيل: الكلامُ بذلةٌ ومدخرٌ، فمن تكلم وقتَ البذلةِ بالمدخر أتعب نفسه، ومن تكلم وقتَ المدخرِ بالبذلةِ هَجَرَ نفسه.

^١ الشَّيْتِيَّة: إحدى الأسنان الأربع التي مقدَّم الفم، ثنتان من فوق وثنان من تحت.

^٢ وهذا شطر بيت للمجنون: فعيناش عيناها وجيدش جيدها ... ولكن عظم السَّاقِ منشٍ دقيق

^٣ في النسخة المحققة: الشجر، بالجيم، وهو خطأ، والشَّحْر والشَّحْرُ: ساحلُ البحرِ بين عُمانَ وعَدَنَ.

^٤ البذلة: المبدول، وهو ضد المدخر.

من خاطب عامياً بتفصيح وتذلق

اشترى رجلٌ من أصحابِ يعقوبِ الكنديِّ^١ جاريةً فاغتاظت عليه، فشكاها إلى يعقوب، فقال: جئني بها لأعظها. فجاء بها إليه فقال: يا لعوبةُ ما هذه الاختياراتُ الدالاتُ على الجهالات؟ أما علمتِ أن فرطَ الاعتياصاتِ على طالبي المودّاتِ، الباذلينِ الكرائمِ المصوناتِ مِنَ الموبقاتِ المؤذوناتِ بعدمِ المعقولاتِ؟ فقالتِ الجاريةُ: أما علمتِ أن هذه العُثنوناتِ المنشراتِ على صدور أهلِ الركاقاتِ، محتاجاتٌ إلى المواسي الحالقاتِ؟ فقال يعقوب: لله درُّها فلقد قسّمتِ الكلامَ تقسيماً فلسفياً، فاشددْ يدَيْكَ بها. فلم يستوحشْ من سفاهتها لَمَّا أوردتِ الكلامَ مُسجَّعاً موزوناً.

وقال نحويٌّ لصاحبِ بَطِيخٍ: بكم تانِكُ البَطِيخَتانِ اللتانِ بجنيهما السفرجلتانِ، ودوهُما الرُّمانتانِ؟ فقال: بضربتانِ وصفعتانِ ولكمتانِ، فبأيِّ آلاءِ رِيكَمَا تُكذِّبانِ^٢.

^١ يَعْقُوبُ بنُ إِسْحَاقَ الكِنْدِيِّ (١٨٥ - ٢٥٦ هـ) علامة عربي مسلم، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يعرف بعلم الكلام. ويعد الكندي أول الفلاسفة المشائين المسلمين.

^٢ انظر: أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي.

وصار أبو علقمة^١ إلى كَوَازٍ فقال: أَعْنَدَكَ جِرَّةٌ لَا فُقْدَاءُ وَلَا دَنَاءُ وَلَا مَغْرِبَلَةٌ الْجَوَانِبِ، خَضِرَةٌ نَضِرَةٌ قَدْ مَسَّتْهَا النَّارُ، إِنْ نَفَرْتَ عَلَيْهَا طَنَّتْ، وَإِنْ أَصَابَتْهَا رِيحٌ غَنَّتْ، وَلَكِنْ بَدْرَهُمْ؟ فقال الكَوَازُ: دَعْنِي مِنْ شَتْمِكَ يَا مَاصَّ بَطْرٍ أُمَّه^٢.

الأحوال الدالة على العيِّ

من العيِّ البُهْرَةُ، وفَتْلُ الأصابع، ومَسُّ اللِّحْيَةِ، ولذلك قال الشاعر^٣:

مَلِيٌّ^٤ بَبْهَرٍ^٥ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثُنُونٍ وَفَتْلِ الْأَصَابِعِ

^١ أبو علقمة النحوي النيميري: كان من أهل واسط، مغرمًا بالتقعر في الكلام، وله طرائف كثيرة في هذا، منها أن غلاماً انقطع إلى أبي علقمة يخدمه فأراد أبو علقمة البكور في حاجة، وكان غلامه قد ضاق من كلامه، فقال: يا غلام أصعقت العتاريف؟! فقال الغلام له: زقفيلم، قال أبو علقمة: وما زقفيلم لم أسمع بها من قبل، قال: وما صعقت العتاريف؟ قال: إنما قصدت هل صاحت الديكة؟ قال: وأنا قصدت أنها لم تصخ.

^٢ السابق.

^٣ انظر: البيان والتبيين للجاحظ.

^٤ وورد في بعض الروايات: مليٌّ.

^٥ البُهْرُ: تتابع النَّفْسِ مِنَ الإِعْيَاءِ

وقال ابن المقفع: من علامة العبي النكت^١ في الأرض، والإطراق من غير فكرة^٢.

المحتبس في كلامه

قال الشاعر^٣:

كَأَنَّ فِي فِيهِ لُقْمَةً عَقَلْتُ لِسَانَهُ فَالْتَوَى عَلَى جَنْفٍ؛
مُحْرَكٌ رَأْسُهُ تَوَهَّمَهُ قَدْ قَامَ مِنْ عَطَسَةٍ عَلَى

وقال آخر^٤:

كَأَنَّ فِيهِ لَفْأً إِذَا نَطَقَ مِنْ طَوْلِ تَحْبِيسٍ وَهَمٌّ وَأَرْقُ

^١ في النسخة المحققة: النكت، بالثاء، وهو خطأ. والنكت، من نكت الأرض: خططها بعودٍ أو نحوه مفكراً. ومنه الحديث النبوي الشريف: وفي يده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرض.

^٢ انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

^٣ هو البحترى، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها:

مَرَّتْ عَلَى عَزْمِهَا وَلَمْ تَقِفِ مُبْدِيَةً لِلشَّنَانِ وَالشَّنَفِ

^٤ في النسخة المحققة: حنق، وهو خطأ؛ لأن قصيدة البحترى فائية. والجنف: الاعوجاج والميلان.

^٥ في النسخة المحققة: شرق، وهو خطأ، والشرف: الموضع العالي يُشرف على ما حوله.

^٦ سبق ذكره.

وقال آخر^١:

دِيَافِيَّةٌ قُلْفٌ^٢ كَانَ خَطِيْبُهُمْ سِرَاءَ الضُّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^٣

ويقال: هو عيائء طباقاء^٤.

^١ هو حُرَيْثُ بن عَتَّاب يهجو بني نُعْلٍ، فوصفهم بأنهم بسبب عيِّهم وقلة بياضهم إذا تكلموا كانوا مثل هَيْمَةَ تجتر، وأنهم أنباط غير عرب، وغير مختونين مثل العجم وأن خطيبهم الَّذِي يزعمونه فصيحاً إذا تكلم عنهم يَوْمَ فخرهم تلجلج في كلامه لقلته بيانه كأنه يتمطق في سلحه في الضُّحَى لأنهم كسالى لا يقومون من فرشهم إلا في ذلك الوقت. انظر: شرح الحماسة للثبريزي، والدر الفريد لمحمد بن أيدمر، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي.

^٢ دِيَافِيَّةٌ: منسوبة إلى ديافة بالشام، وفيها نبط غير عرب. قُلْفٌ: جمع أqlف، وهو غير المختون.

^٣ سَلْحِهِ: السلاح العذرة (الخرء) يَتَمَطَّقُ: يتلذذ ويتلمظ بشفتيه.

^٤ قال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث عند شرحه لحديث أم زرع: وأما قول السَّادِسَةِ: رُوجِي عَيَائِيءَ طَبَاقَاءَ، العيائء من الإبل الَّذِي لَا يَضْرِبُ وَلَا يُلْقَحُ، وَكَذَلِكَ هُوَ مِنَ الرَّجَالِ، قَالَ أَبُو نصر: يُقَالُ: بعير عيائء إذا لم يحسن أن يضرب النَّاقَةَ، وعيائء في النَّاسِ الَّذِي لَا يَتَّجِهَ لشيءٍ وَلَا يَتَصَرَّفُ فِي الْأُمُورِ. والطباقاء: العبي الأحمق القدم. اهـ.

اعتذار محتبس في كلامه

قال بعضهم: نحن حيُّ فعَالٍ ولسنا بحَيِّ مَقَالٍ. ونحن بأدنى فعَالِنَا عند أحسنٍ مقالِهِم^١.

وقال بعضُ وفدِ خُرَاسَانَ: إنا ببلادٍ نأتُ عن العرب، شغلَّتْنا الحربُ عن الحُطْبِ.

واعتذر رجلٌ لِحُبْسَةِ فقال: يعزبُ البيانُ ويعتقِمُ الصوابُ وإنما اللسانُ مضغَةٌ من الإنسانِ يفتُرُّ بفتوره إذا نكَل، ويثوبُ بانبساطِهِ إذا ارتجَل^٢.
وقيل لأعرابيٍّ: أين فصاحتُك؟ فقال: لحقتُ بمواطنِها بنجد.

^١ قال المبرد في الكامل: قال أبو العباس: حدثت أن صبرة بن شيمان الحدادي دخل على معاوية، والوفود عنده، فتكلموا فأكثرُوا، فقام صبرة فقال: يا أمير المؤمنين، إنا حيُّ فعَالٍ، ولسنا بحَيِّ مقالٍ، ونحن بأدنى فعَالِنَا عند أحسنٍ مقالِهِم. فقال: صدقت. وعبارة النسخة المحققة كان بها قلب في العبارة الأخيرة، وقد صوبتها على نص المبرد، ونثر الدر في المحاضرات للآبي، والبيان والتبيين للجاحظ، وأمالي القالي لأبي علي القالي، والصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري، أبي هلال.

^٢ جاء في الصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري: خطب داود بن علي، فحمد الله جلَّ وعزَّ وأثنى عليه وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم فلما قال: «أما بعد» امتنع عليه الكلام، ثم قال: أمَّا بعد فقد يجد المعسر، ويعسر الموسر، ويفلَّ الحديد، ويقطع الكليل، وإمَّا الكلام بعد الإفحام كالإشراق بعد الإظلام. وقد يعزب البيان، ويعتقم الصواب؛ وإنما اللسان مضغَةٌ من الإنسان. يفتُر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطِهِ إذا ارتجَل.

وقال شاعر^١:

ارْفُقْ بِعَبْدِكَ إِنَّ فِيهِ بِلَادَةً جَبَلِيَّةً وَلَكَ الْعِرَاقُ وَمَاؤُهُ

المقام الذي لا يستنكف فيه من العي والحصر

سئل ابن داود: متى يكون البليغ عيباً؟ فقال: إذا سأل عما يتمناه وشكا
جبهه إلى من يهواه، ثم أنشد^٢:

بليغ إذا يشكو إلى غيرها الهوى وإن هو لاقاها فغير بليغ^٣

وقال بعضهم: موطنان لا آنف من الحصر فيهما، إذا شكوت إلى محبوبي
عشقي، وإذا سألت حاجة لنفسي^٤.

^١ نسبه محمد بن أيدير في الدر الفريد للصاحب بن عباد.

^٢ والبيت منسوب إلى قيس بن ذريح. انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي، والدر
الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير.

^٣ وبعده: كأنك ظمآن يطالب موددا... فإن نال رياء فهو غير مُسِيغ

^٤ قال محمد بن أيدير في الدر الفريد وبيت القصيد: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ: مَوْطِنَانِ
لَا أَعْتَدِرُ مِنَ الْعَيِّ فِيهِمَا إِذَا كَلَّمْتُ الْأَحْمَقَ السَّفِيهَ وَإِذَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي.

المحسن في كلامه ابتداءً والمسيء انتهاءً

تكلّم ابنُ ثوابة^١ ثم غلط في آخره فقال أبو العيناء^٢: ترفعت حتى خفتك ثم تخفّضت حتى عفتك^٣.

وتكلّم رجلٌ فأحسنَ ثم أعاد فأساء، فقال له أعرابيٌّ: إنك تسترجع محاسنك.

وصف كلام غير مفهوم

قال الله تعالى - حكايةً عن فرعون - (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ).

قال الشاعر^٤:

^١ ابن ثوابة: أحمد بن محمد بن محمد بن ثوابة (ت ٢٧٧ هـ)، ينتمي لأسرة ثوابة الأدبية، التي تولى كثير من أفرادها كتابة الدواوين في القرن الثالث الهجري.

^٢ أبو العيناء الضرير: (١٩١ - ٢٨٣ هـ) محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، أديب فصيح. من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جواباً. اشتهر بنوادره ولطائفه. وكان ذكياً جداً، حسن الشعر، مليح الكتابة والترسل، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم. كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره.

^٣ وقد حكاها الأبي في نثر الدر في المحاضرات بلفظ آخر فقال: وتكلم ابن ثوابة يوماً فتقعر ثم لحن؛ فقال له أبو العيناء: تقعرت حتى خفتك، ثم تكشفت حتى عفتك.

^٤ هو علي بن بسام البغدادي: شاعر هجاء من الكتّاب، عالم بالأدب والأخبار من أهل بغداد نشأ في بيت كتابة وتقلد البريد. وأكثر شعره في هجاء والده وهجاء جماعة من الوزراء.

قَلْتُ لَمَّا بَدَأَ يَجْمَعُ فِي الْقَوَى لِي وَيَهْدِي كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ
أَنْتَ حَقًّا شَبِيهُهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ^١

وقال محمد بن صالح:

يَهْوِي إِلَيَّ بِأَقْوَالٍ يُلَفِّقُهَا فَلَا أَعِي مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ يُسْمِعُنِي
يَلْقَى صَدَائِي صَفِيرَ الطَّيْرِ مِنْ فَمِهِ مَخَاطِبًا وَهُوَ إِنْسَانٌ يَكَلِّمُنِي

المستقبَح إنشاده

قال عبد الله بن معاوية^٢:

يُزِينُ الشُّعْرَ أَفْوَاهًا^٣ إِذَا نَطَقَتْ بِالشُّعْرِ يَوْمًا وَقَدْ يُزِرِّي بِأَفْوَاهِ

وقال أبو خليفة:

كَأَنَّ الشُّعْرَ مِنْ فِيهِ إِذَا تَمَّتْ قَوَافِيهِ كَيْفَ قَدْ خَرَى فِيهِ

^١ وقبلهما: لحية كتّاة أضرب بها التنف ووجه مشوّه ملعون

^٢ وسماه الختلي في الديباج أحمد بن يوسف فقال: أَنشَدَنِي أَبُو جَعْفَرٍ بِنُ أَبِي رَجَاءٍ لِأَحْمَدَ بْنَ يَوْسُفَ:

يُزِينُ الشُّعْرَ أَفْوَاهًا إِذَا نَطَقَتْ ... بِالشُّعْرِ يَوْمًا وَقَدْ يُزِرِّي بِأَفْوَاهِ

قَدْ يُزِرُّ الْمَرْءَ لَا مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ ... وَبُصْرَفُ الرِّزْقِ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الدَّاهِي

مَا مَسَّنِي مِنْ غَيِّ يَوْمًا وَلَا عَدِمَ ... إِلَّا وَقَوْلِي عَلَيْهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

^٣ في النسخة المحققة: الشعْر أفواه، وهو خطأ، والتصويب من المصدر السابق.

ذُمُّ من يطول سكوته عِيًّا

قال الشاعر:

يَا صَنَمًا فِي الصَّمْتِ لَا فِي الْحُسْنِ وَيَا صَبِيَّ الْعَقْلِ شَيْخَ السِّنِّ
ووصف رجلًا آخر فقال: يصلحُ لصدورِ المجالسِ، ونظمِ المحافلِ، ما لم يكن
كلامًا.

كلمات لأهل العيِّ

قال الحجاج لأبي الجهير النخاس^١: أتبيع^٢ الدوابَّ المعيبة^٣ من جندِ السلطان؟
فقال: شريكائنا في هوازها وشريكائنا في مدائنها وكما يجيء يكون^٤.

^١ في النسخة المحققة: أبي الجهمة، وهو خطأ، والتصويب من الجاحظ.

^٢ في النسخة المحققة: أتعب، وهو خطأ واضح، والتصويب من الجاحظ.

^٣ في النسخة المحققة: أتعب، وهو خطأ واضح، والتصويب من الجاحظ.

^٤ والحكاية كما رواها الجاحظ في البيان والتبيين: قَالَ الْحَجَّاجُ لِأَبِي الْجَهِّيرِ الْخُرَّاسَانِيِّ النَّخَّاسِ: أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيْبَةَ مِنْ جَنْدِ السُّلْطَانِ؟ فَقَالَ: شَرِيكَائِنَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَائِنَا فِي مَدَائِنِهَا، وَكَمَا يَجِيءُ يَكُونُ. قَالَ الْحَجَّاجُ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ قَدْ اعْتَادَ الْخَطَأَ وَكَلَامَ الْعُلُوجِ بِالْعَرَبِيَّةِ: يَثْمُولُ: شَرِكَاؤُنَا بِالْأَهْوَازِ وَبِالْمَدَائِنِ يَعْثُونَ إِلَيْنَا هَذِهِ الدَّوَابُّ؛ فَنَحْنُ نَبِيعُهَا عَلَيَّ وَجَوْهَهَا.

قال الجاحظُ: طلبتُ بعضَ أصدقائي في داره فلم أجده فقلتُ لجاريتته: إذا حَضَرَ صاحبك فقولِي له: إن الجاحِظَ كان بالباب. قالت: نعم الجاحِظُ بالباب، قلتُ: قولِي الحدَقِيّ^١ قالت: نعم الحَلَقِيّ، فقلتُ: عليكِ بالأوّل^٢.

المتكلم بكلام غير متسق

دقَّ رجلانِ على بابِ نحويٍّ فقيل: مَنْ؟ فقال أحدهما: أنا الذي اشتري عبدُ الله لكم^٣ الآجر. وقال الآخرُ: أنا الَّذِي أَبُو عَمْرٍو الجِصَّاصُ عَقَدَ طاقَ بابِ هَذِهِ الدَّارِ. فقال صاحبُ الدارِ: انصرفا فما أرى لكلاميكما صِلَةً^٤.

^١ وذلك أن الجاحظ كان ثمة نتوء واضح في حدقته فلُقّب بالحدقي، ولكنَّ اللقب الذي التصق به أكثر وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ.

^٢ والحكاية كما رواها ياقوت في معجم الأدباء: قال المرزباني: وروى أصحابنا أن الجاحظ صار إلى منزل بعض إخوانه فاستأذن عليه، فخرج إليه غلام عجمي فقال: من أنت؟ قال الجاحظ: فدخل الغلام إلى صاحب الدار فقال: الجاحد على الباب، وسمعتها الجاحظ، فقال صاحب الدار للغلام اخرج فانظر من الرجل، فخرج يستخبر عن اسمه فقال: أنا الحدقي، فدخل الغلام فقال: الحلقي، وسمعتها الجاحظ فصاح به في الباب: «ردنا إلى الأول»، يريد أن قوله الجاحد مكان الجاحظ أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر إليه.

^٣ في النسخة المحققة: كلم، وهو خطأ واضح.

^٤ انظر: نثر الدر في المحاضرات للأبي.

وقال رَقِبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ^١: ما أعجزني شيءٌ كما أعجزني رجلٌ قام إليَّ يوماً وقد دخلتُ المسجدَ، فقال: إني رأيتُك فشبّهتُك بي فأعجبني ذلك لك. وأنا فيه متفكّرٌ بعدُ ولا أدري ما معنى كلامه.

مَنْ جَارَى غَيْرَهُ فَلَحَنَ فَأَجَابَهُ بِمَقْتَضَى كَلَامِهِ

قال رجلٌ لأعرابيٍّ: كيف أهلك؟ قال صلباً، أراد كيف أهلك؟^٢

وقال الوليدُ^٣ لرجلٍ: مَنْ خَتَنَكَ؟ قال: الحَجَّامُ. فضحك القومُ وخجلَ الوليدُ، وإنما أراد أن يقولَ: مَنْ خَتَنَكَ؟^٤

^١ رَقِبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ الْعَبْدِيُّ، الكوفي، كان من جملة الثقات، وفيه دعابة. توفي سنة تسع وعشرين ومائة.

^٢ والحكاية كما جاءت عند ابن قتيبة وغيره: قال رجلٌ لأعرابيٍّ: كيف أهلك بكسر اللام؟ يريد كيف أهلك، فقال الأعرابيُّ: صلباً؛ ظنَّ أنه سأله عن هلكته كيف تكون. انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، ونثر الدر في المحاضرات للآبي، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، والصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري، أبي هلال.

^٣ الوليد بن عبد الملك.

^٤ والحكاية كما رواها الجاحظ في المحاسن والأضداد: وكان الوليد بن عبد الملك حُتَنَةً فدخل عليه أعرابي يوماً فقال: «أنصفني من ختني يا أمير المؤمنين»، فقال: «ومن ختنك؟» قال: «رجلٌ من الحي لا أعرفُ اسمه»، فقال عمر بن عبد العزيز: «إن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك؟ فقال: «هو ذا بالباب». فقال الوليد لعمر: «ما هذا؟» قال: «النحو الذي كنت أخبرْتُك عنه»، قال: «لا جرم فإني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه».

ومرَّ رجلٌ بدارٍ ميتٍ فقال مَنْ المتوفَّى؟ فقال له رجلٌ: اللهُ، فقال له: يا كافرُ اللهُ يموتُ! فقال: لعلَّكَ تريدُ: المتوفَّى^١.

من سئل عن نحو فأجاب بمقتضى اللغة

قيل لرجلٍ: هل ينصرفُ إسماعيلُ؟ قال: نعمُ إذا صَلَّى العِشاءَ فما قعودُه؟^٢
وتعرَّضَ بعضهم للطائي^٣ حينَ أنشدَ:

وهنَّ عَوادي يوسُفٍ وَصَواحِبُهُ فَعَزَمًا فَعِدَمًا أَدْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ
فقال: إن يوسُفَ لا ينصرفُ، فقال: اصفَّعه حتى ينصرفَ.

^١ والحكاية كما رواها شمس الدين السخاوي في الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التورخ: حُكِيَ أَنَّ
أبَا الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيَّ كَانَ مَعَ جَنَازَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَنْ الْمُتَوَفَّى؟ بِكَسْرِ الْفَاءِ، فَقَالَ: اللهُ. وَأَنَّهَا
كَانَتْ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْبَاعِثَةِ لِأَمْرِ عَلِيِّ - رضي الله عنه - لَهُ يَوْضَعُ النَّحْوِ.

^٢ انظر: نثر الدر في المحاضرات للأبي.

^٣ هو أبو تمام حبيب بن أوس.

^٤ البيت مطلع قصيدة لأبي تمام، وفي كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحرّي قال الأمدى: ومن
رديء ابتدأت أبي تمام في هذا الباب قوله: هن عوادي يوسف وصواحيبه... فعزماً فعدماً أدرك
النأي طالبه، وإن ما جعله رديئاً قوله: «هن» فابتدأ بالكناية عن النساء، ولم يجزّ لهن ذكرٌ بعد. ثم
قال: «عوادي يوسف»، ومعناها صوارف، وصوارف ههنا لفظة ليست قائمة بنفسها؛ لأنه يحتاج
أن يعلم صوارفه عن ماذا... وتمم البيت بعجز لا يليق بصدرة، وهو أردأ معنى من الصدر، وذلك
قوله: «فعزماً فعدماً أدرك النأي طالبه». فتصير جملة معنى البيت: هن صوارف يوسف فاعزم؛
فقدماً أدرك البعد طالبه. وهذا كلام لا يلائم بعضه بعضاً، ولا يتشابه. اهـ

وقال نحوِّي لأعرابيِّ قال أعجَبني القَصْرُ: بم يُرْفَعُ القَصْرُ؟ فقال: بالآجُرِّ والجَصِّ.

وقيل لأعرابيِّ: أبجُرُّ فلسطينَ؟ فقال إني إذا لقويِّ، فقيل أتهمُّ إسرائيلَ؟ فقال إني إذن لرجلُ سوء^١.

وقيل: أتهمُّ الفأرةَ؟ فقال: الهِرَّةُ تهمُّها^٢.

وحكي أنَّ جماعةً عند محمد بن بحرٍ اختلفوا في بناءِ سراويلٍ، فدخل البرقيُّ فقال: فيم كنتم؟ فقالوا: في بناءِ سراويلٍ فما عندك فيه؟ قال مثلُ ذراعِ البكرِ أو أشدُّ^٣.

^١ انظر: الحيوان، والبيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة. قلت: القائل هو الربيع بن عبد الرحمن السلمي كما صرح به الجاحظ. وقد قرن الربيع بين فلسطين وإسرائيل، ليأتي الصهاينة بعد أكثر من ألف سنة ويغتصبوا فلسطين.

^٢ قال الزبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس: وَمِن اللَّطَائِفِ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَتَهْمُرُ الْفَأْرَةَ؟ فَقَالَ: الْهِرَّةُ تَهْمُرُهَا. وَإِنَّمَا عَنَى بِالْهَمَزِ الْعَضَّ.

^٣ وهو يقصد معنى خبيثاً.

وحُكي أن أبا سعيدٍ السيرافيَّ سأل أبا الحسنِ الموسويَّ^١ وهو صغيرٌ: إذا قلت رأيتُ عُمرًا^٢ فما علامةُ النَّصبِ فيه؟ فقال: بُعْضُهُ لأميرِ المؤمنينَ عليٍّ رضي اللهُ عنه^٣.

^١ محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن العلويّ، نقيب الطالبين ببغداد؛ المعروف بالرضي ذي الحسين.

^٢ في النسخة المحققة: عُمرًا، بالتنوين، وهو خطأ واضح.

^٣ أستغفر الله، ما كان عمرُ ناصباً لعليّ العدا، بل كان محباً له مثلما كان عليّ محباً له وسمي ثلاثة من أولاده أبا بكر وعمر وعثمان استشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين رضي الله عنه في كربلاء. وقد ذكر هذه القصة أبو الفتح بن جتي أن الرضيّ أحضر إلى السّيرافي - وهو طفل صغير جداً لم يبلغ عمره عشر سنين - فلقنه السيرافي النحو. وقعد معه يوماً في الحلقة فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم، فقال له: إذا قلنا: «رأيت عُمرًا» ما علامةُ النَّصبِ في عمر؟ قال له الرضيّ: بغضُ عليٍّ! فعجب السّيرافي والحاضرون من حدّة خاطره. اه. قلت: وأنا أشكك في هذه القصة من أولها إلى آخرها. وما ذلك إلا ليقيني بأن الشريف الرضي مثل جده عليّ في حب عمر رضي الله عنهم أجمعين.

من أنكر لحناً بنادرة

مرَّ رجلٌ بأديبٍ فقال: كيف طريقُ البَغدادِ؟ قال بالحِذاءِ. ثم مرَّ به آخرٌ، فقال له: كيف طريقُ كوفةٍ؟ فقال: من ههنا، وبادِرْ فَمَعَ ذلك المارُّ أَلْفَ وِلاَمٍ تحتاجُ إليهما وهو مستغنٌ عنهما فحَذَهُما منه^١.

وقال رجلٌ لأبي العيناءِ: أتامرُ بشياً؟ فقال: نعم بتقوى الله وحذف الألف من شيئاً^٢.

وكان رجلٌ يسقي صديقاً له صرفاً ويغني له:

يُديروني عن سالمٍ وأديهمُ وجِلْدُهُ "ما" بين الأنفِ والعينِ سالمٌ

فقال: أحبُّ أن تجعل "ما" من البيتِ في القَدَحِ^٣.

من اعتذر عن لحنه بعذر مستملح

قصد رجلٌ الحجاجَ فأنشده:

أبا هشامٍ ببابِكُ قد شَمَّ ريحَ كبابِكُ

^١ انظر: التذكرة الحمدرية لابن حمدون، والكشكول للبهاء العاملي.

^٢ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٣ ينكر عليه زيادة ما في الشطر الثاني وهي ليست فيه. والبيت لعبدالله بن عمر في ابنه سالم.

فقال: وَيُحَاكَ لِمَ نَصَبْتَ أبا هشام؟ فقال الكنيةُ كُنيتي إِنَّ شَعْتُ رَفَعْتُهَا وَإِنَّ شَعْتُ نَصَبْتُهَا^١.

وكتب محمدُ الأمينُ، فيما أظنُّ، على ظهرِ كتابٍ:

عَشَقْتُ ظَبِيًّا رَقِيقًا فِي دَارِ يَحْيَى بْنِ خَاقَا

وكتب تحته: أَرَدْتُ خَاقَانَ وَخَاقَانَ مَوْلَى لِي، إِنَّ شَعْتُ أَثْبَتُ نَوْنَهُ وَإِنَّ شَعْتُ أَسْقَطْتُهُ^٢.

وقال رجلٌ لآخرَ: مَا اشْتَرَيْتَ؟ قَالَ: عَسَلٌ. فَقَالَ: هَلَّا زِدْتَ فِي عَسَلِكَ أَلْفَ، فَقَالَ: وَأَنْتَ هَلَّا زِدْتَ فِي أَلْفِكَ أَلْفًا^٣.

من أنكر لحناً بطبعه

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدِّنًا يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ (بالنصب)، فَقَالَ: الْأَعْرَابِيُّ: فَعَلْ مَاذَا؟ فَهَذَا عَلِمَ بِطَبْعِهِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِخَبْرٍ أَنْ.

^١ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٢ السابق.

^٣ نسبها الوطواط في الغرر للأعمش فقال: وقال رجل للأعمش من أين أقبلت؟ قال من السوق، قال وما اشتريت؟ قال عسل، قال هلا زدت ألف، فقال له الأعمش: وهلا زدت في ألفك ألفاً.

وسمع رجلٌ آخرَ يقرأ: وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ (كَفَرَ بفتح الكاف والفاء) فقال: لا يكون هذا، فقالوا: كُفِر، فقال: أمّا هذا فنعم.

المتأدّي بلحنه

قدم رجلٌ على زيادٍ فقال: إن أبونا مات، وأخينا وثب على مالِ أبانا فضيَّعه. فقال زيادٌ: الذي ضيَّعته من لسانك أضُرُّ عليك مما ضيَّعه أخوك من مالك. ومَرَّ عثمانُ (رضي الله عنه) برُماةٍ يُسيئون الرميَّ، فقال: ما أسوأ رميكم! فقال بعضهم: نحن متعلمين. فقال كلامكم أسوأ من رميكم^١.

ودخل الخليلُ على مريضٍ نحويٍّ وعنده أٌخٌ له فقال للمريض: افتح عينك وحرِّك شفتاك إنَّ أبو محمدٍ جالساً. فقال الخليلُ: أرى أنَّ أكثرَ علَّةِ أخيك من كلامك^٢.

^١ وهي في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري على هذا النحو: مر عمر بن الخطاب بقوم وهم يرمون فقال: ما أسوأ رميكم. قالوا: نحن متعلمين. قال: لفظكم أسوأ من رميكم. فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين يضحى بالضحى؟ قال: وما عليك لو قلت: ظي؟ قال إنها لغة. قال: رفع العتاب، لا يضحى بشيء من الوحش.

^٢ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، وأدب الكتاب للصولي.

وسِعَ الأعمشُ إنساناً يلحن فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم؟^١

المتفادي في كلام الكبار عن كلام فيه إيهام

دخل سعيدُ بنُ مُرّةٍ على معاويةَ فقال له: من أنت؟ فقال: أنت سعيدٌ وأنا ابنُ مُرّةٍ^٢.

وقال السّفاحُ للسّيّدِ الحِميريِّ: أنت السّيّدُ؟ قال: أنا ابنُ أبي وأميرُ المؤمنين هو السّيّدُ^٣.

^١ انظر: غرر الخصاص الواضحة للوطواط، وشرح مقامات الحريري للشريشي.

^٢ والحكاية كما أوردها الجاحظ في التاج في أخلاق الملوك: ومن حق الملك، إذا دخل عليه رجل، وكان اسم ذلك الرجل الداخل أحد صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يكني عنه، ويجيب باسم أبيه؛ كما فعل سعيد بن مرة الكندي، حين أتى معاوية، فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مرة. وكما قال السيد بن أنس الأزدي، وقد سأله المأمون عن اسمه فقال: أنت السيد؟ قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس. وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصنو أبيه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله.

^٣ السابق.

وسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ أَنَا؟
فقال: رسول الله أَعْزُّ وَأَكْبَرُ وَأَنَا أَقْدَمُ مِنْهُ فِي الْمَوْلِدِ^١.

وقال عمرو بن عثمان لطويس: أَيْنَا أَسْنُ؟ قال: لقد شهدت زفاف أمك
المباركة على أبيك الطيب. فلم يجعل الطيب صفةً للأُمَّ تفادياً من سوء ظنِّ
فيه^٢.

وفي ضد ذلك

ما زوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل: أتبيع هذا الثوب؟
فقال: لا عافاك الله. فقال: لقد علّمتكم لو تعلمون، قل: لا، وعافاك الله^٣.

^١ والرواية كما وردت في كتب الحديث: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أنا أكبر منك مولداً وأنت خير مني وأفضل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شيتني هود وأخواتها، وما فعل بالأمم قبلي". قال الألباني في السلسلة الضعيفة: وهذا إسناد ضعيف.

^٢ والحكاية كما أوردها الجاحظ في البيان والتبيين: وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطويس المغني: أَيْنَا أَسْنُ أَمْ أَنَا أَمْ أَنْتَ يَا طُوَيْسُ؟ فقال: «بأبي أنت وأمي، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب». فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام، كيف لم يقل: زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك. وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى. قلت: لأن كلمة الطيبة لها معان منها: المستطابة، فلو قال أمك الطيبة لقال قائل: وكيف عرفت أنها طيبة؟

^٣ والحكاية كما أوردها الجاحظ في البيان والتبيين: ومرّ رجل بأبي بكر ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علّمتكم لو كنتم تعلمون. قل: لا،

وتكلم بعض أهل زماننا عند صاحبِ فسأله عن شيء فقال: لا أطال الله بقاءك، فقال: قل لا، وأطال الله بقاءك، فقال: بعضهم ما رأينا واواً أحسن موقِعاً من واوك^١.

وعافاك الله. وسأل عمر بن الخطاب رجلاً عن شيء فقال: الله أعلم. فقال عمر: لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أدري.
^١ انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

ومما جاء في مفاضلة النطق والسكوت والمقال والسمع

تفضيل النطق على السكوت

قيل لزيد بن عليّ: الصمت خيرٌ من الكلام^١، فقال: لعن الله المساكته فما أفسدها للسانٍ وأجلبها للحصر، والله المماراة أسرع في هدم العي من النار إلى يبيس العرفج^٢.

واختصم رجُلان إلى سعيد بن المسيّب في النطق والصمت فقال: بماذا أُبين لكما ذلك؟ قالاً بالبيان، فقال إذن الفضل له^٣.

^١ عند الجاحظ: الصمت خيرٌ أم الكلام؟ بصيغة الاستفهام.

^٢ والحكاية كما رواها الجاحظ في البيان والتبيين: وقال اليقظري: قيل لعبد الله بن الحسن: ما تقول في المرء؟ قال: ما عسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، فإن أقل ما فيه أن يكون درية للمغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أتاه السائب بن صيفي فقال: أتعرفني يا رسول الله؟ قال: «كيف لا أعرف شريكى الذي كان لا يشاريني ولا يماريني». قال: فتحولت إلى زيد بن علي فقلت له: الصمت خير أم الكلام؟ قال: أحزى الله المساكته، فما أفسدها للبيان، وأجلبها للحصر. والله للمماراة أسرع في هدم العي من النار في يبيس العرفج، ومن السيل في الحدور. وقد عرف زيد أن المماراة مذمومة، ولكنه قال: المماراة على ما فيها أقل ضرراً من المساكته التي تورث البلدة، وتحل العقدة، وتفسد المنة، وتورث عللاً، وتولد أدواءً أيسرها العي. فإلى هذا المعنى ذهب زيد.

^٣ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيّدمر.

وقيل لبعضهم: الصمتُ مفتاحُ السلامة، فقال ولكنه قفلُ الفهم^١.

قال الشاعر^٢:

خُلِقَ اللِّسَانُ لِتُطْقِهَ وَكَلَامِهِ لَا لِلسُّكُوتِ وَذَاكَ حِطُّ الأَخْرَسِ
فَإِذَا جَلَسْتَ فَكُنْ مُجِيبًا سَائِلًا إِنَّ الكَلَامَ يَزِيدُ رَبَّ المَجْلِسِ

الحثُّ على الإكثار من الكلام

قال حكيمٌ: لولا سوءُ العادةِ لأمرتُ فتياي أن يماري بعضهم بعضاً^٣.

وقال العتّابي: أقدّرُ الناسَ على الكلامِ من عوّدَ لسانه الرّكضَ في ميادين
الألفاظِ^٤.

^١ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، واللطائف والظرائف لأبي منصور النعالي.

^٢ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيّدمر، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٣ حكاها الجاحظ في البيان والتبيين فقال: وقال عباية الجعفي: «لولا الدرية وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يماري بعضهم بعضاً».

^٤ قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: قال الرّبيع: قُلْتُ لِلشّافِعِيِّ: مَنْ أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى المُنَاطَرَةِ؟ فَقَالَ: «مَنْ عَوَّدَ لِسَانَهُ الرُّكْضَ فِي مَيَدَانِ الأَلْفَاظِ، وَمَنْ يَتَلَعَّثَم إِذَا رَمَقْتَهُ العُيُونُ بِالأَلْحَاطِ، وَلَا يَكُونُ رِخِيّ البَالِ، فَصِيرَ الهِمَّةِ، فَإِنَّ مَدَارِكَ العِلْمِ صَعْبَةٌ لَا تَنَالُ إِلَّا بِالجِدِّ وَالاِجْتِهَادِ، وَلَا يَسْتَحِقُّرُ خَصْمَهُ لِصَعْرِهِ فَيَسْأَلُهُ فِي نَظَرِهِ، بَلْ يَكُونُ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ فِي الإِسْتِيقَاءِ وَالإِسْتِيقْصَاءِ، لِأَنَّ تَرْكَ التَّحَرُّرِ وَالاِسْتِظْهَارِ يُؤَدِّي إِلَى الضَّعْفِ وَالاِنْقِطَاعِ».

طول الصمت حُبسة وترك الحركة عُقْلة

وقال أبو عطاء^١:

أَقْلَبُهُ كَيْلًا يَكَلَّ بِحُبْسَةٍ وَأَبْعَثُهُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ

تفضيل الصمت

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا صَمَتَ فَسَلِمَ أَوْ قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ^٢. فجعل الصمت أفضل لأن السلامة أصل والغنيمة فرع.

قال الشاعر^٣:

أَقْلَبُ كَلَامَكَ وَاسْتَعِدُّ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ الْبَلَاءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُونٌ

وقال آخر^٤:

^١ قال هذا في اللسان. انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير.

^٢ ونصه: (رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ فَعَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ. وفي رواية: رَحِمَ اللهُ امْرئًا تَكَلَّمَ فَعَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ) حسن الألباني إسناده.

^٣ قيل هو صالح بن جناح. انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر.

^٤ هو أبو نواس. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير وقد أورد الأبيات كاملة:

خَلَّ جَنَّبِيكَ لِرَامٍ ... وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مُتَّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

مُتْ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

تفضيل كل واحد منهما في أوانه والتمدح به

قيل لبعضهم: السُّكُوتُ أَفْضَلُ أَمْ النُّطْقُ؟ فَقَالَ: السُّكُوتُ حَتَّى يُحْتَاجَ إِلَى النُّطْقِ، فَإِذَا احتِيجَ إِلَى النُّطْقِ فَالسُّكُوتُ حَرَامٌ^١.

وقيل ليوئس بن حبيب: السكوتُ أَفْضَلُ أَمْ الْكَلَامُ؟ فقال: السكوتُ عن الحنأ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْخَطَا.

وقيل: الضُّرَاطُ فِي أَوَانِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ زَمَانِهِ.

قال الشاعر^٢:

وَالصَّمْتُ أَزِينُ بِالْفَتَى مِنْ مَنطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ^٣

رَبِّمَا اسْتَفْتَحَتْ بِالنُّطْقِ ... مَعَالِيَقَ الْحِمَامِ

رُبَّ لَفْظٍ سَاقٍ ... آجَالِ نِيَامٍ وَقِيَامِ

إِنَّمَا السَّلَامُ مِنْ ... الْجَحْمِ فَاهُ بِلِحَامِ

فَالْبَسِ النَّاسَ عَلَيَّ ... الصَّحَّةَ مِنْهُمْ وَالسَّقَامِ

وَعَلَيْكَ الْقَصْدَ ... إِنَّ الْقَصْدَ أَبْقَى لِلْهُمَامِ

^١ انظر: نثر الدر في المحاضرات للأبي.

^٢ قيل هو أبو العتاهية، وقيل هو الإمام الشافعي. انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر.

^٣ وقبله: لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ ... إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عِيُونِهِ

وقيل: ربما كان الصمتُ أبلغَ من الإِبلاغِ في النطقِ مع عدمِ إصابةِ الفرصة^١.

قال ابنُ الرومي^٢:

نَاهِيكَ مِنْ صَمْتٍ بَلَا عَيٍّْ بِهِ وَكَفَاكَ مِنْ لَسَنِ بَغَيْرِ سَفَاهِ
مَلَكَتْ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَتَرَاهُ كَالسَّاهِيِ وَلَيْسَ بِسَاهِ

وقال ابنُ علقمة^٣:

صَموتٌ فِي المَجَالِسِ غَيْرُ عَيٍّْ جَدِيرٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ

^١ قال الجاحظ في الرسائل: واعلم أن الصمت في موضعه ربما كان أنفع من الإِبلاغِ بالمنطق في موضعه، وعند إصابةِ فرصته. وذلك صمتك عند من يعلم أنك لم تصمت عنه عيباً ولا رهبةً.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: يا طولَ غلَّةِ نفسي المباله بظباء بين أجارعٍ وجلاه

^٣ سماه الجاحظ في البيان والتبيين محرز بن علقمة، ونسبه محمد بن يزيد المبرد في كتاب الفاضل لرجل من بني حنيفة يرثي أخاه، وأورد الأبيات كاملةً:

لقد وارى المقابرُ من شريكٍ ... كثيرٍ تكرمٍ وقليلٍ عابِ

به كتنا نصول على الأعدى ... وناقض مِرّة القوم الغضابِ

صموت في المجالس غير عيٍّ ... جدير حين ينطق بالصوابِ

كثير الحلم لا طبع عيٍّ ... ولا فحاشة نزلُ السبابِ

ذمُّ الإكثار من الكلام

قيل: مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ^١.

المِكَثَارُ كحاطبِ اللَّيْلِ^٢.

من أطلق لسانه بكلِّ ما يحبُّ كان أكثرُ مقامه حيثُ لا يحبُّ^٣.

وقال الخُرَيْمِيُّ^٤:

وَخَيْرُ حَالِ الْفَتَى فِي الْقَوْلِ أَصْدَقُهَا بَيْنَ السَّبِيلَيْنِ لَا عَيٌّْ وَلَا هَذَرٌ

^١ قال الميداني في مجمع الأمثال: مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ. الإهجار: الإفحاش، وهو أن يأتي في كلامه بالفحش، سمي هَجْرًا هَجْرَ العقلاء إياه. يُضْرَبُ لِمَنْ يَأْتِي فِي كَلَامِهِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ.

^٢ قال العسكري في جمهرة الأمثال: قَوْلُهُمُ الْمِكْثَارُ كحاطبِ اللَّيْلِ. يَقُولُ إِنْ الَّذِي يَكْثُرُ الْكَلَامَ يَأْتِي بِالْحَطْأِ وَلَا يَدْرِي، كحاطبِ اللَّيْلِ زُبْمًا هُئِشَ وَلَمْ يَعْلَمْ.

^٣ انظر: غرر الخصائص الواضحة للوطواط.

^٤ في النسخة المحققة: الجريمي، وهو خطأ، والخريمي هو إسحاق بن حسان بن قوهي، شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الأصل من أبناء السعد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد. واتصل بخريم (الناعم) فنسب إليه، أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة. ومدحه. ورثاه بعد موته. وأدركه الجاحظ وسمع منه.

وقال إياسُ لخالدِ بنِ صفوان: لا ينبغي أن نجتمعَ في منزلِك لأنَّك تحبُّ ألا تسكتَ، وأنا أحبُّ ألا أسمعُ^١.

الحثُّ على ترك فضول الكلام

قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ اللهُ مَنْ أَمَسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ^٢.

قال عبدُ اللهِ بنُ الحسينِ لابنِه: اسْتَعِنْ عَلَيَّ الْكَلَامَ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ؛ فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ^٣.

وقيل: مَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ^٤.

^١ قال المبرد في الكامل: وقال إياس بن معاوية المزني أبو وائلة - وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء - لخالد: لا ينبغي أن نجتمع في مجلس، فقال له خالد: وكيف يا أبا وائلة؟ فقال: لأنك لا تحب أن تسكت، وأنا لا أحب أن أسمع.

^٢ قال الألباني في السلسلة الضعيفة: ٣٨٣٥ - (... طوي لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله): ضعيف الإسناد.

^٣ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري.

^٤ رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة. وسنده ضعيف.

وقال عبدُ الله بنُ طاهرٍ لبعضِ مُنادميه: يا هذا إمّا أقللتَ فضولَكَ أو أقللتَ دخولَكَ^١.

وقيل: فضلُ النظرِ يدعو إلى فضلِ القولِ.

الحثُّ على السكوتِ مطلقاً

قيل: إن كانتِ العافيةُ من شأنِكَ^٢، فسَلِّطِ السكوتَ على لسانِكَ^٣.
الصمتُ داعيةُ المحبةِ^٤.

الصمتُ زينُ العاقلِ وسترُ الجاهلِ^٥.

قال الشاعرُ:

لو كان من فضةٍ تكلمُ ذي النطقِ لكان السكوتُ من ذهبِ

^١ حكاه أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر: ودخل رجل على ابن طاهر فهذر، فقال له عبد الله: إمّا أقللتَ فضولَكَ وإمّا أقللتَ دخولَكَ.

^٢ في النسخة المحققة: مالك، والتصويب من المصادر الآتية.

^٣ انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزخشي، والفوائد والأخبار لابن دريد، وشعب الإيمان للبيهقي، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

^٤ رواه ابنُ أبي الدنيا في الصمت: حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَمِّيُّ، عَنْ شَيْخٍ، مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّمْتُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْمَحَبَّةِ».

^٥ انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزخشي.

الحثُّ على تدبُّر الكلام قبل إيراده

قال الحسنُ: لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ رَجَعَ إِلَيْهِ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلَّمَ بِهِ وَإِلَّا تَرَكَهُ، وَلِسَانُ الْجَاهِلِ قَدَّمَ قَلْبَهُ يَتَكَلَّمُ بِمَا عَرَضَ لَهُ^١.

وقيل^٢: مَنْ لَمْ يَخَفِ الْكَلَامَ تَكَلَّمَ، وَمَنْ خَافَهُ تَبَكَّمَ.

قال الشاعر^٣:

تَأَمَّلْ فَمَا تَسْطِيعُ رَدَّ مَقَالَةٍ إِذَا الْقَوْلُ فِي زَلَاتِهِ فَارَقَ الْفَمَا

وقال بعضهم: ذَرِ الرَّأْيَ الْفَطِيرَ، وَالْكَلامَ الْقَضِيبَ، فَلَا يَطِيبُ الْخَبْزُ إِلَّا بَأْتِنَاءَهُ.

^١ قال الدينوري في المجالسة وجواهر العلم: قَالَ الْحَسَنُ: لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ تَفَكَّرَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ؛ قَالَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ؛ أَمْسَكَ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ وَرَاءَ لِسَانِهِ؛ فَإِنْ هَمَّ بِالْكَلامِ تَكَلَّمَ لَهُ وَعَلَيْهِ.

^٢ نسبه الراغب في موضع آخر من هذا الكتاب إلى الحجاج فقال: وقال الحجاج: مَنْ لَمْ يَخَفِ الْجَوَابَ تَكَلَّمَ، وَمَنْ خَافَهُ تَبَكَّمَ.

^٣ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

^٤ في النسخة المحققة: تستطيع، بزيادة التاء، وهو خطأ واضح.

^٥ قال الشريف المرتضى في أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد: وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أَرَادَهُ الْخَوارج عَلَى الْكَلَامِ حِينَ عَقَدُوا لَهُ: لَا خَيْرَ فِي الرَّأْيِ الْفَطِيرِ، وَالْكَلامِ الْقَضِيبِ. وشوور ابن التوأم الرقاشي فأمسك عن الجواب وقال: مَا أَحَبَّ الْخَبْزَ إِلَّا بَأْتِنَاءَهُ.

التحذير من جنابة اللسان

سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فقال: الأَجوفانِ البَطْلُ والفَمُ^١.

وقيل فيما رُوي عنه: وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجوهِهِمْ إِلَّا حِصَائِدُ ألسِنَتِهِمْ^٢.

وكان لقمان^٣ عبداً أسوداً لبعضِ أهلِ الأيالةِ فقال له مولاؤه: اذْبَحْ لَنَا شاةً وائْتِنَا بِأَطْيَبِ مُضْغَةٍ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ. فقال له: اذْبَحْ لِي أُخْرَى وائْتِنِي بِأَخْبَثِ مُضْغَةٍ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ، فقال له فِي ذَلِكَ؟ فقال: ما شَيْءٌ أَطْيَبُ مِنْهُ إِذَا طَابَ، وَلَا أَخْبَثُ مِنْهُ إِذَا خُبْتُ^٤.

^١ أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد والبخاري في الأدب المفرد، وحسن الألباني إسناده. ونصه: سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فقال: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ، وسئل عن أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فقال: الفَمُ والْفَرْجُ.

^٢ رواه الترمذي من حديث معاذ بن جبل، وحسن الألباني إسناده. وفيه: فقلت: يا نبي الله، إِنَّا لَمُواخِدُونَ بما نتكلَّمُ به؟ قال: تكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مناخرِهِمْ، إِلَّا حِصَائِدُ ألسِنَتِهِمْ.

^٣ لقمان الحكيم العبد الصالح.

^٤ رواه أحمد في الزهد وابن أبي شيبه في المصنف: "كَانَ لِقْمَانُ عَبْداً حَبَشِيًّا بَجَارًا، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: اذْبَحْ لِي شاةً، فَذَبَحَ لَهُ شاةً، فَقَالَ لَهُ: ائْتِنِي بِأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيهَا شَيْءٌ أَطْيَبُ مِنْ هَذَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَسَكَتَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْبَحْ شاةً؛ فَذَبَحَ لَهُ شاةً،

وقيل: لم يُسْتَر من الجوارح شيءٌ كما ستر اللسان، فإنَّ عليه طبقتين وسترين.
وقيل لحذيفة: لم أطلت سجنَ لسانك؟ فقال: لأنه غيرُ مأمونِ الضرِّ إذا أُطلق^١.

وروي عن أبي بكرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَمْسِكُ بِلِسَانِهِ وَيَقُولُ: هَذَا الَّذِي
أوردني المَوارِد^٢.

قال الشاعر^٣:

فَقَالَ لَهُ: أَلْقِ أَحَبَّهُمَا مُضَعَّتَيْنِ، فَرَمَى بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، فَقَالَ: أَمَرْتُكَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِأَطْيَبِهِمَا
مُضَعَّتَيْنِ، فَأَتَيْتَنِي بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ؟ وَأَمَرْتُكَ أَنْ تُلْقِيَ أَحَبَّهُمَا مُضَعَّتَيْنِ، فَأَلْقَيْتَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ؟
فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا، وَلَا أَحَبَّ مِنْهُمَا إِذَا حَبَبَا "

^١ وحكاه ابن عساكر في تاريخ دمشق على هذا النحو: قال عمرو بن العاص: لله در بني أمية،
ما أجمع قلوبهم وأوسع حلومهم، شهدت معاوية يوماً دخل عليه الوليد بن عتبة وهو غلام حدث،
فقلت يا أمير المؤمنين لأفرن ابن أخيك عن عقله، قال إذن والله تجده بعيد الغور ساكن الفور ريط
الجأش، فدنا فسلم ثم سكت ملياً فقلت: لقد أطلت سجن لسانك، قال إنه غير مأمون الضرر
إذا أطلق، قلت: ما سنك؟ قال: هيهات يا أبا عبد الله جللنا عن هذه المحنة، فضحك إليَّ أبو
عبد الرحمن معاوية ثم قال: كلا يا عمرو إن العود لمن لحائه وإن الولد من آبائه وهو والله نبتة أصل
لا تخلف وسليل فحل لا تعرف.

^٢ وقد رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ومعاليها فقال: عن أبي بكر الصديق أَنَّهُ أَخَذَ بِلِسَانِهِ فِي
مَرَضِهِ فَجَعَلَ يَلُوكُهُ فِي فِيهِ وَيَقُولُ هَذَا أوردني المَوارِد.

^٣ قيل هو الإمام الشافعي.

كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ
كَانَتْ تَخَافُ لِقَاءَهُ الْأَقْرَانَ^١
متكلم بكلام أَدَى إلى هلاكه

بينما المنذر^٢ في بعض متصيّداته إذ وقف على رابية فقال بعض أصحابه:
أبيت اللعن لو أن رجلاً ذُبح على هذه الرابية إلى أيّ موضع عسى أن يسيل
دمه؟ فقال: أنت والله المذبوح! لِنُنْظَرَ ذلك، وأمر به فدُبح^٣.

^١ وقبله: احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يُقتلَكَ؛ إِنَّهُ تُعْبَانُ

^٢ الملك النعمان بن المنذر.

^٣ حكاها الدينوري في المجالسة وجواهر العلم، وابن قتيبة في عيون الأخبار على هذا النحو: نَزَلَ
الْمُنْذِرُ فِي كَتِيبَةٍ مَوْضِعًا مُرْتَفِعًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أْبَيْتَ اللَّعْنَ، إِنْ ذُبِحَ رَجُلٌ هَا هُنَا إِلَى أَيِّ مَوْضِعٍ
يَبْلُغُ دَمُهُ فِي هَذِهِ الرَّابِيَةِ؟ قَالَ: فَتَطِيرُ الْمُنْذِرُ مِنْ كَلَامِهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْذِرُ: الْمَذْبُوحُ وَاللَّهُ أَنْتَ؛
فَانْظُرْ إِلَى أَيِّ يَبْلُغُ دَمُكَ. فَأَمَرَ بِذَبْحِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: رَبِّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي.

وقد حكاها برواية أخرى أو رواية غيرها قريبة منها ياقوت الحموي في معجم الأدباء فقال: عن أبي
زيد الطائي قال: كان ظهر الكوفة يُنبِت الشقائق فحُمى النعمان ذلك المكان فُنسب إليه فقيل
شقائق النعمان؛ فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، فقام رجل من
الناس فقال له: أبيت اللعن أعطني فإني محتاج، فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدبني حتى قعد بين يديه،
ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأ بها وجهه حتى سمعنا قرع العظام، وخضب بالدم،
ثم أمر به فنحّي. ومكثنا ملياً فنهض رجل آخر فقال له: أبيت اللعن أعطني، فتأمله ساعة ثم قال:
أعطوه ألف درهم، فأخذها وانصرف، ثم التفت النعمان عن يمينه ويساره وخلفه فقال: ما قولكم
في رجل أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة، أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا
له: أنت أبيت اللعن أعلم برأيك، فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فدبح، ثم قال: ألا تسألوني

ومر ببهرام^١ طائرٌ بالليلِ فصاح فرماه بسهمٍ فأصابه فقال: لو سكتَ الطائرُ لكان خيراً له^٢.

التبُّت في الجواب والتسرُّع فيه

سأل يهوديُّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسألةً، فمَكَثَ عليه السلامُ ساعةً ثم أجابه عنها، فقال اليهوديُّ: ولمْ توقفتَ فيما علمتَ؟ قال: توقيراً للحكمة^٣.

وقيل: من أمانة الحكيم التروِّي في الجوابِ بعد استيعابِ الفهم.

عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك عن أمرك وما تصنع؟ فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد فمررنا به وهو بفناء بابه وبين يديه عرسٌ من لبن، فتناولته لأشرب منه فثار إليَّ فهراق الإناء، فملاً وجهي وصدري، فأعطيت الله عهداً لئن أمكنني منه لأخضبنَّ لحيتي وصدري من دم وجهه، وأما الآخر فكانت له عندي يد فكافأته بها، وأما الذي ذبحته فإن عينا لي بالشام كتب إليَّ أن جبلة بن الأيهم بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ليقنتلك فطلبته فلم أقدر عليه حتى كان اليوم، فرأيتُه بين القوم فأخذته.

^١ بهرام جور (٤٢٠ - ٤٣٨ م) كان ملكاً ساسانياً شجاعاً محبباً إلى رعيته.

^٢ قال محمد بن أيدمر في الدر الفريد: يُقال: إنَّ بهرامَ جورَ كانَ جالساً معَ امرأتهِ بالليلِ، فَمَرَّ به طائرٌ يصيحُ، فرماه بسهمٍ، فأصابه، فقال: والطائرُ أيضاً لو سكتَ كانَ خيراً له. فأجرتُ كلمتهُ مثلاً.

^٣ لا أصل له في كتب الحديث.

وقيل: من علامة الحُمُق: سُرْعَةُ الْجَوَابِ، وَطُولُ التَّمَنِّي، وَالِاسْتِعْرَابُ^١ فِي الضَّحِكِ^٢.

وقال رجلٌ لإياسٍ: ليس فيك عيبٌ غير أنَّك تعجلُ بالجاب، فقال: كم أصبعاً في يدك؟ فقال الرجلُ: خمسٌ، فقال: لقد عجلتَ أيضاً، فقال: هذا علمٌ قد قبلته، فقال إياسٌ: وأنا أعجلُ أيضاً في ما قد قبلته علماً.

الحثُّ على حُسن الاستماع والممدوح به

قيل: تَعَلَّمَ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ، كَمَا تَعَلَّمَ حُسْنَ الْمَقَالِ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَيَّ أَحَدٍ حَدِيثاً.

وقيل: استمع، فسوءُ الاستماعِ نفاقٌ.

^١ يعني الاستغراق فيه والمبالغة والإفراط.

^٢ انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري.

^٣ وقد حكاه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم على هذا النحو: وَقِيلَ لِإِيَّاسٍ لَمَّا وُلِيَ الْقَضَاءُ: إِنَّكَ تَعَجَّلُ بِالْقَضَاءِ. فَقَالَ إِيَّاسٌ: كَمْ لِكِفِّكَ مِنْ أُصْبُعٍ؟ فَقَالَ: خَمْسَةٌ، فَقَالَ لَهُ إِيَّاسٌ: عَجَلْتَ بِالْجَوَابِ. قَالَ: لَمْ يَعْجَلْ مَنْ اسْتَيْفَنَ عِلْماً، فَقَالَ إِيَّاسٌ: هَذَا جَوَابِي.

^٤ رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق فقال: يُرْوَى عَنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا جَالَسْتَ فَكُنْ عَلَيَّ أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَيَّ أَنْ تَقُولَ، وَتَعَلَّمَ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ، كَمَا تَعَلَّمَ حُسْنَ الْقَوْلِ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَيَّ أَحَدٍ حَدِيثِهِ».

وقيل: للقائل^١ على السامع ثلاثة أمور: جمع البال، وحسن الاستماع،
والكتمان^٢ لما يقتضي الكتمان^٣.

وقيل: أساء^٤ سمعاً فأساء^٥ إجابة^٦.

وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ قال: نعم. قال: كذبت؛ لأن دليل الفهم
السرور ولم أرك سررت^٧.

وقيل: نشاط القائل على قدر فهم المستمع^٨.

وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيماً.

وقيل: فلان في الاستماع ذو أذنين وفي الجواب ذو لسانين.

^١ في النسخة المحققة: للسائل، وهو خطأ واضح، والتصويب من الجاحظ كما في الهامش التالي.

^٢ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وقال أبو عباد كاتب أحمد بن أبي خالد: «للقائل على السامع ثلاث: جمع البال، والكتمان، وبسط العذر».

^٣ حكاه أبو أحمد العسكري في تصحيقات المحدثين فقال: كَانَ لِسَهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ مَضْعُوفٍ
فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ يَوْمًا أَيْنَ أُمَّكَ؟ يُرِيدُ أَيْنَ تَوُّمٍ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَيْنَ أُمَّكَ فَقَالَ دَهَبَتْ لِتَشْتَرِي دَقِيقًا
فَقَالَ: أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِجَابَةً.

^٤ انظر: نثر الدر في المحاضرات للآبي.

^٥ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وقال أبو عقيل بن درست: «نشاط القائل على قدر فهم
المستمع».

قال الشاعر^١:

إِذَا حُدِّثُوا لَمْ يُخَشِ سُوءُ اسْتِمَاعِهِمْ وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانِ
وقال رجل: أُذِنِي قُمْعٌ لِمَنْ يَحَدِّثُنِي.

النَّهْيُ عَنِ مِحَادَثَةٍ مِنْ سَاءِ اسْتِمَاعِهِ

قيل: مَنْ لَمْ يَنْشِطْ لِاسْتِمَاعِ حَدِيثِكَ فَارْزَعْ^٢ عَنْهُ مَوْوَنَةً لِاسْتِمَاعِ^٣.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّجُوكَ بِأَسْمَاعِهِمْ
وَلَحْظُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فِتْرَةً فَأَمْسِكْ^٤.

وقيل: لَا تُطْعِمِ طَعَامَكَ مَنْ لَا يَشْتَهِيهِ^٥.

^١ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير، والحماسة البصرية لصدر الدين البصري، ومكارم الأخلاق للخرائطي، والفاضل للمبرد، وأمالي القاضي.

^٢ في النسخة المحققة: ما رفع، بصيغة النفي، وهو خطأ، والتصويب من المصدر الآتي.

^٣ انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير.

^٤ انظر: البيان والتبيين للجاحظ، وزهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير.

^٥ كناية عن الكلام. وهو من قول مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مسند الدارمي.

وقيل: حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ امْرَأَةً، فَإِنَّ لَمْ تَسْمَعْ فَارْبَعٌ، أَي كُفَّ^١.

الحثُّ على ازدياد السَّماع على المقال

سَمِعَ بُقْرَاطُ^٢ رجلاً يُكثِرُ من الكلام، فقال له: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِلإِنْسَانِ لِسَاناً واحداً وَأُذُنَيْنِ، لِيَسْمَعَ ضِعْفَ ما يَقُولُ^٣.

تفضيل السماع على المقال

كان أعرابيٌّ يجالسُ الشَّعْبِيَّ فأطال الصمتَ، فسأله عن ذلك، فقال: أَسْمِعْ فأعلمُ، وأسكْتُ فأسلمُ^٤.

^١ قال الميداني في مجمع الأمثال: حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ امْرَأَةً، فَإِنَّ لَمْ تَفْهَمْ فَأَرْبَعَةً. أَي زِدْ، وَيُرْوَى فَارْبَعٌ، أَي كُفَّ، وَأَرَادَ بِالْحَدِيثَيْنِ حَدِيثاً واحداً تَكَرَّرَ مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّكَ حَدَّثْتَهَا بِحَدِيثَيْنِ، وَالْمَعْنَى كَرَّرَ لَهَا الْحَدِيثَ لِأَنَّهَا أَضْعَفُ فَهَمًّا، فَإِنَّ لَمْ تَفْهَمْ فَاجْعَلْهُمَا أَرْبَعَةً، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنَّ لَمْ تَفْهَمْ بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ فَالْمَرْبَعَةُ، يَعْنِي الْعَصَا. يَضْرِبُ فِي سُوءِ السَّمْعِ وَالْإِجَابَةِ.

^٢ أبقراط (ولد: حوالي ٤٦٠ ق م - توفي: حوالي ٣٧٠ ق م)؛ والمعروف أيضاً باسم أبقراط الثاني؛ هو طبيب يوناني عاش في العصر الكلاسيكي اليوناني. يُعدُّ من أبرز الشخصيات في تاريخ الطب عبر التاريخ، وهو سابع الأطباء العظام في تاريخ اليونان.

^٣ انظر: حسن السميت في الصمت للسيوطي.

^٤ انظر: البيان والتبيين للجاحظ.

وقيل لأعرابيٍّ: لِمَ لا تتكَلَّم؟ فقال: حَظُّ لسانِ الرَّجُلِ لغيرِهِ، وحَظُّ سَمِيعِهِ لَهُ.
وقال محمدُ بنُ المنكدرِ: لأنَّ أسمعَ أحبُّ إليَّ من أن أنطقَ، لأنَّ المستمعَ
يتنقَّى^١ والمتكلمَ^٢ يتوقَّى^٣.

الحثُّ على التصاممِ عن الحِنا والتمدُّحِ به

قال محمودُ الوزَّاقُ^٤:

وسمِعَكَ صُنُّ عن سَماعِ القَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسانِ عن النُّطْقِ بِهِ
وقال أبو تَمَّامٍ:

^١ في النسخة المحققة: يَتَّقِي، والتصويب من ابن حمدان. وهو تصويب ضروري لاستقامة السجعة بين يَتَّقِي ويتوقَّى.

^٢ ساقطة من النسخة المحققة، وزيادتها من ابن حمدان، وهي ضرورية لاستكمال المقابلة بين المتكلم والسامع.

^٣ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

^٤ ونسبه ياقوت في معجم الأدباء للحسين بن محمد أبو علي السهواجي، وقال في ترجمته: أديب شاعر لبيب مشهور، وسهواج من قرى مصر، صنَّف كتاب القوافي، وتوفي بمصر سنة أربعمائة رحمه الله تعالى. وساق البيت بين بيتين:

توحَّ من الطرق أوساطها ... وعدَّ عن الجانب المشتبه

وسمِعَكَ صُنُّ عن سَماعِ القَبِيحِ ... كصون اللسان عن النُّطْقِ بِهِ

فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

أُذُنٌ صَفُوحٌ لَيْسَ يَفْتَحُ سَمَّهَا^١ لِدَنِيَّةٍ وَأَنَا مِلٌّ لَا تُثْقَلُ

وقال آخر^٢:

فَتَى عَزَلْتُ عَنْهُ الْفَوَاحِشُ كُلَّهَا فَلَمْ تَخْتَلِطْ مِنْهُ بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ

وقال آخر^٣:

عَيْيٌّ عَنِ الْفَحْشَاءِ أَمَا لِسَانُهُ فَعَفٌّ وَأَمَا طَرْفُهُ فَكَلِيلٌ

وقال الموسوي^٤:

^١ سم الأذن: ثقبها وفتحة السمع فيها.

^٢ هو ملحة الجرمي كما في شروح الحماسة.

^٣ قيل إنه حماد بن إسحق، وقد ساق كتب الأدب هذا البيت مع آخرين:

فتى مثل صفو الماء أما لقاؤه ... فبشر وأما وعده فجميل

يسررك مفترأ ويشرق وجهه ... إذا اعتل مذموم الفعالي بخيل

عبي عن الفحشاء أما لسانه ... فعف وأما طرفه فكليل

انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدير.

^٤ في النسخة المحققة: عي، بإسقاط إحدى الياءين، وقد جاء في بعض الروايات غني بدل عبي.

^٥ الشريف الرضي، في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها:

هذي الرماح عصبي الضال والسلم لولا مطاعنة الآراء والهيم

إِذَا الْعَدُوُّ عَصَانِي خَافَ حَدًّا وَعَرَضُهُ آمِنٌ مِنْ هَاجِرَاتِ فَمِي
 وَهَ أَيْضًا^١:

وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَصْفِهَا وَلَا أَنْطِقُ الْعَوَاءَ وَالْقَلْبُ

^١ في النسخة المحققة: حديدي، كلمة واحدة، وهو خطأ واضح.

^٢ في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: لِعَبْرِ الْعُلَى مَيِّ الْقَلَى وَالتَّحْنُبُ وَلَوْلَا الْعُلَى مَا كُنْتُ فِي
 الْحُبِّ أَرْعَبُ

^٣ في النسخة المحققة: يعرب، والتغيير من الديوان.

ومما جاء في المذاكرة والمجادلة

فضل المذاكرة في العلوم

قال الله تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ).

وقال النبي: لَقَّحُوا عُقُولَكُمْ بِالْمُذَاكِرَةِ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى أُمُورِكُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ^١.

وقال ابن المقفع: لَا تُخْلِ قَلْبَكَ مِنَ الْمُذَاكِرَةِ فَيَعُودَ عَقِيمًا، وَلَا تُغْفِ طَبْعَكَ مِنَ الْمُنَازَرَةِ فَيَعُودَ سَقِيمًا^٢.

وقال الحسن رضي الله عنه: حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ؛ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ^٣.

وقال المأمون: لَا تَتَّقِدْ مَصَابِيحَ الْأَذْهَانِ إِلَّا بِصَفْوِ مَوَارِدِهَا.

وقيل: مَنْ أَكْثَرَ مُذَاكِرَةَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ، وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^٤.

^١ لم أهد إليه في كتب السنة، وذكره الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين عند حديثه عن آداب النفس تحت أدب المشورة.

^٢ انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي.

^٣ دَثَرَ الْقَلْبُ: عَقَلَ. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ونصه: «حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ وَافْرَعُوا النُّفُوسَ فَإِنَّهَا خَلِيعَةٌ وَإِنَّكُمْ إِنْ أَطْعَمْتُمُوهَا تَنْزِلَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ».

^٤ في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لشمس الدين السخاوي: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: مَنْ أَكْثَرَ مُذَاكِرَةَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ، وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

المستكثر بمناظرته الفائدة

قال رجلٌ لآخر: مناظرةٌ مثلكَ في الدينِ فرضٌ، والاستماعُ منك أدبٌ، ومذاكرتكُ تليحٌ للعقلِ^١.

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيز: ما كلمني أسديٌّ^٢ إلا تمنيتُ أن يمدَّ في حجته لتكثرَ منه فائدتي^٣.

الممدوح بإجادة المناظرة

مدح أعرابيُّ رجلاً فقال: يفتَحُ ببيانهِ مُنغلقَ الحجَّةِ، ويسدُّ على خصمهِ واضحَ المَحجَّةِ^٤.

^١ في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي: وقال الأصمعي: تناظر رجلانِ وأعرابيُّ حاضرٌ فقال لأحدهما: مناظرةٌ مثلكَ في الدينِ فرض، والاستماعُ منك أدب، ومجالستكُ زين، ومعرفتكُ عز، ومذاكرتكُ تليحٌ للعقولِ وشحد، وإخاؤكُ شرفٌ وفخر.

^٢ من بني أسد؛ وذلك لأنه كان يقال: ليس في بني أسد إلا خطيب، أو شاعر، أو قائف، أو زاجر، أو كاهن، أو فارس.

^٣ انظر: البيان والتبيين للجاحظ.

^٤ حكاها الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه فقال: قَالَ الرَّبِيعُ: كُنَّا جُلُوسًا فِي حَلَقَةِ الشَّافِعِيِّ بَعْدَ مَوْتِهِ يَبْسِرُ فَوْقَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ، فَسَلَّمْ، ثُمَّ قَالَ لَنَا: «أَيْنَ قَمَرُ هَذِهِ الْحَلَقَةِ وَتَمَسُّهَا؟» فَعَلْنَا: تُؤَيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ، فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَقَالَ: «تُؤَيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ وَعَفَرَ لَهُ، فَلَقَدْ كَانَ يَفْتَحُ بَيَانِهِ مُنْغَلِقًا

وقيل: أوردَ فلانٌ ما لا ينكره الخصمُ، ولا يدفعه الوهمُ، وما رأيتُ أسكنَ
فَوراً^١ وأبعدَ غوراً^٢ وآخذَ بأذنِ حُجَّةٍ منه^٣.

قال الشاعر^٣:

الْحُجَّةُ، وَيَسُدُّ عَلَى خَصْمِهِ وَاضِحَ الْمَحَجَّةِ، وَيَغْسِلُ مِنَ الْعَارِ وَجُوهًا مُسْوَدَّةً، وَيُوسِّعُ بِالرَّأْيِ أَبْوَابًا
مُنْسَدَّةً^٤ « ثُمَّ أَنْصَرَفَ ».

^١ في النسخة المحققة: نوراً، بالنون، وهو خطأ، والتصويب من القالي في الهامش الآتي.

^٢ حكاه القالي في الأمالي عن أعرابي يصف أخويه فقال: عن العُتْبِيِّ قال: أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةِ
ثَلَاثَةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَحْيِكَ زَيْدَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ فَوْرًا، وَلَا
أَبْعَدَ غَوْرًا، وَلَا آخَذَ لَذْبَ حُجَّةٍ قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَحْيِكَ زَائِدًا قَالَ:
"كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْعُقْدَةِ، لِيَنَّ الْعَطْفَةَ، مَا يَرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ"، فَقُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ،
فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنْ أَفْضَلَ مَا فِيَّ لِمَعْرِفَتِي بِفَضْلِهَا، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ لَغَيْرُ مَنْتَشِرِ الرَّأْيِ، وَلَا مُخَذُّوْلِ الْعَزْمِ".

^٣ نسبه الجاحظ في البيان والتبيين للقلاخ بن حزن المنقري، قاله في مدح مشجور بن غيثان بن
خرشة بن عمرو بن ضرار الضبي: خطيب، من العلماء بالأنساب ومن أشراف أهل البصرة. كان
مقدمًا في المنطق. له خبر مع الحجاج بن يوسف. والأبيات:

وأمثال مشجورٍ قليلٌ، ومثله ... فتى الصدق إن صقته كل مصفقٍ

وما كنت أشريه بدنيا عريضة ... ولا بابن خال بين غربٍ ومشرقٍ

إذا قال بذ القائلين مقاله ... ويأخذ من أكفائه بالمخنقِ

إِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ مَقَالَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ أَكْفَائِهِ بِالْمُخَنَّقِ^١

قال العجير^٢:

مَنْ النَّفَرِ الْمُدْلِينَ فِي كُلِّ حُجَّةٍ بِمُسْتَحْصِدٍ فِي جَوْلَةِ الرَّأْيِ مُحْكَمِ^٣

وقال آخر:

يَتَفَارِضُونَ إِذَا التَّقْوَا فِي مَوْطِنٍ نَظْرًا يُزِيلُ مَوَاقِعَ الْأَقْدَامِ

كأن ذلك من قول الله تعالى: (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ).

^١ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: بَلَغَ مِنْهُ الْمَخَنَّقُ. وَهُوَ الْخُنْجَرُ وَالْحَلْقُ، أَي بَلَغَ مِنْهُ الْجُهْدُ. انظر: البيان والتبيين للجاحظ، والتذكرة الحمديونية لابن حمدون، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

^٢ العجير السلوي: هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدَةَ يَصِلُ نَسَبُهُ إِلَى سَلُولِ بْنِ مَرَّةَ. شَاعِرٌ إِسْلَامِي مَقْلٌ مِنْ شِعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ. كَانَ كَرِيمًا جَوَادًا تَصَلَّهُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ عَمٌّ إِذَا عَلِمَ بِأَضْيَافٍ عِنْدَهُ لَمْ يَدْعُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ بِجُزُورِ كَوْمَاءٍ فَيُنْحَرُهَا عِنْدَ بَيْتِهِ فَيَبْسُتُونَ بِأَحْسَنِ حَالٍ وَقَالَ الْعَجِيرُ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

وَإِنْ ابْنُ عَمِّي لِابْنِ زَيْدٍ وَإِنَّهُ ... لِبَلَالٍ أَيْدِي جِلَّةِ الشُّوْلِ بِاللَّحْمِ

طُلُوعِ الثَّنَايَا بِالْمَطَايَا وَسَابِقٍ ... إِلَى غَايَةِ مَنْ يَبْتَدِرُهَا يَقْدَمُ

مَنْ النَّفَرِ الْمُدْلِينَ فِي كُلِّ حُجَّةٍ ... بِمُسْتَحْصِدٍ مِنْ جَوْلَةِ الرَّأْيِ مُحْكَمِ

جَدِيرُونَ أَنْ لَا يَذْكُرُوكَ بِرِيَّةٍ ... وَلَا يَغْرَمُوكَ الدَّهْرَ مَا لَمْ تَعْرَمِ

^٣ فِي النُّسْخَةِ الْمُخْتَفِقَةِ: مَحْلَمٌ، بِاللَّامِ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ شُرُوحِ الْحَمَاسَةِ: التَّبْرِيْزِيُّ وَالْمَرْزُوقِيُّ وَالْفَارَسِيُّ.

وقال البحتري^١:

أَحْضَرْتَهُمْ^٢ حَجًّا لَوْ اجْتَلَيْتَ بِهَا عَصْمُ الْجِيَالِ لَأَقْبَلْتَ تَنْزَلُ

وقال أبو مسلم^٣:

يَجُوبُ ضِيَابَ مَعَانِي الْكَلَامِ بِجَدْوِ الصَّوَابِ لَدَى الْمَجْمَعِ^٤

وقال بشر بن المعتز^٦ لأبي الهذيل عند المأمون بعد مناظرة كانت بينهما: كيف رأيت وقع سهامي^٧؟ فقال: حلوة كالشهد ولينة كالزبد فكيف ترى سهامنا؟ فقال: ما أحسنت^٨ بها، قال: لأنها لاقت جماداً.

^١ في الديوان من قصيدته التي يمدح فيها الخليفة جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد مطلعها: قُلْ لِلسَّحَابِ إِذَا حَدَثَهُ الشَّمَالُ وَسَرَى بَلِيلٌ رَكْبُهُ الْمَتَحَمَّلُ

^٢ في النسخة المحققة: أحضرته، بضمير المفرد، والتصويب من الديوان.

^٣ لم أعثر عليه.

^٤ في النسخة المحققة: حذف، بالفاء، والتغيير من محمد بن أيدمر في الدر الفريد.

^٥ قال المرزباني في الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: حدثنا أبو العيلاء، قال: دخلنا على العتيبي نعوذه وقد مرض، فقال: ما أجزع من الموت كجزعي من أبي مسلم لأنني أخاف أن يرثيني كما رثى الأصمعي بقوله: يجوب صياب معاني الجواب ... بحذف الصواب لدى الجمع

^٦ بشر المريسي الذي تزعم فتنة خلق القرآن.

^٧ في النسخة المحققة: سهمي، بالإفراد، والتصويب من الجاحظ في الحيوان.

^٨ في النسخة المحققة: أحسنت، وهو خطأ واضح، والتصويب من الجاحظ في الحيوان.

صعوبة الجدل

قال ابنُ الراوندي: ما التَّصَدِّي لِلْحِرَابِ وَالْقِضَابِ وَمِبَارِزَةِ الْأَبْطَالِ بِأَصْعَبِ
من التَّصَدِّي لِلْجَوَابِ لِمَنْ أَمَّكَ بِالسُّؤَالِ.

وقال: تحتَ كلِّ «لم» أسدٌ مُلِمٌّ.

وسئِلَ الشَّعْبِيُّ عَنِ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: (زَبَاءُ ذَاتِ وَبَرٍ لَا تَنَسَاقُ)^١، وَلَا تَنَقَادُ، لَوْ
نَزَلَتْ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَعْضَلَتْ بِهِمْ.

الدافع باطل خصمه بحقه

قيل: لا تدفع الباطل بالعلبة إذا أمكنك أن تدفعه بالحجة.

وقال ابنُ عباسٍ: عجباً لمن يطلبُ أمراً بالعلبة، وهو يقدر عليه بالحجة.

فالحجة دينٌ تنعقدُ به الطاعةُ، وسلطانُ العلبة يزولُ بزوالِ القدرة.

^١ ما بين القوسين في النسخة المحققة: زيادات وبر لا تنساب، وهو خطأ واضح، يؤكد أن النسخة
المحققة تجارية لم يراجعها أحد. و(زباء ذات وبر لا تنساق ولا تنقاد) تشبيه للمسائل الصعبة بصغير
الناقة الذي لم يرض ولم يركب. فهو بوبره وزعبه لا يتبع قائده. ويجرن على سائمه. والتصويب من
أحكام القرآن للحصاص، وإبطال الحيل لابن بطة، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وغريب الحديث
لابن قتيبة.

وقال ثعلبة^١:

وَأَرْبَّ خَصْمٍ جَاهِدِينَ ذَوِي شَدَاً تَقْذِي صُدُورَهُمْ بِهَيْتِرِ هَاتِرِ
لُدًّا ظَلَّزْتُهُمْ عَلَى مَا سَاءَهُمْ وَخَسَاتُ بَاطِلِهِمْ بِحَقِّ ظَاهِرِ
وقال آخر^٢:

أَلَا رَبَّ خَصْمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتُهُ وَإِنْ كَانَ أَلْوَى يُشْبِهُهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
وهذا معنى قول العتّابي: البلاغة تصوير الباطل في صورة الحق.

المشاغب مَنْ يَشَاغِبُهُ

قال أبو الأسود^٥:

^١ هو ثعلبة بن صعير بن خزاعي المازني: شاعر جاهلي، من أقدم شعراء الجاهلية ومن المقلين في نظم الشعر مع أنه كان مشهودا له بالقدرة الشعرية. والبيتان من قصيدته التي أوردتها المفضل الضبي في المفضليات ومطلعها: هل عندَ عَمْرَةَ مِنْ بَنَاتِ مُسَافِرٍ ... ذِي حَاجَةٍ مُتَرَوِّحٍ أَوْ بَاكِرِ
^٢ في النسخة المحققة: لقد، وهو خطأ واضح. والتصويب من المفضليات.

^٣ هو ذو الرّمة: غيلان بن عقبة العدوي المتوفي سنة ١١٧ هـ. والبيت في ديوانه بشرح أبي نصر الباهلي، من قصيدته التي مطلعها:

عفا الدحلُ من مِيٍّ فمَحَّتْ منازِلُهُ ... فما حوله صمائه فخمائلُهُ

^٤ ومعنى "وإن كان ألقى"، أي: شديد الخصومة عسراً، "يشبه الحق باطله": من شدة خصومته.

^٥ وهو في ديوانه، صنعة السكري، من قصيدته لعويمر بن شريك المخزومي في خصومة كانت بينهما، ومطلعها: تَلَبَّسَ لِي يَوْمَ التَّقِينَا عَوِيمَرٌ ... بِجَابَلِقٍ فِي جِلْدِ أَحْسَنَ بَاسِلِ

فَشَاغِبْتُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَهُوَ كَارِهِ
وَقَدْ يَرْعَوِي ذُو الشَّعْبِ بَعْدَ التَّجَادُلِ
وَأِنَّكَ لَمْ تَعْطِفْ عَلَى الْحَقِّ جَاهِلًا
بِمِثْلِ خَصِيمٍ عَالِمٍ مُتَّجَاهِلِ
وقال آخرُ:

وما خَصَمَ الأَقْوَامَ مِنْ ذِي خُصُومَةٍ
كَمِثْلِ بَصِيرٍ عَالِمٍ مُتَّجَاهِلِ
القائم في المناظرة مقام الغيب
وقال شاعرٌ^١:

وَمَشْهُدٍ قَدْ كَفَيْتَ الْغَائِبِينَ بِهِ
فِي جَمْعٍ مِنْ نَوَاصِي الْقَوْمِ مَشْهُودٍ

^١ بل هي شاعرة، هي أم قيس الضبية، شاعرة جاهلية، قالت ترثي ولدها ضبة بن سعد في الأبيات الآتية:

مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضَّحَاجُ بِهِمْ
بَعْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَمَنْ لِلضَّمْرِ الْقُودِ

وَمَشْهُدٍ قَدْ كَفَيْتَ الْغَائِبِينَ بِهِ
فِي جَمْعٍ مِنْ نَوَاصِي الْقَوْمِ مَشْهُودٍ

فَرَّحْتَهُ بِلِسَانٍ غَيْرِ مَلْتَبِسٍ
عِنْدَ الْحِفَاطِ وَقَلْبٍ غَيْرِ مَرْوُودِ

إِذَا قَنَاةٌ أَمْرِي أَوْرى بِهَا خَوْرٌ
هَزَّ ابْنُ سَعْدٍ قَنَاةً صَلْبَةَ الْعُودِ

وقد صرّحت باسم ابنها في مرثية أخرى فقالت:

يا سيف ضبة لا يعضك بعده ... أبدأ فتى بجماجم الأقران

جاء الفوارس جانبين جواده ... وأقام فارسه فتى الفتیان

فَرَّجَتْهُ بِلِسَانٍ غَيْرٍ مَلْتَبَسٍ عِنْدَ الْحِفَافِ وَقَلْبٍ غَيْرٍ مَرْوُودٍ^١
وقال حسناً^٢:

كَفَى وَشَفَى مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ لِدِي إِزِيَّةً فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
الموصوف بإنصاف النظائر لديه والسكون في مجلسه
قال أبو تمام^٣:

ثَبْتُ الْخِطَابِ إِذَا اصْطَكَّتْ بِمِظْلَمَةٍ فِي رِجْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرَّكْبُ
لَا الْمَنْطِقُ اللَّعْوُ يُزَكُو فِي مَحَافِلِهِ يَوْمًا وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ
وقال المتنبي^٤:

^١ في النسخة المحققة: مردود، والتغيير من أبيات الشاعرة المروية في كتب الأدب، ومعنى مرؤود: خائف فرع.

^٢ في ديوانه بشرح البرقوقي، من قصيدة يمدح فيها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومطلعها:
إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْلًا

^٣ في ديوانه، من قصيدته في محمد بن عبد الملك، ومطلعها:

لَمْ يَجْتَمِعْ قَطَّ فِي مِصْرٍ وَلَا بَلَدٍ ... مُحَمَّدٌ بِنَ أَبِي مَرْوَانَ وَالنَّوْبُ

^٤ في النسخة المحققة: اللخي، والتصويب من الديوان.

^٥ في ديوانه من قصيدة يمدح فيها أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصبي، وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية، ومطلعها: أَفَاضِلُ النَّاسِ أَعْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ
مِنَ الْفِطَنِ

الْفَاصِلُ الْحُكْمَ عَيَّ الْأَوْلُونَ بِهِ وَمُظْهِرُ الْحَقِّ لِلْسَاهِي عَلَى الذَّهْنِ^١
 وكان أبو شمر إذا ناظر لم يحرِّك يديه ولا رأسه، ولا منكبيه حتى كأن كلامه
 يخرج من صدع صخرة^٢.

وقال الأنصاري^٣:

بِجَالِسِهِمْ خَفِضَ الْحَدِيثَ وَقَوْلُهُمْ إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَحْيَ الْمَخَاصِرِ^٤
 وقال المتنبّي^٥:

^١ قال أبو العلاء المعري في اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبّي: عي الأولون أي عيوا؛ يقال: عيى الرجل يبائن، وعي على الادغام. يقول: هذا الحاكم يهتدي من فصل الأحكام إلى ما عجز عنه الأولون، والساهي: الذي به غفلة لا يدري كيف يناظر خصمه. والذهن: الفطن الجيد اللب. اهـ والمعنى: هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذي عجز عنه السابقون، ويظهر حق الخصم الغي على الخصم الذكي.

^٢ انظر: البيان والتبيين للجاحظ، باب ما قيل في المخاصر والعصي وغيرها.

^٣ هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري، أحد الشعراء الفلقين، قال الشعر في صباه ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء مكتفياً بما يناله من قليل العطاء، ثم انقطع إلى يزيد بن مزيد الشيباني قائد هارون الرشيد الذي اتصل به فيما بعد ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه.

^٤ في النسخة المحققة: المحاجر، والتغيير من الجاحظ.

^٥ بل هو أبو نواس، في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها:

على خبزٍ إسماعيلٍ واقيةُ البخلِ فقد هَلَّ في دارِ الأمانِ مِنَ الأكلِ

وَإِذَا هُوَ لَا يَسْتَبُّ خَصِمَانِ عِنْدَهُ وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجِدِّ وَلَا هَزَلٍ
وهذا منقول من قول الآخر^٢:

نَبَّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْبُ الْمَجْلِسِ
المدفوع عن حجة قوية لا تعرف لغموضها

قال ابن الرومي^٣:

عُمُوضُ الْحَقِّ حِينَ يُدْبُّ عَنْهُ يُقَلِّلُ نَاصِرَ الْخَصِمِ الْمُحِقِّ
تَضِلُّ عَنِ الدَّقِيقِ فَهُؤُمُ قَوْمٍ فَتَحْكُمُ لِلْمُجَلِّ عَلَى الْمُدِيقِ^٤

وقيل: ما دق من الكلام يعجز عنه كثير من الأنام، فينسب إلى الإحالة وإن كان في غاية الجلالة.

ولذلك قال أبو تمام:

فَصِرْتَ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَفَرُّ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ

^١ في النسخة المحقق: وإذا، والتصويب من ديوان أبي نواس.

^٢ هو مُهْلَهْلُ التَّغْلِي، في رثاء أخيه كليب.

^٣ ديوان ابن الرومي.

^٤ والمُجَلِّ: المكثّر، والمدِيق: المدقق المتبع للنفيس.

مدح الراجع إلى الحق في المناظرة

قال عمر رضي الله عنه: الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل.

وقيل: المَبطل مخصوم وإن خصم، والمُحق فالج وإن خصم^١.

وقال عمر رضي الله عنه يوماً: أيها الناس ما هذه الصدقات التي أحدثتم؟ لا يبلغني أن أحداً تجاوز^٢ صدق النبي صلى الله عليه وسلم إلا استرجعته منه. فقامت إليه امرأة فقالت: ما جعل الله ذلك إليك يابن الخطاب، إن الله تعالى يقول: (وَأْتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا)، فقال عمر: أما تعجبون من إمامٍ أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت أميركم فنضلت^٣.

^١ مخصوم: مغلوب، فالج: غالب ومنتصر، وأفلح الله حجتة: أظهرها، أثبتها.

^٢ في النسخة المحققة: أتجاوز، بزيادة الهمة، وهو خطأ واضح.

^٣ قال العجلوني في كشف الخفاء: عن مسروق قال: ركب عمر منبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: أيها الناس ما إكتازكم في صدقات النساء، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إنما الصدقات بينهم أربعمئة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكتار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها، فلا أعرفن ما زاد رجل في صدق امرأة على أربعمئة درهم. ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين، هيمت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ قالت: أما سمعت الله يقول: {وَأْتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهُتَانًا وَإِنَّمَا مَبِطَلٌ} فقال اللهم غفرًا؛ كل الناس أفتقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس، إنني

وقال الشَّعْبِيُّ: إِنِّي لِأَسْتَحْيِي أَنْ أَعْرِفَ الْحَقَّ فَلَا أَرْجِعَ إِلَيْهِ.
 وقيل: لَمْ يُرِ أَدْعَنَ لِلْحُجَّةِ إِذَا لَزِمَتْهُ مِنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ^١.

كنت نُهيت أن تزيدوا النساء في صداقهن على أربعمئة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. قال أبو يعلى: وأظنه قال: ممن طابت نفسه فليفعل. وسنده قوي.

^١ عمرو بن عبيد زاهد: عابد مشهور. حج أربعين سنة ماشياً، ويعبئُه يقاد معه، يركبه الفقير والضعيف والمنقطع به. وكان يجي الليل كله في ركعة، فعل ذلك غير مرة في المسجد الحرام. رثاه المنصور بقوله: صلى الإله عليك من متوسدٍ قبراً مررتُ به على مَرَّانٍ

قبراً تضمن مؤمناً متخشعاً صدق الإله ودان بالفرقان

فلو أنّ هذا الدهر أبقي واحداً أبقي لنا عمراً أبا عثمان

مات في طريق مكة سنة ١٤٣ هـ.

المستمرُّ على خطئه وقد بان له الصواب

قال عُمارة^١: لأنَّ أمضي^٢ على الخطأ إذا أخطأتُ أهونُ عليَّ من نقضٍ وإبرامٍ في مجلسٍ واحدٍ^٣.

وقال بعضهم: نعم المزكَّبُ اللِّجاجُ بعد الحِجاج.

ذمُّ من تشكَّك في الضروريات

قيل: مَنْ شكَّ في المشاهدات فليس بتأمِّ العقل^٤.

^١ عمارة بن حمزة الكاتب: من ولد أبي لبابة، مولى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، مولى السفاح ثم مولى أبي جعفر المنصور، وكان تياهاً معجباً جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس، وكان فصيحاً بليغاً، وكان أعور دميماً، وكان المنصور والمهدي بعده يقدِّمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه، وولي لهما أعمالاً كباراً. وله تصانيف منها: كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس. وكتاب رسائله المجموعة. وكتاب الرسالة الماهانية معدودة في كتب الفصاحة الجيدة. وكان يقال بلغاء الناس عشرة: منهم عبد الله بن المقفع وعمارة بن حمزة.

^٢ في النسخة المحققة: إني لأمضي، والتصويب يقتضيه السياق.

^٣ وعبرة البرقوقي في الذخائر والعبقريات: وكان من تيهه أنه إذا أخطأ يمرُّ على خطئه، تكبراً عن الرجوع ويقول: نقضٌ وإبرامٌ في ساعة واحدة! الخطأ أهونٌ من ذلك.

^٤ حكاه أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر: قال ابنُ جنبي: هَذَا كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْجَدَلِ: مَنْ شَكَّ

في المشاهدات فَلَيْسَ بِكَامِلِ الْعَقْلِ

قال المتنبي^١:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
حَكَى الْمُتَكَلِّمُونَ أَنَّ جَمَاعَةً يُلَقَّبُونَ السُّوفِسْطَائِيَّةَ^٢، يَقُولُونَ: لَا نَعْرِفُ لَشَيْءٍ
حَقِيقَةً، وَيَقُولُونَ: لَمَّا كَانَ أَحَدُنَا يَرَى الشَّيْءَ فِي رَقْدَتِهِ فَيَتَصَوَّرُ لَهُ بِصُورَةٍ مَا
يَشَاهِدُهُ فِي يَقْظَتِهِ، وَنَرَى الصُّورَةَ فِي الْمَاءِ ثُمَّ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، لَمْ يَمْتَنِعْ إِلَّا يَكُونَ
لَمَّا نَعَايْنُهُ وَنَشَاهِدُهُ حَقِيقَةً.

وَدَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ، وَأَنَّ السُّوفِسْطَائِيَّةَ
إِنَّمَا هِيَ شَيْءٌ مِنْ تَوَلِيدَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمِنْحُولَاتِهِمْ.

ذمُّ الْقَاصِرِ عَنِ الْمُنَاطَرَةِ

قال الله تعالى: (أَوْ مَنْ يُنَشِّئُوا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ).
وقيل لبعضهم: كيف رأيت فلاناً في المناظرة؟ فقال: عيباً غيباً.

^١ في الديوان، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ومطلعها:

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قَيْلِي

^٢ السفسطة أو السفسطائية مذهب فكري فلسفي نشأ في اليونان نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م في بلاد الإغريق. وقد عرفت السفسطة بأنها: نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطة. وقاموا بإنكار حقائق الأشياء وزعموا أن كل شيء مبني على الوهم ولا توجد حقيقة ثابتة، وهم بذلك قاموا بنقل الفلسفة من المحسوس إلى الفكر والعقل.

وقال ابنُ أبي الطاهر^١ في المبرّد:

يَغْرُ مِنْ الْمُنَاطِرِ إِنْ أَتَاهُ وَيَرْمِي مَنْ يُرَامِي مِنْ بَعِيدٍ^٢

ونحوه ما قيل: فلانٌ إذا تباعدَ ضَبَحَ ضُبُوحَ الثَّعَلِبِ، وإذا حَضَرَ قَبَعَ قُبُوعَ الثُّنْفُذِ^٣.

ذُمُّ الْمِرَاءِ فِي الْمُنَاطِرَةِ

رُوي في الحديث: مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِأَرْبَعَةٍ دَخَلَ النَّارَ: لِيَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءُ أَوْ يَمَارِي بِهِ السَّفَهَاءُ، أَوْ يَأْخُذُ بِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ، أَوْ يَسْتَمِيلُ بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ^٤.

^١ أحمد بن أبي طاهر الكاتب، الملقب بابن طيفور: مؤرخ وأديب وجغرافي (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ)، ولد في بغداد في عائلة يرجع نسبها إلى ملوك خراسان، وله تصانيف كثيرة في السفر والرحلات وأخبار الشعراء.

^٢ وقبلة: لَعَمْرُكَ مَا الْمِزْدُ بِالسَّدِيدِ وَلَا بِالْمُسْتَفِيدِ وَلَا الْمَفِيدِ

^٣ حكاها المحافظ في الحيوان قال: خطب ابن الزبير خطبة فاعترض له رجلٌ فأذاه بكلمة، ثم طأطأ الرجلُ رأسه، فقال ابنُ الزبير: أين المتكلم؟ فلم يُجبه، فقال: «قاتله الله، ضبح ضبحة الثعلب، وقبع قبعة الثنفذ». قال ابن منظور في لسان العرب: الضُّبُوحُ صَوْتُ الثَّعَالِبِ، وَالْقُبُوعُ الثُّنْفُذُ لِأَنَّهُ يَثْبُعُ رَأْسَهُ بَيْنَ شَوْكِهِ أَيُّ يُجْبِؤُهُ.

^٤ أخرجه أبو داود وأحمد وابن ماجه، ولفظه: مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءُ، أَوْ يَمَارِي بِهِ السَّفَهَاءُ، أَوْ يَصْرِفُ بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ. وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع..

قال ابن عباسٍ لمعاويةَ (رضي الله عنهما) : هل لك في مناظرتي في ما زعمت؟
قال: وما تصنع بذلك؟ فأشغبت بك وتشغبت بي فيبقى في قلبك ما لا ينفعك
ويبقى في قلبي ما يضرك^١.

وقيل: الناس رجلان: عالمٌ فلا تُماره، وجاهلٌ فلا تُجاره^٢.

وقال زيدُ بنُ جندبٍ^٣:

^١ هذا الخبر لا وجود له إلا في كتب الأدب، وفي رأبي أن ابن عباس أعقل من أن يطلب هذا
الطلب وقد كان أبعد الناس عن المراء.

^٢ رواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس عن الربيع بن خثيم قال: "الناس رجلان: مؤمنٌ وجاهلٌ. فأما
المؤمنُ فلا تُؤذِهِ، وأما الجاهلُ فلا تُجارِهِ".

^٣ زيد بن جندب الأزقي: زيد الإيادي، شاعر من الخوارج، خطيب الأزارقة وأحد شعرائهم، كان
ينعت بالمنطيق. قال الجاحظ: كان أشغى أفلح (أي مختلف الأسنان مشقوق الشفة العليا) ولولا
ذلك لكان أخطب العرب قاطبة، له شعر في كتاب شعر الخوارج. وقد قال يذكر الاختلاف الذي
وقع بين الأزارقة:

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناساً على دينٍ ففرقنا ... قرعُ الكلام وخطُّ الجدِّ باللعب

ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم ... عن الجدل وأغناهم عن الخطب

إني لأهونكم في الأرض مضطرباً ... ما لي سوى فرسي والرمح من نشب

والأبيات في البيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد.

مَا كَانَ أَعْنَى رَجَالًا ضَلَّ سَعْيُهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ^١ عَنِ الشَّعْبِ
 وقيل: إذا تشاجرت الخصوم طاشت الخلوم ونُسيت العلوم^٢.

وقيل: مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ فَهَمَ وَعَلِمَ.

وُروِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَّا
 بِالْجِدَالِ^٣.

وقال سفيان^٤: ما ابتدَعَ قَوْمٌ إِلَّا أُعْطُوا الْجِدَالَ.

الْحَثُّ عَلَى السُّؤَالِ عَلَى غَيْرِ التَّعَنُّتِ

قيل: إذا جالست عالماً فسَلْ تَفْقُهَا لَا تَعْتَأْ.

^١ في النسخة المحققة: وأغناهم، بالعين المهملة، وهو خطأ واضح.

^٢ حكاه الآبي في نثر الدر في المحاضرات: قَالَ الصَّوْلِي: كُنَّا عِنْدَ ثَعْلَبٍ فَعَضِبَ عَلَيَّ وَاحِدًا، ثُمَّ
 سَكَنَ بَعْدَ إِفْرَاطٍ فَقَالَ: حَدَّثْنَا مِنْ رَأْيِ الْعَتَابِيِّ يُخَاصِمُ - وَقَدْ زَادَ فِي الْقَوْلِ فَعُوتِبَ - فَقَالَ: "إِذَا
 تَشَاجَرَتِ الْخُصُومُ طَاشَتِ الْخُلُومُ، وَنُسِيَتِ الْعُلُومُ".

^٣ أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد، ولفظه: مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَالَ ثُمَّ
 تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جِدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ.
 وحسن الألباني إسناده في صحيح الترمذي.

^٤ لعله سفيان الثوري التابعي المعروف.

^٥ مروى عن علي رضي الله عنه. انظر: الجامع الصغير وزيادته للسيوطي.

وقال أبو مُسهر^١: سألتُ مالكاَ عن شيءٍ، فقال: لا تسألني عما لا تُريدُ
فَتَنَسَى ما تُريدُ^٢.

وقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجلٍ وقد أكثرَ من سؤالِهِ تعنتاً: اتركوني ما
تركْتُكم^٣.

وقال عليه الصلاة والسلام: إنَّ بني إسرائيلَ هلكوا بكثرةِ سؤالِهِم واختلافِهِم
على أنبيائِهِم^٤.

^١ في النسخة المحققة: مسهر، بإسقاط لفظة أبي. وأبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر (١٤٠) -
٢١٨ هـ) إمام من أئمة الحديث النبوي، وشيخ الشام.

^٢ رواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه فقال: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنِ شَيْءٍ،
فَقَالَ لِي: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا تُرِيدُ، فَإِنَّكَ تَنْسَى مَا تُرِيدُ، قَالَ: فَضَرَبَ لِي مَالِكٌ مَثَلًا، فَقَالَ: مَنْ
اشْتَرَى مَا لَا يُرِيدُ يُوشِكُ أَنْ يَبِيعَ مَا يُرِيدُ.

^٣ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: دعوني ما تركتكم. ورواه عنه الترمذي وابن ماجه
بلفظ: اتركوني ما تركتكم، فإذا حدثتكم فخذوا عني، فإنما هلك من كان قبلكم، بكثرة سؤالهم،
واختلافهم على أنبيائهم. وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع.

^٤ هو جزء من الحديث السابق. انظر تخريجه في الهامش قبله.

النَّهْيُ عَنِ الْمُنَازَعَةِ مَا أَمَكُن

قال ابنُ المقفَّع: لا تعرَضَنَّ عقلَكَ على النَّاسِ، فإذا اضطرَّكَ أمرٌ فكن كصاحبِ الشطرنج، يبني أمره على القائمة، فإن وجد ضربةً غريبةً انتهزها، وإيَّاكَ أن تبتدئَ في مجلسٍ لم تسبُرْ عقولَ أصحابه، فبينَ العقولِ بؤنٌ بعيد.

ذُمَّ الْجَلْبَةَ وَخَوْضَ الْكَلِّ فِي الْكَلَامِ

قيل: لا يميلُ إلى الجلبَةِ واللَّجاجِ إلا من عَجَزَ عن العَلْبَةِ بالحِجاجِ.

وقال المأمونُ لهاشميَّ حَضَرَ مجلسَه فناظرَه وشَغِبَ^١:

لا ترفَعَنَّ صوتَكَ يا عبدَ الصَّمَدِ^٢ إِنَّ الصَّوَابَ فِي الْأَسَدِّ لَا الْأَشَدِّ

وقال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِرَجُلٍ كَانَ يُكثِرُ الصِّيَاحَ وَالْجَلْبَةَ: اخفضِ الصوتَ؛ فلو نيلَ خيرٌ برفعِ الصوتِ لأدرَكَه الحميرُ والكلابُ.

^١ انظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، والصناعتين: الكتابة والشعر للعسكري، والغنية في شيوخ القاضي عياض.

^٢ في النسخة المحققة: عبد الصمت، بالتاء، وهو خطأ واضح.

وكان أحمد بن الخصب^١ إذا ناظر شغب وجلب، وربما رفس من يُناظره، فقال فيه بعض المُحدثين^٢، يخاطبُ الخليفةَ المنتصر:

قُلْ للخليفةِ يابنَ عمِّ محمدٍ أشكلَ وزيرك إنَّه رَكَّالُ
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصُّدورِ مجالُ

وهذا يقارب ما زوي أنه شكِّي إلى المأمون من بعض قضاة، أنه يعضُ الخصومَ، فوقع: يُشَنَّقُ^٣.

وأنشد الأصمعي^٤:

^١ أحمد بن الخصب الجرجاني الكاتب، كان ضابطاً في زمن الخلافة العباسية، ثم تولى منصب الوزير، وقد استوزره محمد المنتصر بالله، ثم أحمد المستعين بالله. وارتفع شأنه، ثم نكب، ونفاه المستعين إلى الغرب في سنة ٢٤٨هـ. توفي سنة ٢٦٥هـ.

^٢ هو محمد بن القاسم: أبو عبد الله الضرير، مولى أبي جعفر المنصور، ويعرف بأبي العيناء: أصله من اليمامة، ومولده بالأهواز، ومنشؤه بالبصرة، وبها كتب الحديث وطلب الأدب، وسمع من أبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي سعيد الأصمعي. وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً، وأسرعهم جواباً، وأحضرهم نادرة. وقيل: إن بصره كف وقد بلغ أربعين سن.

^٣ حكاه أبو منصور الثعالبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب فقال: (قاضي جبل) يُضْرَبُ به المثل في الجهل فيقال أَجْهَلُ من قاضي جبل. وجبل مَدِينَةٌ من طسوج كسكر وَكَانَ قاضيها أَعْرَّ محجلاً في التَّخَلُّفِ فَرُفِعَ إِلَى المَأْمُونِ أَنَّهُ يَعَضُّ الخُصُومَ فَوَقَعَ: يُشَنَّقُ إن شاء الله.

^٤ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وأنشدي الأصمعي:

حديث بني قرط إذا ما لقيتهم ... كنزوا الدُّبَا في العرفج المتقاربِ

حَدِيثُ بَنِي قُرْطٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ كَنَزُوا الدَّبَّ^١ فِي الْعَرْفَجِ الْمُتَقَارِبِ
وقال سلمة بن عيَّاش^٢:

كَأَنَّ بَنِي رَأْلَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحٌ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ^٣

قال ذلك حين كان في كلامهم عجلة. اهـ.

^١ في النسخة المحققة: كَنَزُوا الدَّبَّ، وهو خطأ واضح يؤكد ما قلناه مراراً أن النسخة المحققة تجارية لم تحظ بالمراجعة. والدَّبَّ أَصْغَرُ الْجَرَادِ وَالتَّمَلُّ. شبه به حديثهم فوصفهم بِضَوْوَلَةِ الْأَصْوَاتِ، وَسُرْعَةِ الْكَلَامِ، وَإِدْخَالَ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ. والنزوا في الأصل جِماع الحيوان الدَّاجِن كالخيل والبقر. فما بالك بنزوا النمل هل يشعر به أحد؟

^٢ في النسخة المحققة: مسلم بن عبيَّاس، وهو خطأ، والتصويب من الجاحظ. وهو سلمة بن عيَّاش (٨٠ - ١٧٠هـ): شاعر وراوي من أهل البصرة انقطع إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس. له أخبار مع أبي حية النميري والفرزدق.

^٣ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وقال سلمة بن عيَّاش:

كَأَنَّ بَنِي رَأْلَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ ... فَرَارِيحٌ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ

فقال ذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم. اهـ.

الحثُّ على المخالفة ودفْع الصواب بالخطأ

قالت إعرابية لابنها: إذا جلست مع القوم، فإن أحسنت أن تقول كما يقولون، وإلا فخالفْ تُدَكِّرْ ولو كان بتعليقٍ أير حمارٍ في عنقك^١.
 وقال أعرابيٌّ: إذا لم يكن لك في الخير اسمٌ فارفعْ لك في الشرِّ علماً^٢.
 وقال بعضهم: خالفْ تُدَكِّرْ. فقليلٌ له: إنما هو تُنكر، فقال: هَذَا أَوْلُ الخِلافِ^٣.

ذمُّ مخالفِ الدِّ في كلِّ صواب

قال الله تعالى: (وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا).
 وقال تعالى: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ).
 وقال تعالى: (فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ).

^١ قال الجاحظ في الحيوان: قالت الأعرابية لابنها: إذا جلست مع الناس فإن أحسنت أن تقول كما يقولون فقل، وإلا فخالفْ تذكر! وأما الأصمعيّ فزعم أنّها قالت: فخالفْ ولو بأن تعلق في عنقك أير حمار.

^٢ انظر: التذكرة الحمداوية لابن حمدون.

^٣ انظر: نثر الدر في المحاضرات للأبي.

وقال الشاعر^١:

تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ^٢ بَرِدٌ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلٌ

^١ هو أمية بن أبي الصلت الثقفى: شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد وكان من الدعاة إلى نبذ الأصنام وتوحيد الإله. كما أنه أحد شعراء ثقيف وشرفائها كما كان أبوه من قبله أحد زعماء ثقيف بالطائف.

^٢ الشطر الأول في النسخة المحققة: رَقِيعٌ خَصِيمٌ فِي الصَّوَابِ كَأَنَّهُ، وهي رواية لم أجدها إلا عند الراغب. والبيت قاله يشكو ولده، ويذكر إنعامه عليه في التربية والشفقة، وأنه لما بلغ جازاه بالجفاء والغلظة:

عَدُوَّتُكَ مَوْلُودًا وَعُلَّتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
 إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشُّكُوِّ لَمْ أَيْتْ لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَّلُ
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤْمَلُ
 جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلَظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنِعِمُ الْمَتَفَضَّلُ
 وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمَفْنَدِ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبْوَتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
 تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ بَرِدٌ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

وقال ديمقراطس^١: عالمٌ مُعاندٌ خَيْرٌ من جاهلٍ مُنْصِفٍ، فقال تلميذُه: الجاهلُ لا يكون مُنْصِفاً، والعالمُ لا يكون مُعاندًا^٢.

وقيل: كثرةُ الخِلافِ حربٌ، وكثرةُ الموافقة غشٌّ^٣.

المستأذن في سؤال مسألة

قال ابنُ شُبْرُمَةَ لإياسِ بنِ معاوية: أتأذنُ لي في مسألةٍ أُلقيها إليك؟ فقال إياسٌ: استرَّيتُ بكَ حينَ استأذنتَ، فإن كانت لا تسوءُ جليسا، ولا تشين مسؤولاً فهاتِها^٤.

^١ ديمقراطس: اشتهر بالفيلسوف الضاحك، فيلسوف يوناني ولد في أبديرة، تراقيا (٤٦٠ ق.م - ٣٧٠ ق.م). كان أحد الفلاسفة المؤثرين في عصر ما قبل سقراط وكان تلميذاً للفيلسوف ليوكيبوس، الذي صاغ النظرية الذرية للكون. ورث من والده أموالا طائلة واستنفد أمواله في الرحلات التي كان مولعا بها وزار مصر وتعلم الرياضيات من العلماء المصريين، ثم ذهب إلى بلاد فارس ثم إلى الهند وحاوِر الفلاسفة العِراة فيها ثم عاد إلى أثينا وقابل سقراط وتعرف إليه.

^٢ انظر: الرسائل الأدبية للجاحظ.

^٣ حكاها الجاحظ في الرسائل الأدبية عن إسحاق الموصلي.

^٤ حكاها ابن سعد في الطبقات الكبرى فقال: لَمَّا قَدِمَ إِياسُ بَنُ مُعاويَةَ واسِطاً جَعَلُوا يَمُوتُونَ: قَدِمَ البَصْرِيُّ، قَدِمَ البَصْرِيُّ، فَاتَّاهُ ابْنُ شُبْرُمَةَ بِمَسائِلَ قَدْ أَعَدَّها لَهُ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَتَأذُنُ لي أن أَسأَلَكَ؟ قَالَ: "ما اربَّبتُ بِكَ حَتَّى اسْتَأذَنْتَنِي، إِنْ كَانَتْ لا تُعْنِتُ القَائِلَ، وَلا تُؤذِي الجَلِيسَ فَسأَلَهُ عَن بَضْعٍ وَسَبْعِينَ مَسأَلَةً، فَمَّا اخْتَلَعَا يَوْمَئِذٍ إِلا في ثَلَاثِ مَسائِلَ أو أَرْبَعٍ، رَدَّها فِيها إِياسُ".

وقال أبو العيناء لعبيد الله: أسأل أم أسكت؟ فقال: إن سألت أفدت وإن سكتت كفيت^١.

شروط المناظرة

اجتمع متكلمان، فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال: على شرائط: أن لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تُقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوّزت لي^٢ تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تُؤثر التصادق، وتنقاد للتعازف، وعلى أن كلاً منا^٣ يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته^٤.

وقال أبو يعقوب الخطابي جلسائه: إنّما اجتمعتم للأدب لا بجوار ولا نسب، فوفوه حقّه ولا تتلبوا أحداً؛ فمن تلب تلب، وإياكم والمراء في الأديان فإنها مفسدة بين الإخوان، ونقص عند أهل الزمان. وعليكم بالأصول، ولا تكثرُوا

^١ قال الشاشبتي في الديارات: وقال أبو العيناء يوماً لعبيد الله: أسكت أيها الأمير أم أقول؟ قال: إن سكت كفيت، وإن قلت أصغي إليك، وإنك لتتقرب منا إذا احتجنا إليك، وتبعد عنا إذا احتجت إلينا. اهـ.

^٢ في النسخة المحققة: إلى، وهو خطأ واضح، والتصويب من ابن حمدان.

^٣ في النسخة المحققة: كلامنا، وهو خطأ واضح، فهما كلمتان، والتصويب من ابن حمدان.

^٤ انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

فتملّوا، واستريحوا إلى ما يوافق من الأدب، فإنه غضُّ أبداً غير مملول، ولا تتجاوزوا في النحو قدر الحاجة، فغاية الحاذق فيه معروفة.

وقيل: كان أبو يعقوب الخطّابي إذا جلس إليه أصحابه يقول: اعفونا من ثلاثٍ وخوضوا بعد فيما شئتم: من ذكر السلف، وأن تقولوا فلان خير من فلان، ومن ذكر القدر.

مدح الجواب الحاضر

قال مسلمة بن عبد الملك: ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله شيئاً أحب إليّ من جوابٍ حاضرٍ، لأن الجواب إذا كان بعد نظر وتفكير، لم يكن بشيء^١. ألم تسمع قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ لُحْمًا إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ).

وقال عمرو بن العاص: ما أتقيت جواب أحد من الناس غير جواب ابن عباس - رضي الله عنه - لبداهته^٢.

وقال الحجاج: من لم يخف الجواب تكلم، ومن خافه تبكّم.

^١ انظر: المحاسن والأضداد للجاحظ.

^٢ وقد سبق كلام المصنف في البداهة والروية وتفضيل العرب البداهة على الروية.

قال الشاعر:

مَا أَحْرَّ الْكَلَامَ يَرِحْمُكَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَحْرَّ مِنْهُ الْجَوَابُ

إضجاعُ القسيِّ والاعتمادُ عليها في الخطاب

وما جاء من الأجوبة الجيدة فهي مذكورة في أمكتها المختصة بها:

كانت العرب إذا اجتمعت للمناظرة والمفاخرة يُضجعون قسيهم ويعتمدون عليها.

وقال الحطيئة^١ في مرثية:

أَمْ مَنْ لَخِصِمٍ مُضْجِعِينَ قَسِيَهُمْ مِيلٌ خَدُودُهُمْ عِظَامُ الْمَفْخَرِ

وقال:

إِذَا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَارِ أَطَلْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِيلَ الْعَصَا

^١ أبو مُلَيْكَةَ جَرُولُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَالِكِ الْعَبْسِيِّ الْمَشْهُورِ بِالْحَطِيئَةِ. شَاعِرٌ مَخْضَرٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَةَ وَأَسْلَمَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ.

المراجع

وهي منثورة في الهوامش من هذا الكتاب

وقد اعتمدتُ في عملي هذا على نسخة المكتبة الشاملة، عن دار الأرقم بن أبي الأرقم الطبعة الأولى بيروت ١٤٢٠ هـ عدد الأجزاء: ٢ بتحقيق الدكتور عمر الطباع.

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_111@hotmail.com

الكويت تليفون 98866903

مصر تليفون 01099694140

تعريف



- محمد علي حسين (أبو زهرة)
- لغوي وباحث في التراث الإسلامي
- موجّه للغة العربية بدولة الكويت - مواليد نبوه - مصر ١٩٦٢ م
- مهتم بنشر التراث في سلسلة صدر منها أحد عشر عملاً، جمعاً ودراسة واختصاراً وتحقيقاً، هي: (الداء والدواء لابن القيم - أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بهجة المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد - قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد - العواصم من القواصم لابن العربي - حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية - الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي - مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: علماء معاصرون نصرُوا الإسلام، وكتاب "غرباء". وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).